٣ قروش
المجلة الأمريكية التي يوزع منها كل شهر ١١ مليون نسخة

المختار

من مجلة ريدرز دايجست

في كل مقالة لذة دائمة

حصاد التعاون الصحى ... بول ده كروف ١
رجال يخوضون المهالك ... مجلة « ستردى نايت » ٦
التنويم المغناطيسى يبلغ سن الرشد ... مجلة « ليبرتى » ١١
من مآسى الحياة ... إدوين بالمر ١٦
سر مع العالم ... ••
آلن سلك أطول السبل ... أندريه موروا ٢٠
مسائل الولادة ... مجلة « فوج » ٢٥
السلم فى عالم سعيد ... إريك جونستون ٢٩
لعبة الكم ... ستيفن ليكوك ٣٥
سيرك وينجت ... مجلة « اتلانتيك » الشهرية ٣٧
صدمة القنابل حالة لا وجود لها ... فردريك بأينتون ٤٥
أجمل فترة فى حياتى ... ٥١
طبائع القندس الكدود ... مجلة « كوليير » ٥٤
على النار ! ... مجلة « تايم » ٥٨
هل ترهقك مشاعرك ؟ ... ••
ولادة بركان ... مجلة « بان أميريكان » ٦٢
كيف رُفعت النورماندى ... مجلة « نيوريبليك » ٦٦
ول الصويا العجيب ... مجلة « أميريكان ميلر » ٧١
التوأمان السياميان ... مجلة « كيوانيس » ٧٥
صحيفة الأرجنتين العجيبة ... مجلة « إديتور آند بيليشور » ٧٩
كيف عادت الكينا إلى موطنها ... مجلة « أميريكان ميركيورى » ٨٤
باب الكتب | باريس تحت الأرض ... إتا شيبر ٨٩

يناير سنة ١٩٤٤

مائة ألف ١٠٠,٠٠٠ نسخة

يوزع من مجلة ريدرز دايجست أحد عشر مليون نسخة تطبع فى خمس لغات . إن الطبعات الانجليزيه تصدر فى الولايات المتحدة الأمريكية و بريطانيا ومصر والصين . والطبعة الأسبانيه تباع فى ثمانية عشر بلداً من البلدان المتكلمة باللغة الأسبانية فى أمريكا اللاتينية . والطبعة البرتغالية تباع فى البرازيل والبرتغال . والسويدية فى السويد . وهذا هو العددُ الخامس من الطبعة العربيـة . وقد وُزّع منهُ مائة ألف نسخة فى مصر وفلسطين وسوريا ولبنان وشرق الأردن والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن وسائر الجزيرة . ويرجو المحررون أن تنال هذه المجـلة رضاك . ويَسرُّهم أن يتلقوا ما يبدو لك من ملاحظة أو نقد أو اقتراح بتحسينها و إتقانها .

READER'S DIGEST

(Reg. U.S. Pat. Off. Marca Registrata)

تصدر شهرياً فى بليزانتفيل ، نيويورك ، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات انجليزية ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وعربيـة — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان بلويزفيل كنتكى طبعتين للعميان إحداهما طبعة « براى » وأخرى على « أقراص مسجلة » .

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى اتشيسون ولاس

سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : الفريد س . داشيل

قسم الإدارة : المدير العـام — ا . ل . كول

الطبعة العربية : — التحرير والإدارة : ١ — ميدان قصر الدوبارة بالقاهرة . تليفون : ٥٩٤٩٥

رئيس التحرير : فؤاد صروف — المدير المالى : ت . ى . مورد

مصر والسودان — ثمن النسخة ٣ قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً صاغاً

فلسطين وشرق الأردن ٣٥ ملاً — العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً

الاشتراك السنوى ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً

الطبعات الدولية

المدير العام : باركلى اتشيسون — مدير الإدارة : فرد د . طمسون

حقوق الطبع ١٩٤٣ محفوظة لريدرز دايجست أسوسياشن انكور بوريتد . جميع الحقوق ومنها حقوق الترجمة محفوظة للناشر ، فى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا والمكسيك وشيلى والبلدان المشتركة فى اتفاق حقوق الطبع الدولى واتفاق حقوق الطبع للجامعة الأمريكية . ولا تجوز إعادة طبع شىء من هذه المجلة بغير استئذان الناشرين .

المختار
من مجلة ريدرز دايجست
كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الايجاز باقية الأثر
السنة الاولى | يناير ١٩٤٤ | المجلد ١ العدد ٥

حصاد التعاون الصحى

بول دى كروف

« كان الدكتور شديد رائداً فى هذا الباب — باب التعاون الصحى وتيسير العلاج على الفقراء — بأصدق معانى الكلمة ، فما كان فى أمريكا كلها مثال يحتذيه ويقيس عليه فى تجربته » .

أقام أهل « إلك سيتى » بولاية أوكلاهوما ، وهى بلدة صغيرة عدة سكانها خمسة آلاف من الزراع الرقيقى الحال ، مستشفى تعاونياً فيه ٨٥ سريراً ، كان الأول من نوعه فى الولايات المتحدة . وقد بدأوا به فى أيام الكساد الشديد ، ولم يتلقوا قط فى أى وقت من الحكومة معونة ما ، وهو الآن ملك خالص لهم بلا دين . وقد أثبت هؤلاء الأوكلاهوميون الذين يعيشون على حافة الفلاة التى تسمى « طاس التراب » ، أن تكاليف العلاج الحسن ، وهو عسير المنال فى معظم الريف ، يمكن أن تصبح ميسرة للأسرة الأمريكية الريفية العادية .

وكان المصدر الصغير لشرارة هذا المشروع الصحى التعاونى هو الدكتور ميخائيل شديد ، وهو سورى المولد ، هاجر إلى أمريكا فى العقد الثانى من عمره ، وجعل يطوف بالحلى ليبيعها ، ثم درس الطب فى جامعة وشنطن بسانت لويس . فلما تخرج اتخذ جواداً ومركبة وجعل يطوف بها فى أوكلاهوما فى العواصف الرملية ، ويقوم بالجراحة على ضوء الشموع . ثم صارت له سيارة من طراز قديم لفورد يدلف بها فى الطرق السبخة : ويكافح ما يقذف فى وجهه من الثلج ، للتيسير على الحوامل الفقيرات من سكان الأكواخ عند الوضع . وأحبه

الأهالى وأكبروه فى منطقة واسعة ، حتى صار فى سـنة ١٩٢٩ من كبار الأطباء ، وبلغ دخله السنوى عشرين ألف ريال .

وكان هذا الطبيب الصغير الجسم قد ظل سنوات يدور فى نفسه ويكربها ، أن مئات من الأسر الريفية المبعثرة فى بلدان هـذه السهول العظيمة ، لا تجـد العناية الطبيـة الوافية . ورأى بعينى رأسه المآسى التى تقع بين هؤلاء الريفيين الذين حرموا معونة الطبيب ، فمن فلاحـين يموتون من جراء انفجـار الزائدة الدودية ، إلى زوجات وأطفال تفتك بهم الالتهابات الرئوية والبول السكرى والتدرن . ورأى الدكتور شديد أن الحل الوحيد لهـذه المعضلة الأليمـة هو التطبيب الجماعى الذى يؤدّى أجره سلفاً ، وبذلك يتاح لهؤلاء الفلاحين الذين لا يعدّون ذوى يسار ، العلاج الطبى الذى يهيئه المستشفى بتكاليف يستطاع احتمالها . وكان شـديد رائداً فى هذا الباب بأصدق معانى الكلمة ، فما كان فى أمريكا كلها مثال يحتذيه ويقيس عليه فى تجربته .

وقد بدأ شـديد مشروعه للتطبيب الجماعى المؤدى أجره سلفاً ، بأن طلب من خيرة الأطباء المحليين أن ينضموا إليـه ويعاونوه ، ولـكنهم خذلوه وأبوا ، لأنه لم يكن يعدّ فى العرف الأدبى ، فى أوليات العقد الثالث فى هذا القرن ، أن يقوم أطباء ذوو مرتبات بالتطبيب المؤدى أجره سلفاً . فتولى شـديد الأمر بمفرده ، وولى وجهه شطر الريفيين الذين سيظفرون بأكبر مغنم من مشروعه ، ودعا إلى اجتماع عام . فأقبل على « إلك سيتى » ريفيون من عشر ولايات ليستمعوا إلى هذا الطبيب المجاهد ، وهو يقول لهم إنهم إذا تعاونوا جميعاً — (كما فعلوا من قبل إذ أقاموا ملجأ تعاونياً للقطن جربوا نفعه لهم) — فإنهم يستطيعون أن يكفلوا لأنفسهم ولذريتهم نعمة العناية الطبية الحسنة النادرة .

وكان مشروع شديد يقضى بأن تساهم ألفا أسرة تـكتتب كل منها بخمسين ريالا لبناء المستشفى الجـديد . وفى سنة ١٩٣٠ انهالت طلبات الاشتراك ، ولم تلبث جمعية المستشفى أن صار لها فى البنك ١٠٫٠٠٠ ريال . ثم جاءت الأزمة التى جر إليها الذعر المالى ومعارضة الأطباء المحليين ، فـكان لهذا وذاك أثره ، وأعلن الأطباء أنهم لن يبعثوا بمرضاهم إلى مستشفى الجماعة . فلم ير شديد بداً ، لإنفاذ المشروع ، من أن يضيف عشرة آلاف ريال من ماله الخـاص إلى الرصـيد ، وبذل اتحاد زراع أوكلاهوما معونته لجمعية المستشفى ليتسنى لهـا اقتراض ١٥٫٠٠٠ ريال . وأخـيراً فتح مستشفى

جماعة إلك سيتى بحفل شهده ٣٠٠٠ من أهالى أوكلاهوما المزهوين .

ولكن العلاج ليس لبنات ومِلاطا فحسب ، فقد كانت الحاجة ماسة إلى المال لدفع مرتبات الأطباء الضروريين والممرضات والإخصائيين . فاتجه شديد إلى الفلاحين مرة أخرى وراح يطوّف فى الأقاليم المجاورة ، ويشرح فى أناة مزايا المشروع التعاونى . وكانت رسالته هى هذه : إن الرجل بمفرده يمكن بسهولة أن يذهب ماله من جراء تكاليف العلاج ، ولكن إذا دفع عدد من الناس مبالغ صغيرة سلفاً فإن تكاليف التطبيب تكون قسمة موزّعة عليهم . وقد استطاعت حجج شديد أن تقنع ثلاثمائة فلاح بأن يساهم كل منهم بخمسة وعشرين ريالا ، وبذلك بدأ عهد جديد فى سهول أوكلاهوما .

ويكفل هذا المبلغ — وهو ٢٥ ريالا — ولا يزال يكفل طائفة كبيرة من الحقوق للمكتتب به ولأسرته . فكل الوعكات تعالج مجاناً فى العيادة الخارجية للمستشفى ، ومن حق المكتتب أن يقصد إلى المستشفى طلباً للعلاج مجاناً مما يصيبه من البرد وأمراض الحلق والمعدة ، ومن الجروح والحروق ، وغير ذلك من الأمراض التى لا تستدعى الإقامة فى المستشفى . وإذا أظهر فحص الطبيب أن الحالة تستوجب العلاج بإجراء جراحة ، فلا أجر على ذلك ، فتزال وتستأصل المرارة ، والزائدة الدودية ، واللوزتان . وللمكتتب الحق أيضاً فى العناية بزوجته أثناء الحمل ، وعند الوضع ، وفى الفحص المعملى وفى الفحص بأشعة إكس ، والانتفاع بالراديوم ، والعلاج بالأشعة والحرارة .

وتخفض نفقات المستشفى بمقدار النصف ، وقدر أقصى مبلغ يطالب به المريض ، فى مقابلة الغرفة والغذاء والتمريض بثلاثة ريالات فى اليوم ، أما تكاليف غرفة الجراحة والبنج فعشرة ريالات للجراحات الصغرى ، وعشرون للجراحات الكبرى . وتقدم الأدوية للأعضاء المساهمين بخصم ٢٥ فى المائة ، أما العيادة فى المنزل فيؤدى المريض عنها ريالا يضاف إليه ربع ريال عن كل ميل ، فالمشترك الذى يعيش على مسافة عشرة أميال يؤدى ٣ ريالات ونصف ريال لعيادته فى منزله .

وخفضت نفقات علاج الأسنان تخفيضاً كبيراً ، فحشو الضرس يكلف ريالا ، ويمكن الحصول على غطاء للضرس بربع ريال ، وتفحص العيون بالمجان . فالأعضاء يستطيعون من أجل هذا أن يحضروا إلى المستشفى ليفحص الإخصائيون عيونهم فى المراحل الأولى من تعبها أو مرضها .

ويبلغ متوسط ما يؤديه العضو المشترك عن أسرته للتداوى والعلاج فى المستشفى ، مضافاً إلى ذلك القسط السنوى الذى يدفع سلفاً ومقداره خمسة وعشرون ريالا ، أربعة وخمسين ريالا . يقابل هذا أن متوسط تكاليف العلاج السنوية للأسرة فى الولايات المتحدة يبلغ سبعين ريالا .

وقد أدرك الدكتور شديد من أول الأمر أن نجاح مشروعه رهن بمهارة الأطباء الذين يختارهم وكفايتهم ، ويعمل فى المستشفى ستة من الأطباء المدربين على العلاج الحديث والجراحة . ويعد الإخصائى فى علم أمراض البول فى هذا المستشفى ، الإخصائى الوحيد فى هذا العلم فى ولاية أوكلاهوما الغربية . أما طبيب الأشعة فقد درسها على مكتشفها رونتجن ، وينتفع المرضى ببراعته الخاصة فى تشخيص الدرن وخراجات المعدة فى المراحل الأولى ، وينتفع المرضى بالسرطان بتجربته الطويلة وخبرته بأشعة إكس وبالراديوم . وفى المستشفى غير هؤلاء إخصائيون فى أمراض العيون والأذن والأنف والحنجرة ، وفى طب الأسنان والجراحة ، وفى الأمراض الباطنية. والدكتور شديد هو المدير وكبير الجراحين. ويتناول هؤلاء الأطباء مرتبات تتراوح بين ٤٠٠٠ ريال وعشرة آلاف ريال ، وهم يعملون متعاونين متضامنين على خير وجه ووفق تقاليد هذه المهنة .

وعلى الرغم من المزايا الاقتصادية الثابتة لهذه الطريقة التى يؤدى بها أجر العلاج سلفاً ، فإن أكثر من نصف الأسر فى المنطقة التى يخدمها الدكتور شديد يتمسكون بالقاعدة العتيقة ، أى ، انتظر حتى تمرض . على أن هؤلاء حين يمرضون يقبلون فى مستشفى الجماعة ، ولكنهم يطالبون بدفع التكاليف كاملة للجراحات ، والإقامة فى المستشفى ، والأدوية ، والتمريض . ومؤدّى هذا أن الكسر المركب مثلا ، وهو يحتاج إلى أربعة أسابيع فى المستشفى ، يكلف غير العضو ٢٥٠ ريالا على حين أنه لا يكلف العضو سوى ثمانين ريالا . فلا عجب إذا كانت مزايا العضوية تجتذب تدريجاً عدداً متزايداً من الأسر فى منطقة « إلك ستى » . وقد بدأ المشروع بثلاثمائة أسرة مشتركة فى سنة ١٩٣١ ، وبلغ عددها اليوم ١٦٠٠ أسرة .

ولم يكن طريق الدكتور شديد مفروشاً بالورود ، فقد حاول بعض الأطباء المتعصبين الذين لم يستطيعوا أن يقبلوا طريقة العلاج الجماعى ، أن يسعوا لإلغاء رخصة الدكتور شديد . ولما عرض الأمر أخيراً على المحاكم فى سنة ١٩٤١ غصت قاعة المحكمة بالأسر

من أوكلاهوما ، وكانت قد وقعت جميعها عريضة أعلنت فيها أن اشتراكها فى مستشفى الجماعة قد أتاح لها ولأهل إلك ستى علاجاً حسناً ، ووفر عليها مبالغ تتراوح من خمسين ريالا إلى ألفى ريال لكل منها . (حاشية — ولا يزال الدكتور شديد محتفظاً برخصته التى تخوّل له العمل كطبيب) .

وقد أصبح مستشفى الجماعة فى إلك ستى اليوم قائماً على قواعد مالية متينة ، وبلغت جملة دخله فى العام الماضى ١٢٧٫٠٠٠ ريال وفى العام السابق أنفق مبلغ ٣٠٫٠٠٠ ريال على التجهيزات الحديثة ، وبلغ الفائض بعد ذلك ٧١٫٠٠٠ ريال . وتؤدى التكاليف أو معظمها نقداً ، ولكنه يحدث أن يحضر إلى المستشفى فلاح محتاج إلى العلاج ، وليس معه مال ، فيسمح له بإرجاء الدفع ، ولا يطرد أحد أبداً . وتبلغ نسبة الأعمال الخيرية للمستشفى عشرة فى المائة ، وجماعة المستشفى تعاونية وليس مطلبها الربح .

وقد أدّى قيام هذا المستشفى التعاونى فى إلك سيتى إلى احتذاء مثاله فى منطقة السهول الكبيرة . من ذلك أن الفلاحين فى أمهرست بولاية تكساس — وعدد سكانها ٧٥٠ — أقاموا مستشفى على هذا الطراز يديره بنجاح الدكتور ماك دانيل الذى تدرب على العلاج الجماعى على يد الدكتور شديد . وفى هاردتنر أيضاً — بولاية كنساس — بنى الفلاحون مستشفى على مثال مستشفى إلك سيتى .

وهكذا أصبح أهل أوكلاهوما بإقدامهم وسعة حيلتهم ، روّاداً فى هذا الطريق لمكافحة الحاجة إلى الأطباء فى الأقاليم . وقد أثبتوا أن فى وسع جماعة ريفية فقيرة أن تقيم مستشفاها وتموله ، وتظفر له بالأطباء والجراحين الأكفاء . وقد شق الدكتور شديد وفلاحو أوكلاهوما طريقاً جديداً لإفادة الصحة والقوة ، بفضل مساهمة الجماعة فى أداء التكاليف سلفاً ، وسيصبح ذلك هو الأسلوب المقرر للعلاج فى الأقاليم .

● إننا نميل إلى تقدير أنفسنا على قدر مثلنا العليا ، وإلى تقدير الآخرين على قدر أعمالهم .

[هارولد نيكلسون]

● المنح خير من الإقراض . فالعاقبة واحدة فى الحالين .

[فيليب جبز]

قصة تحرك النفس عن غارة شنتها ثلاثة زوارق طربيد بريطانية يندر ما يماثلها إقداما وبسالة فى تاريخ الحرب البحرية

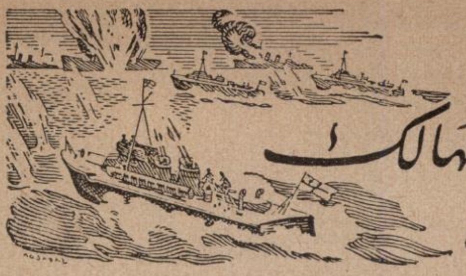

رجال يخوضون المهالك

جورج پالمر وفردريك سوندرن

ملخصة عن مجلة « ستردى نايت »

فى ذات مساء من شهر أبريل الماضى ، حين كانت معركة تونس سائرة بين قصف المدافع وهدير الطائرات ، إلى مرحلتها الأخيرة ، وردت إشارة إلى القيادة البحرية البريطانية فى سوسة من السير أندرو كننجهام ، القائد العام للقوات البحرية فى البحر المتوسط . وكان فحوى هذه الإشارة أمراً « بأن تخرج ثلاثة زوارق طربيد للقيام ، بدورية فى النهار ، حذاء ساحل شبه جزيرة رأس بون » و « أن تفتح مسالك البحار فى تلك المنطقة » .

كلام لا يستقيم ! فزوارق الطربيد تعمل فى الليل ، ولا ينتظر منها أن تقدم على الانتحار فى النهار ، على مرمى من بطاريات النازى الساحلية ، وأسراب مطاردات مسر شمدت .

ولكن الباعث على الأمر كان باعثا معقولا ، فجيوش الحلفاء كانت متأهبة لافتتاح المرحلة الأخيرة فى هجومهم التونسى ، وكان يهم الجنرال أيزنهاور كثيراً أن يعلم هل ينوى الفيلق الأفريقى أن يجلو عن تونس ، وتعذر على الطائرات المستكشفة أن تظفر بمعلومات دقيقة عن الأرصفة المخفاة أدق إخفاء ، التى تصلح لحماية القوات الجالية . فلم يكن بد من إرسال السفن الصغيرة إلى حتف يكاد يكون محققاً .

جهد رجال الزوارق ٦٣٩ و٦٣٣ و٦٣٧ طوال الليل وهم يعالجون قطعاً من القماش ، وألواناً من الدهان الأحمر والأبيض

جورج بالمر كاتب بحرى مجرب . عينته شركة « يونيتد برس » للتوفر على أخبار الأسطول البريطانى فى البحر المتوسط ، فسافر فى قوافل كثيرة متجهة إلى مالطة ، وواتاه الحظ فلم تقذف سفينته بالطربيد إلا مرة واحدة . واشترك فى حملة « كوماندو » على طبرق ، حين كانت فى أيدى الألمان ، فتعرض الزورق الذى كان فيه للمنقضات الألمانية مدى اثنتى عشرة ساعة . وقد شهد كذلك قذف قنابل الأسطول على المنشآت الايطالية الساحلية .

أما فردريك سوندرن فمراسل « ريدرز دايجست » الجوال فى الشرق الأوسط

والأسود ، لكى يصنعوا منها علامات القتال النازية . فالاعتماد على راية مزيفة ، — وهى حيلة بحرية أضفى الزمان عليها جلاله — كانت معقد أملهم الوحيد . ومع ذلك كان أملا ضعيفاً فى رأى قائد هذه الحملة ، الملازم ستيوارت جولد ، البالغ من العمر ستة وعشرين عاما . وقد أوجز رأيه ، وهو يحدث معاونيه الملازمين هنرى بتلر وجورج رسل بقوله : « ليست مهمة ميسرة » ، إذ كان يخشى أن يتبين المراقبون النازيون قوام زوارق الطربيد البريطانية ولا يخطئوها .

وتسللت السفن الثلاث الصغيرة من المرفأ وبلغت مكاناً مناوحاً للساحل التونسى الألمانى عند الفجر . وقد رأى الرقيب فى إحداها على بعد نصف ميل ، بطارية قوية من بطاريات خفر السواحل ، ولكن الألمان على الشاطىء لوّحوا بأيديهم. وكانت الأعلام البريطانية فى السفن الثلاث مطوية ، ولكنها معدة للنشر فى الدقيقة التى تخوض فيها السفن غمار القتال . وكانت تخفق فوقها أعلام نقش عليها الصليب المعقوف .

ومضت السفن فى طريقها متهادية فاجتازت الحمامات ثم نابل ، وهى تفحص كل خليج وكل جون ، ومضى النازيون الذين على الشاطىء يلوحون لرجالها بأيديهم بينا قوادها يرسمون على خرائطهم موقع كل مدفع مخفى وكل خيمة مخبوءة بين الشجر .

وأخذوا يدنون من رأس كليبية ، وهو الموقع الذى يحتمل أن يستعمله النازيون فى جلائهم ، وكان قد طلب إلى جولد أن يستطلع الأرصفة التى كانت تبنى حينئذ . وكانت المدافع الكبيرة القوية تعبس فى وجهه ، وكان كل مدفع منها كافياً لنسف سفينته بقنبلة واحدة . ولكن السفن الثلاث قضت نصف ساعة تمخر البحر على مهل ، بينما كان ضباطها يملأون دفاترهم بالمذكرات ، والجنود النازيون ، على بضع مئات من الأقدام ، مكبون على عملهم فى إنجاز بناء الأرصفة .

وكان المرسى الرئيسى ، لسفن الحرب وسفن التموين الألمانية ، على الجهة الأخرى من الرأس ، فقرر جولد أن يلقى نظرة عليه . وكان يحمى المرفأ بطاريات قوية من مدافع عيارها ست بوصات — وهو ما لم يكن يعرفه جولد ولا الأميرال كننجهام حينئذ . ولكن المدافع لم تطلق طلقة واحدة إذ مخرت الزوارق الثلاثة الماء إلى المرسى وألقت مراسيها. وقضى جولد وضباطه نصف ساعة يعاينون ويدونون : مواقع المدافع ، وأجهزة رادار ، والمخازن ، والسفن وأكوام الذخيرة ، ومحتشدات الجند .

وعلى مئات من الأذرع كان الضباط الألمان والطليان ينظرون إليهم بمناظير الميدان . ومرت بهم دقيقة حرجة حين بدأت المدافع الكبيرة فى بطارية قريبة منهم تتجه نحوهم ، ولكن المدفعين النازيين كانوا يمتحنون أجهزتهم وحسب . فتخطت أفواه المدافع الكالحة السفن البريطانية ، إلى الجهة الأخرى . وقد كشف الأسرى الألمان فيما بعد ، أن كل أحد على الساحل ظن زوارق الطربيد البريطانية ، زوارق طربيد ألمانية ، وأنها كانت قد تنكرت خاصة لتشبه السفن البريطانية .

وما أنجز جولد إعداد خريطته حتى رفع مرساته وأوغل فى منطقة العدو . وكانت طائرة من طائرات الألمان تمرق فوقه كل هنيهة ، ولكن مطاردات مسر شمدت لم يخطر لقوادها ، أن سفن الحلفاء تتسلل إلى مرافئ المحور فى رائعة النهار ، فلم يهتموا حتى بإلقاء نظرة فاحصة عليها .

وفى الساعة التاسعة والنصف كان جولد قد اجتاز ما طوله ستون ميلا من ساحل العدو ، وكان قد استطلع كل ما أراد الأميرال كننجهام أن يعرفه . ولكن لا يزال أمامه تحقيق ذلك الشطر الثانى من الأمر وهو : « فتح مسالك البحر » . وكان لا يزال يفكر فى كيف يبدأ التنفيذ، حين استبان كاسحتى ألغام إيطاليتين فى جون صغير ، وكانت قربهما سفينة ألمانية من سفن حراسة القوافل . وكان يبدو وراءهما مباشرة على الساحل ، مبنى يلوح أنه مصنع ذو شأن .

فأصدر جولد الإشارة بالتأهب للقتال ، وإذا الأعلام النازية المنشورة على ثلاثة صوار قصيرة تطوى ، وتنشر مكانها ثلاثة أعلام بريطانية . وقضت الزوارق عشرين دقيقة وهى تمطر الكاسحتين وسفينة الحراسة وابلا من قنابل زنة القنبلة منها رطلان ، ورصاصاً من المدافع الرشاشة ومدافع « بوم بوم » . أما القذائف التى لم تصب السفن فقد أصابت المصنع . وأذهلت المفاجأة رجال سفن المحور ففروا منها بغير مقاومة .

وغرقت الكاسحتان بسرعة . وما كادت النار تشب فى السفينة الكبيرة ، حتى كان الطيارون النازيون فى مطار قريب ينفرون سراعاً إلى طائراتهم ، ولكن جولد كان قد أقلع قبل أن يحلقوا .

وعاد من حيث أتى وهو يطلق قذائفه على كل ما رآه جديراً بعنايته . حقاً إن قنابله الصغيرة لم تؤثر فى المطارات الساحلية تأثيراً يذكر ، ولكن تأثيرها المعنوى كان عظيما ، فقد ظنت القيادة الألمانية أن غارة كبيرة توشك أن تبدأ، فأمرت لساعتها الجنود

بالذهاب إلى الشاطىء ، والطائرات بالتحليق فى الهواء .

وبعد أن أسقط جولد طائرة مستكشفة كان يحتمل أن تضايقه ، صادف شيئاً خطير الشأن . فقد شاهد عدداً وافراً من طائرات النقل الألمانية الكبيرة منشوراً على الساحل وكانت هذه الطائرات بقايا القافلة الجوية الألمانية التى مزقتها المطاردات الأمريكية من طراز « وورهوك » ، وأسقطتها فيما يعرف الآن « بجزيرة أحد الشعانين » ، وكان بعضها قد سقط على الساحل ، وقليل منها لا يزال سليما لم ينله أذى . فدمرت مدافع جولد كل واحدة من هذه الطائرات السليمة.

وكان فى وسع جولد أن يعود ، وقد أنجز المهمة التى عهد إليه فيها على أوفى وجه ، ولكنه حين أصبح أمام رأس كليبية أرسل هذه الإشارة : « أنوى أن أدنو وأطلق قنابل » ، فجحظت عيون بتلر فى الزورق ٦٣٣ ، وسميث فى الزورق ٦٣٧ ، إذ شاهدا زورق قائدهما يدور . وقال أحد البحارة القائمين على الدفة بلهجة تخالطها الخشية : «يارب! سنكون أبطالا ملاعين».

وكان على صواب !

فعلى نحو ميل من الشاطىء كانت سفينة تجارية للعدو تحرسها مدمرتان ، ومظلة من المطاردات ، وبطاريات ساحلية مدافعها من عيار ست بوصات .

فأصدر جولد هذه الإشارة : « بأقصى سرعة إلى الأمام » ، وبدأ هجوماً ندر فى التاريخ البحرى مايماثله فى جرأته وإقدامه. وكان فى الليلة السابقة قد وضع خطة لهجوم كهذا مع بتلر وسميث .

فاتجه جولد فى الزورق ٦٣٩ إلى المدمرتين لكى يستهدف لنيرانهما ، بينما يتحول الزورقان ٦٣٣ و ٦٣٧ إلى موقف يستطيعان منه أن يقذفا السفينة التجارية بالطرابيد . وقد استغرقت هذه المناورة اثنتى عشرة دقيقة ، انطلق الجحيم فى خلالها.

فلم تكد تمضى ثانية على شروع جولد فى إطلاق نار مدافعه الصغيرة على المدمرة الأولى ، حتى بدأت السفينتان الحربيتان النازيتان تطلقان قنابل مدافعهما التى قطر فوهاتها أربع بوصات . وشرعت مدافع البطاريات الساحلية كذلك فى إطلاق قنابلها من فوهات قطرها ست بوصات . وبعد لحظة خفضت المدافع المضادة للطائرات ، حتى صارت فوهاتها محاذية للأفق ، وأخذت هى تطلق قذائفها على الزوارق . وجاءت المطاردات تنقض اثنتين اثنتين ، أو ثلاثاً ثلاثاً ، قاذفةً قنابل مدافعها أو رصاص رشاشاتها على هذه السفن الصغيرة الجريئة الوقحة فى جرأتها .

وحدث ما لا يكاد يصدق إذ صاح جولد برجال مدافعه : « دمروا مرقب هـذه المدمرة » ، فجاءهم صياحه يعلو على رنين الرصاص والشظايا الواقعة على درع برجه الصغير . ولم تـكد تنقضى دقائق حتى أخذت المدمرة فى الانسحاب وقد أعطبت عطباً خطيراً. وشرع الزورق ٦٣٩ ، وهو يحاول أن يتجنب نوافير الماء التى تـكاد تتلقفه ، فى مدّ ستار من الدخان الـكثيف بين المدمرة الثانية وبين الزورقين ٦٣٣و٦٣٧ بينما هما يتأهبان لقذف طرابيدهما . وكانت السفينة التجارية النازية على بعد ألف ذراع فأرسل بتلر طربيدين إلى جوفها ، وبعد هنيهة قذفت طربيدات سميث ، وإذا انفجار يصم الآذان ، وإذا السفينة النازية تتناثر مقذوفة فى الهواء قطعاً قطعا .

وجاءت الإشارة من الزورق ٦٣٩ : « انسحبوا » . ولـكن بتلر وسميث ترددا لأن الزورق ٦٣٩ كان مشتعلاً . وكان جولد ملق على مرقبه ، وقد اخترقت جانبه الأيمن من الوجه إلى الركبة قذائف الرشاشات ، وعلى أقدام منه كان الضابط الذى يليه قد قتـل لساعته على أثر انفجار قنبلة قريباً منه . وكان الملازم الأول هايدن يدير السفينة وفى ظهره رصاصة .

كانت قنابل المدفع ذوات الست بوصات تخضخض ماء البحر حين اقترب بتلر وسميث من سفينة قائدهم المصابة ، لـكى ينقلا منها جولد ورجاله . فصاح أحد الملاحين : « دقيقة واحدة ، فى باطن السفينة شاب مصاب » ، وبينما كان الزورقان ينتظران فى هذا الجحيم ، شق الملاح طريقه فى اللهيب والدخان ، وعاد وهو يقول ورنين الظفر فى قوله : « ها هو ذا » . أما الشـاب فـكانت يده اليسرى قد نسفت ، وفـكه قد هشمه الرصاص ، ومع ذلك فقد تمـكن من أن يبتسم من خلال الدم . وقال : «ما قولـكم يا أصحاب فى قليل من المورفيا ؟ » .

وأخيراً نقل الأحياء من الزورق ٦٣٩ إلى الزورقين الآخرين ، وعندئذ هجمت أربعون مطاردة محورية ، ولـكنها خابت فيما أرادت . وقد اسـتطاع بتلر وسميث ، وقد تـكدس الموتى والجرحى على متنى سفينتيهما ، من أن يروغا ويدورا متخذين طريقهما إلى سوسة ، وقد هتفوا ، حتى الجرحى منهم ، حين تمـكن أحد المدفعيين من أن يسقط فى البحر طائرة فوك وولف وهى تشتعل . ثم أقبل سرب من طائرات وورهوك الأمريكية فطهرت الجو من طائرات الأعداء .

« عمل لا بأس به ! » كذلك قال جولد قبل أن يدركه أجله بساعة واحدة .

« إن التنويم المغناطيسى الذى كان من قبل احتكاراً للدجالين والمشعوذين ، يسمو الآن ليصبح أداة مشرقة من أدوات الطب النفسانى الحديث » .

التنويم المغناطيسى يبلغ سن الرشد

لويس مانوكس ميلر

ملخصة عن مجلة « ليبرتى »

لما صار الاستهواء «أو التنويم المغناطيسى العلمى» يضىء نواحى جديدة فى طوايا العقل أصبح يساعد الأطباء على أن يتبينوا الأسباب الخفية لكثير من الأمراض العقلية والجسمانية ، وعلى أن يزيحوا العوائق التى تقف فى سبيل السعادة والنجاح .

فبالنوم المغناطيسى ينقلب مدمن السكر وهو لا يزال يعاف الخمر ، ما عاش . أما ضحايا الوَهل (فقدان الذاكرة) فقد استنقذوا وانقشع الضباب عن عقولهم . وأما المصابون بالخفقة (وهى المشى أو الكلام فى النوم) الذين كانوا يخاطرون بأرواحهم فى كل ليلة تقريباً ، فقد استقروا فى أسرّتهم آمنين .

وفى كثير من الحالات، أصبح الرسامون الذين كانوا يحملقون يائسين فى لوحات لم تتم بعد ، والملحنون الذين تتبلد عقولهم كلما جلسوا إلى البيانو ، والمؤلفون الذين كان عليهم أن يدفعوا أنفسهم إلى الآلة الكاتبة دفعاً — كل هؤلاء يضطلع الآن بأعماله بهمة جديدة مبدعة .

ومنذ أدهش أنطون مزمر العالم « بالمغناطيسية الحيوانية » فى القرن الثامن عشر ، ظل الدجالون والمشعوذون يستغلون التنويم المغناطيسى ، إلا أن الأبحاث الجليلة التى تمت خلال الأعوام القليلة الماضية ، لم تزل تميط عنه الترهات والأباطيل حتى بلغ رشده واستوى .

وليس ثمة شك فى أذهان الأطباء النفسيين البارزين أن التنويم المغناطيسى عون فعال فى علاج الجسم . وقد قال الدكتور «نولان د . س لويس» أحد أطباء معهد الأمراض العصبية التابع لمركز كولومبيا البريزبتيرى الطبى بنيويورك : « فى كثير من المعاهد الكبيرة حيث يدرس الطب النفسانى ويستخدم كما ينبغى ، تبين أن التنويم المغناطيسى يفيد فى تشخيص الأمراض وفى علاج بعض الاضطرابات النفسية » .

وفى معهد سبراج التذكارى فى قسم علم الأمراض فى جامعة شيكاجو قضى الدكتور « جوليان هـ . لويس » و « الدكتور ثيودور ساربن » أكثر من خمسة أعوام فى دراسة « ارتداد العمر بالتنويم المغناطيسى » . وقد وجدا أن الشخص المنوم يستطيع أن يتذكر لساعته ، وقائع ومواقف من حياته الماضية فقدتها الذاكرة الواعية فقداناً تاماً .

وقد أثبتا ذلك فى معمل أبحاثهما ، تعينهما طالبة متطوعة فى التاسعة عشرة من عمرها . فشرح لها الدكتور « لويس » الغرض من إجراء هـذه التجربة ثم طلب إليها أن تضطجع على أريكة ، وتحصر ذهنها كله فى مصباح يتدلى فوق رأسها .

« والآن ، ياماري ، لقد أخذت تنامين نوماً عميقاً .. وستعملين كل ما آمرك به .. ستسمعين صوتى وحسب ، ولا شىء سواه ، فى داخل هذه الغرفة أو فى خارجها . . . استرخى ، أرخى جسمك كله . . . أنت وسنانة نعسانة . . . » وبينما جعل الدكتور يكرر هذه الجمل مرة بعـد أخرى انطبقت عينا الفتاة .

بدأ الدكتور لويس يقول : « إننا سنردك إلى عيد ميلادك الثانى عشر ياماري . والآن ، اذكرى لنا ما حدث اليوم » . وظلت تستعيد جميع التفاصيل الدقيقة ، فوصفت وليمة عيد ميلادها ، وسمت من كان فيها من الأطفال ، وذكرت بكل دقة ما أكلوه .

ثم عاد بها إلى عيد ميـلادها الرابع ثم الثانى ، ورجع بها إلى الثالث ، فانقلبت طفلة فى حديثها وفى ملامح وجهها . وفى روايتها عن عيد ميلادها الثـالث لم تذكر أباها مع أنها ذكرته فى روايتها عن عيد ميلادها الثانى.

فسألها الدكتور لويس : « أليس بابا هنا؟ »

فترددت مارى ، وانطبقت شفتاها .

« كلا . ذهب بابا . لقد صدمته سيارة قديمة »

وانتقل بهـا الدكتور إلى التاسـعة من عمرها وبدا له أن يختـبرها فى الهجاء . فأخطأت فى تهجية « معمل » و « تصريح » بيد أنها تهجتهما هجاء صحيحاً فيما بعد ، حين أدخلها الدكـتور فى سن الثالثـة عشرة وما بعدها .

وأخـيراً أعادها الدكتور إلى عمـرها الحاضر ، ثم قال لها : « حين تخرجين من غيبوبتك فلن تتذكرى شيئاً مما حدث أو قيل ، وستكونين جد جائعة ، وستشعرين بأن ثمة شيئاً فى حذائك الأيسر » .

أفاقت مارى من غيبوبتها فرحة مبتهجة . لم يكن فى وسعها أن تذكر شيئاً من الوقائع التى كانت قد وصفتها بكل وضوح . ولـكن سرعان ما قالت : « إنى جائعـة . لابد أن يكون موعد الغداء قد مضى منذ طويل » .

ولم يكن الأمر كذلك .

ومشت بضع خطوات ثم توقفت، وبدأت تخلع حـذاءها . فضحك الدكتور وأخبرها أن هذه الفـكرة إيحاء ، فزال الألم المتخيل من فوره .

وفى وسعنا أن ندرك كيف كان يتسنى للطبيب أن يتعمق فى ذكرياتها يسبرها، وينقب ببطء وعناية فى ماضيها ، لو أن الفتاة كانت مريضة لاسليمة. إن أكثر من نصف المجهود الذى يبذل فى علاج أى داء بالأساليب النفسية هو كشف العلة . والتحليل النفسى طريقة فعالة لكشف الغطاء عن الحالات الخفية ، ولـكن قد يكون من الضرورى أن يستمر تقصيها البطىء عدة أشهر أو أعواماً . أما التنـويم فـكثيراً ما يتيسر له أن يكشف الحقائق الصادقة فى بضع ساعات .

مثـال ذلك أن الدكتور لويس والدكتور سـاربن قد اسـتطاعا ، منـذ عهد قريب ، أن يحلا ، فى جلسة واحدة ، « عقدة » امرأة شابة كانت شراسة أخلاقها تدفعها فى طريق الطلاق . فبينا هى ترد إلى الماضى ، عاماً بعد عام ، خلال طفولتها جعل الدكتور يسألها: أكنت فتاة حلوة الأخلاق؟ فلم تزل تجيب غاضـبة : « كلا ! » ، حتى رجعت إلى عامها الثالث وعنـدئذ قالت : « أجل ، إنى فتاة حلوة الأخلاق » . فتبين من متابعة سؤالها أنه قد ولدت لها أخت ، وهى فى الثالثة من عمرها. ومن يومئذ شعرت أنها قد أهملت ، فاستبدلت بهذا الشعور شراسة أخذت تزداد سوءاً على مر الزمن . فلما ظهرت الحقيقة سافرة تأملتها المرأة وأعانها الأطباء ، فتبـدلت بأجمعها وجهـة نظرها وشخصيتها .

وكان أحد العلماء الشبان الأذكياء لايكاد يشرب ماء أو يستحم حتى يأخذه تقلص خانق فى حلقه . وقد أظهر التنويم المغناطيسى أن أمه نهته ، وهو صـغير ، عن أن يلعب على مقربة من حافة النهر ، ولـكنه عصاها بحمقه فسقط فى الماء وكاد يغرق .

وقد أوحى إليـه الطبيب أنه سيتذكر القصة كاملة بعـد ما يفيق من الغيبة . وقد فعل ، فلما أدركها عقله الرشـيد انقطع تقلص الحلق .

ويعرف الأطباء أن ما نسميه « عضـة الجوع أو سـعار الجوع » إنما ينشأ عن انقباض عضلات المعدة وانبساطها ، ولـكن ما مقدار ما ينشأ من هذا عن حاجة الجسم إلى الطعام ، وما مقدار ما ينشأ عن الشهية الفـكرية ؟

وقد اختـبر الدكتور لويس والدكتور ساربن بعـد ظهر أحـد الأيام بعض الطالبات اللائى لم يأكلن شيئاً منذ أفطرن،

فابتلعت كل واحدة منهن كرة صغيرة موصولة بأنبوب دقيق من المطاط ، ثم نوّمت .

ونفخ الدكتور سـارين فى الأنبـوبة برفق حتى انتفخت الكرة داخل معـدة الطالبة ، ووصل الطرف الثانى للأنبوبة بجهاز سجل انقباضات المعدة وانبساطاتها .

قال الدكتور سارين : « والآن سأطعم هيلين وجبة وهمية » .

فسئلت ، وهى منومة ، عما تشتهى أن تأكل . فوضـع الدكتور سـارين بين شفتيها قلماً فبـــدأت تجرشه . فقال لها : « أجيدى مضغه » ، فأخذت تطحنه بفكيها طحناً شديداً ، وطلبت من الحلواء فطيرة محشـوة بالتفاح ، فأخـذت الانبساطات والانقباضات المنتظمـة تتناقص على الرسم البيانى حتى رسم القلم المسجل خطاً أفقياً . وهكذا سكنت « عضة الجوع » التى كانت تشعر بها « هيلين » ، وإن كانت لم تصب من الطعام شيئاً .

فلما أدخل الدكتوران لويس وسـارين بعض التعديل على هذه التجربة ، استطاعا أن يثبتا بالبرهان بعض الأسـباب العاطفية التى ينشأ عنها اضطراب المعدة . فيطعم الشخص المنوم طعاماً وهمياً ، ثم يوحى إليـه ببعض كلمات « كحماة » مثلا ، ثم يأخذ الطبيب نموذجاً مما فى المعدة ، فيجد أن الحموضة فيها شديدة شدة خارقة للعادة . ثم تكرر التجربة مع إغفال كل إشارة إلى « الحماة » (أو كيفما كانت الـكلمة) فيتضح بالاختبار أن الحموضة قد عادت طبيعية .

وتظهر آخر الاختبـارات التى أجراها الدكتوران لويس وسـارين ، وهى تجربة « السكر فى الدم » ، ما قد يكون للإيحاء التنويمى من التأثير فى الأفعال الـكيميائية التى تجرى فى الجسم بغير سـيطرة الإرادة عليها . إذ يقـال لشخص منوم إنك تأكل سكراً ، فلو أنه أكل سكراً حقاً لامتصـه الدم وبذلك يزداد مؤقتاً ما فى الدم من السكر ، ومجرد الإيحاء بأكل السكر يكفى مع ذلك لدفع أنسولين الجسم — وهو المادة التى تحول السكر إلى طـاقة — إلى التأثير فى السكر الموجود . وتكون النتيـجة أن يقل ما فى الدم من السكر .

وليس معنى هذا أن التنويم المغناطيسى سيحل محل الأنسولين فى علاج السكر ، بيد أنه يشـير إلى بعض ما يرجى من التنـويم المغناطيسى ، مما لم يكن معروفاً حتى الآن .

لقد صار النوم المغناطيسى علاجاً ناجعاً لإدمان الخمر بعد أن فشلت طرق العلاج الأخرى . وذلك أن تبين للمريض المنـوم سوء مغبة الإدمان ، ثم يوحى إليه بأنه فقد شهوة الخمر . ثم تصور له صورة حياة سعيدة

حافلة بكل متعة جديدة . وقد يحتاج المريض إلى أن يستمر علاجه بالتنويم سنة كاملة مرة فى كل شهر ، حتى يزول خطر النكسة .

ويعرف الأطباء الذين يزاولون التنويم المغناطيسى العلمى أن كثيرين من الأطباء الآخرين يقرنونه بالشعوذة ، وأن عامة الناس ترتاب فى أمره . ولكن يمكن تصحيح معظم آرائهم فيه وأوهامهم عنه فى كلمات قليلة :

لا يمكن أن تنوم إذا لم ترد أنت ذلك . فإن التعاون التام لابد منه . وإذا داخلتك الريبة فى المنوم ظللت يقظاً كل اليقظة .

تستطيع أن تستيقظ دائماً من تلقاء نفسك حتى ولو أدخلك المنوم فى غيبة ثم اختفى إلى الأبد .

لن تجد له عواقب مكروهة فى جسمك أو عقلك . وقد يعجز النوم المغناطيسى عن إحداث النتائج المرجوة فيك ، ولكن حالتك لن تزداد سوءا بعد التجربة .

حين تكون فى الغيبة فلن تفعل شيئاً تعتقد أنه معيب أو مضر .

وقد أراد طبيب مشهور متخصص فى الأمراض العصبية والنفسية من أطباء مركز كبير من مراكز نيويورك الطبية ، أن يثبت ذلك لفريق من طلبة الطب المتشككين ، فأعطى مسدساً لشخص نوم تنويماً مغناطيسياً ، وطلب إليه أن يطلق النار عليه . فما هو إلا أن قذف بالمسدس بعيداً ، واستيقظ .

وقد برهن هذا الطبيب نفسه على مبلغ قوة خلق الحياء فى الفطرة ، إذ أمر سيدة منومة بأن تتجرد من ملابسها أمام تلاميذه ، فاستوت واقفة وفركت عينها وأفاقت من الغيبة حانقة ساخطة — هذا على أنها لم تتذكر ما قيل لها أو لماذا غضبت .

ومن المؤكد أن للتنويم المغناطيسى حدوداً كثيرة يقف عندها . وقد كتب الدكتور « ميلتون هـ . أريكسون » فصلا فى عدد حديث من مجلة طبية قال فيه : « ليس للتنويم المغناطيسى أن يأتى بالمعجزات ، حتى إن بدت نتائجه فى بعض الأحايين كالمعجزات »

وقد لا يبلغ التنويم مبلغاً واحداً من شدة التأثير فى جميع الحالات ، ويبدو أن الشىء الكثير من آثاره موقوف على المريض . وقد أمكن الوصول إلى نتائج مرضية ، حين مارس التنويم المغناطيسى ذوو الدربة من الأطباء الجسمانيين أو النفسيين .

ومع ذلك فقد بلغ التنويم المغناطيسى من النجاح مبلغاً يخول لنا أن نقول إنه خرج من ظلمات الخزى والريبة ، أداة مشرقة من أدوات الطب النفسانى الحديث .

من مآسى الحياة

ادوين پالمر

فى العهد الذى شاعت فيه موسيقى الجازبند فى مستهل العقد الثالث من هذا القرن، يوم انحلت الأخلاق وأصبح الظرف أن يكون المرء خليع العذار، سكن بجوارنا على شاطئ بحيرة متشجان شمال شيكاجو زوجان شابان متحابان يجذبان النظر، من أولئك الذين كانوا يتهافتون فى الزواج بلا روية أثناء الحرب الماضية.

وكانت الحياة الزوجية التى ينعم بها، إلى يومئذ، « فريد وكلارا » – كما سأدعوهما – إن هى إلا أشهر طويلة من فراق يبلغ منهما الجهد والإعياء، تتخللها فترات قصيرة، لا تزيد على أسبوع أو أسبوعين، تزخر بالعواطف المشبوبة فتنقضى وهما فى نشوة. وكان عليهما فى نهاية الأمر — كمعظم أبناء جيلهما — أن يستقرا ليقضيا معاً عيشهما الرتيب الممل، وأن يربطا فيما بينهما عرى التعاون خلال حياة فاترة.

ثم حدث أن تشاجرا مساء الثلاثاء بعد الاحتفال بعيد العمال فى أوائل سبتمبر من سنة ١٩١٩، وكان الخصام قد دب بينهما قبل ذلك بأشهر. ومع أن الحب كان لا يزال يربطهما، إلا أن زواجهما كان قد أشرف على الخطر، فوجدا أنه من الحماقة أن يخرجا دائماً معاً كما كان يفعل أسلافهما القدماء. فاتفقا فيما بينهما على أن يأتى، هذه الليلة، « شارل » وهو أحد الأصدقاء، ليخرج مع كلارا، وأن يخرج فريد مع فتاة تدعى « إلين ».

وقد احتسى الشابان إبريقاً كاملاً من الكوكتيل، وهما جالسان ينتظران زيارة شارل لكلارا. وشاء فريد أن يسخر من شارل فروى لزوجه نكتة تندر بها الناس عليه يومئذ، فثار النزاع بينهما مرة ثانية. ولم يكن النزاع بينهما قد بلغ هذه الليلة مبلغ الانفصام، ولكن كان يبدو أنهما مسرعان فى طريقهما إلى مدينة رينو التى يتيسر فيها الطلاق.

لم يكن صفير القطار الذى صرفهما عن نزاعهما صفيراً عادياً، فقد انطلق فجأة فى صوت وحشى، وسكت فجأة سكوتاً يثير الرعب. فما الذى حدث على شريط السكة الحديد على بعد ميل من دارهما؟ لم يكن فى وسع كلارا أو فريد أن يعلم شيئاً.

فى تلك الليلة خرج للنزهة زوجان آخران فى مقتبل العمر هما «وليم وماري»، وذلك اسم كل منهما على الحقيقة، أما لقبهما فهو « تانر » .

كانا قد تزوجا قبل فريد وكلارا بزمن . ومهما يكن من أمر الخلاف الذى ينشب بينهما فإنه قد سوى وزالت آثاره منذ زمن طويل، وكان كل منهما يحب الآخر حباً جماً .

وبعد أن تناول وليم ومارى طعام العشاء اتخذا سبيلهما إلى السينما ، وفى أثناء اجتيازهما شريط سكة حديد فى مفترق الطريق ، زلت قدم مارى اليمنى فى تجويف الشريط ، وأصبحت فى مأزق لا تستطيع معه أن تخلص قدمها منه ، ولا أن تنزع قدمها من حذائها ، وفى هذه اللحظة كان قطار سريع يقترب .

لقد كان أمام الزوجين متسع من الوقت لاجتياز الطريق ، أما الآن — وهى تجاهد لخلع حذائها — فلم يعد أمامهما إلا ثوان معدودات .

ولم يكن فى وسع سائق القطار أن يراهما إلا حين ظهرا فجأة أمامه على الشريط ، فجذب حبل الصفارة ، وأوصد صمام البخار وأمسك « بالفرامل » . وكان بصره قد وقع أولا على شخصين ثم على ثلاثة ، فقد اندفع عامل الإشارة فى مفرق الطرق ليأخذ بيد مارى . وكان وليم جاثياً على الأرض وهو يحاول فى جنون أن يفك رباط حذاء زوجه ، ولكنه لم يتمكن لضيق الوقت . فأخذ هو وحامل الإشارة يجذبان مارى لينقذاها ، فى اللحظة التى أقبل فيها القطار عليهم فى ضجة وصخب .

حينئذ صاح حامل الإشارة : « لا أمل ! لن تستطيع أن تنقذها » . ولقد استيقنت ذلك مارى أيضاً ، فصاحت بزوجها : « دعنى ، ياوليم ، دعنى ! » وحاولت أن تدفعه بعيداً عنها .

كان أمام وليم ثانية واحدة يختار فيها بين الحياة والموت، فقد أصبح من المستحيل عليه أن ينقذ مارى ، ولكنه لم يزل يستطيع أن ينجو بنفسه . وبين ضجيج القطار المقبل ، سمع حامل الإشارة صوته وهو يقول : « سأبقى معك يا مارى ! » .

***

وإنه لكذب صرف أن تقول إن صفير القطار هو الذى صرف فريد وكلارا عن نزاعهما ، بل إن الحادث حال بين الناس الذين أقبلوا بعد وقوعه وبين اجتياز شريط السكة الحديد ، فكان شارلى بينهم ، غير أنه لم يحاول أن يسعى إلى منزل كلارا من طريق آخر ، بل عاد أدراجه إلى بيته واتصل بها تليفونياً .

رد عليه فريد فقال له : « أظن أنك تريد أن تحادث كلارا » فأجابه شارل بلهجة غريبـة وصوت حزين : « كلا ! إننى لن أحضر يا فريد لمقابلتها. أخبرها أنت ». فلما سأله فريد عن السبب ، بدا على شارلى العجز عن إجابته ولـكنه قال له : « أنت تعرف تانر وزوجته ؟ » « تانر ؟ تانر ؟ » أخذ فريد يتذكر : « آه . بلى ! أهما الزوجان الهادئان ؟ أليس كذلك ؟ » قال شارلى : « نعم .... زوجان هادئان » ! ثم أقفل التليفون .

وبعد ذلك بقليل أقبل الجيران على منزل فريد ونقلوا إليه خبر المأساة التى وقعت .

قالوا : ..... « وكان فى إمكان الزوج أن يفلت ، ولـكنه أبى ذلك ، وتعمد أن يطوق زوجه بذراعيـه ، ثم ضمها إلى صدره ، وقد سمعه حامل الإشارة يقول لها : « سأبقى معـك يا مارى ! . فتعانقا حيث كانا . وكان القطار يلقى نوره على محياها . لقد أبى أن يتركها ! » .

إن العمل العظيم فى الميزان يرجح الأعمال التى هى أقل شأناً منه ، وإنه ليكشف الستر دون رحمة عما فيها من نقص . وقد ضرب وليم تانر بتضحيته مثلا كان ينكره بعض الناس ، كما وجه إلى المستهترين والمضللين تحدياً لا يمكنهم أن يتجاهلوه . ولعل هذه القصة قد جعلت كل فتاة سمعتها تسأل نفسها : « هل جعلت أى رجل يحرص علىّ كل هذا الحرص ؟ » . وإنها لخليقة أن توجه إلى كل رجل هذا السؤال : « ما الذى تعرفه عن الحب إذا أنت لم تجـد فى نفسك هذا الإحساس الذى جعل وليم يقدم على هذه التضحية » ؟

وإننى لعلى يقين من أن التغير الذى طرأ على حياة كلارا وفريد قد قام على أساس ما حدث فى تلك الليلة ، وقد تبدّلت كذلك أحوال غيرهما من المتزوجين ، حينما جعلوا يتأملون فيما أقدم عليه وليم تانر ، فأدركوا أن فى الحب الزوجى أسراراً عميقة عليهم أن يبحثوا عنها ويسبروا غورها .

لست تستطيع أن تبدى رأياً منزهاً عن الهوى إلا فى المسائل التى لا تهمك ، وهذا هو السبب فى أن الرأى المنزه عن الهوى لا قيمة له ، فالرجل الذى يرى وجهى المسألة لا يرى شيئاً .

[أوسكار وايلد]

سِر مع العالم

إذا منح أحد المجندين الأمريكيين ، فى الجيش أو الأسطول أو فيلق البحَّارة ، وسام الشرف ، أو وسام الخدمة الممتازة ، أو صليب الخدمة الممتازة ، أو صليب البحرية ، زاد مرتبه الشهرى ريالان . أما ضباط الجيش فيزاد مرتب أحدهم عشرة دولارات كل شهر إذا منح وسام الشرف ، ولكن الزيادة تضاف إلى المعاش .

يملك سلاح الإشارة فى الجيش الأمريكى جهازاً فى حجم حقيبة السفر ، وهو جامع بين محطة لرصد ظواهر الجو ومحطة لإرسال إشارات الراديو . فإذا دفن فى مكان على ساحل العدو ، ظل ثلاثة أشهر يرسل ، مرة كل بضع ساعات ، تقارير لاسلكية عن درجات الحرارة والرطوبة والضغط الجوى.

صنع جهاز جديد ، يستطيع أن يذيع من تلقاء نفسه ، حالة سبعين جزءاً من أجزاء الطائرة فى أثناء الطيران . فيوضع فى طائرة جديدة قبل الطيران بها لامتحانها ، ويوضع على الأرض الجهاز المكمل للجهاز الذى فى الطائرة ، فيسجل الإشارات المنطلقة من الأول ، على أفلام وأسطوانات ، ثم يحول الإشارات الصوتية إلى مرئيات ، فى ثوان ، فيتمكن الرجال الذين على الأرض ، من تحذير الطيارين فى الفضاء ، بما قد تبديه الإشارات من خطر يحتمل أن يبدر فى أحد أجزاء الطائرة . ثم إنها تكمل ملاحظات الطيار ، ولا تضيع إذا حدث حادث ما للطائرة .

ليس بين ٨٠٠٠ صحيفة تصدر فى روسيا صحيفه ما تنشر أخبار الجرائم ، أو أعمدة القيل والقال ، أو الرسوم المضحكة .

إذا أدين أحد فى إنجلترا بتهمة بالقسوة على كلب ، حرمه القانون مدداً تتفاوت من سنة إلى مدى الحياة ، حق ملك كلب أو ترك كلب فى رعايته .

تسعون فى المائة أو أكثر ، من أنواع الأزهار فى الأرض لها رائحة كريهة ، أوليس لها رائحة على الإطلاق .

فى إحدى ضواحى لندن مصنع كبير للأدوات الكهربائية ، سعته أربعون قدماً وطوله سبعة أميال ، ذلك بأنه أنشىء فى نفق قطار من القطارات التى تسير تحت الأرض .

"ألن" سلك أطول السبل

اندريه موروا

كان أميل شارتييه مدرساً وفيلسوفاً وكاتباً
وكان علاوة على كل شيء صائغا للعقول .

كنت فى السادسة عشرة حين قابلت الرجل ، وقد مضى على ذلك أربعون عاماً تقريباً ، ولكن إعجابى بعبقريته وأخلاقه ظل باقياً لم يتغير . لقد عرفت سياسيين عظاماً ، وقوّاداً ، وكتاباً عالميين ، ولكن الرجل الذى لا يمكن أن أنساه حقاً من بين من عرفتهم جميعاً هو « ألن » .

لقد كنا نحن طلبة مدرسة روان ، متوقدين متشوقين ، يوم اجتمعنا لنبدأ الدرس معه فى ذلك الصباح من أكتوبر سنة ١٩٠١ . وكان الطلبة القدماء يقصون علينا قصصاً عن هذا الشاب أستاذ الفلسفة ، الذى كان خياله الحى يضفى على فصوله ما يميزها عن غيرها . وهو رجل ضخم عليه سيمياء الظرف والنشاط ، فدخل من الباب يخطو خطوة سريعة ثابتة ، وأخذ يرمينا بنظره لحظة دون أن يتكلم . ثم تناول قطعة من الطباشير وكتب على السبورة عبارتين مقتبستين من أفلاطون : « على المرء أن يبحث عن الحقيقة بكل ما فى وسعه » و « على المرء أن يسلك أطول السبل » .

كان ذلك بدء سنة ملأها حركة وتوقدا ، اتصالنا بإميل شارتييه، ذلك الفيلسوف الذى كان يوقع ما يكتب باسم « ألن » . لم يكن أحدنا يدرى قط ماذا ينوى أن يفعل . كان تارة يجلس بيننا فى مقاعدنا ، ويأمر أحد الطلبة أن يقف إلى السبورة ليضع بالتفصيل مشروع مقالة . وكان تارة يهوى بيده إلى شيء فيأخذه — محبرة مثلا — ، ثم يبنى حوله فلسفة كاملة . وكان تارة

أندريه موروا كاتب فرنسى ذائع الصيت وهو مؤلف كتب « أريل : حياة شيلى » ، و « دزرائيلى » و « معجزة إنجلترا » و « الملك إدوارد وعصره » وغيرها .

أخرى يأمر أحدنا أن يقرأ من مونتين أو هوميروس ثم يقضى ما بقى من ساعتى الدرس فى تفسير النص . وكنا نجد « ديكارت » أو « كنت » صعبين مملين حينما نقرؤهما وحدنا ، فإذا هما رجلان من البشر جديدان خالدان حينما يشرحهما . وهو لم يناقض أبداً كبار الكتاب الذين كان يعجب بهم ، إذ كان يشق عليه أن يفند آراءهم ، ولكنه علمنا أن ندرك ما احتوت عليه مؤلفاتهم من حقيقة ، وجعلنا نرى فيها أشياء لم نكن قط نراها من قبل .

لم يلق إلينا قط بعقيدة ، ليقول : « هذا هو ما ينبغى أن تعتقده » . وقد بين لنا ما لمناقضة النظريات من عظيم الخطر ، وما يعترضنا من المشقات فى كل تفكير . وكثيراً ما كان يبرهن على صحة بعض المتناقضات ببرهان لا يكاد يرد فيما يبدو ، ثم يفرض علينا أن نكشف بأنفسنا الأخطاء التى فى البرهان .

كانت له آراء خاصة ثابتة فى تعليم الشباب : فكان يعتقد أن العمل يجب أن يكون عملا لا لهواً ، وأن المشكلة التى نظفر لها بحل هى أحسن درس ، وأن الأعمال العظيمة هى وحدها التى تستطيع أن تنشىء نفوساً عظيمة ، وأنه أجدى على المرء أن يعرف أشياء قليلة معرفة تامة ، من أن يعرف أشياء كثيرة معرفة ظاهرة .

كان يعتقد أن ما ينال من العلم بسهولة ينسى بسهولة ، وأن الطالب فى فصل تسير أموره كما ينبغى يعمل أكثر من الأستاذ . فكان يقول : « ينبغى أن نسمع أصوات الصغار لا حديث المدرس » .

كان يستعمل السبورة لأن الجملة المكتوبة والعبارة المكتوبة تثبت الفكرة وتعين الذاكرة . وكان يقول : « إنهم فى الجيش لا يحاضرون أبداً عن البندقية ، بل يفرض على الجندى أن يحل أجزاءها ثم يركبها مردداً ألفاظ الدرس بعينها ، فبعد عشرين مرة يعرف الجندى ما هى البندقية ، ويصبح لديه من الألفاظ ما يعبر به عما يعرف . وكذلك أحدنا لا يمكن أن يتعلم التفكير بالإصغاء إلى رجل يحسن التفكير ، بل يجب أن يستنبط المرء حجته ثم يبرهن عليها، ثم يصوغها ، ثم يعيد صياغتها حتى يصبح الموضوع وألفاظه جزءاً من العقل » .

قلت لألن إنى أريد أن أصير كاتباً ، فكان أول ما أمرنى به وأرشدنى إليه أن أنسخ قصة « شارتروز دى پارم » لستندهال وهى تقع فى ثمانمائة صفحة !!

قال لى : « إن التعلم إنما يكتسب بالتقليد زمناً طويلا ، والنسخ زمناً طويلا ، كما يعلم ذلك كل موسيقى » . وقد علمنى

ألا أزدرى الأقوال السائرة . قال : « إن الحمقى وحدهم هم الذين يظنون أنهم يصبحون مبتكرين إذا ما أهملوا آراء الأجيال التى سبقتهم ، فالابتكار هو أن تحسن صياغة الأقوال السائرة » .

كان يحثنا على أن نوضح أبحاثنا الفلسفية بأمثلة مشتقة من الحيـاة نفسها فيقول : « يجب أن تـكون أقوالكم مليئة بالأحجار والمعادن والمقاعد والمناضـد والحيوانات والرجال والنساء . إن الأسـلوب المجرد ساقط دائماً ، والأمثلة المحكمة هى وحدها الخليقة بأن تنشىء الأسـلوب » . وكان يقول : « يجب أن نعرف أيضاً كيف نجعل لما نكتب حداً ينتهى إليه ، فمن السهل دائماً أن تـكون مسهباً ، ولـكنك تحتاج إلى زمن حتى تـكون موجزاً » . وكان أحياناً يكلفنى أن أكتب فى موضـوع صعب خمسين سطراً معدودة ، فيكتب على هامش كتابتى : « أوجز وركز وانته برأى قاطع » .

كانت مواهبه الفلسفية حافزة لنا حفزاً مدهشاً ، فلم يكن يطلب منا أن نفكر فى موضوع مجرد ، بل كان يأتينا بمثل هذه المشكلة : « مومس صغيرة السن تهم أن تقفز من الجسر إلى السين ، فيراها فيلسوف كان يعبر الجسر فيمنعها . اكتب ما يجرى بينهما من حديث » ، أو « اكتب محاورة بين خادم كنيسة وبين رئيس فرقة للمطافىء عن وجود الله » .

كنا نعـلم أنه ذو جرأة عقلية ، فـكان يقول : ينبغى ألا يؤذن لأية قوة على الأرض فى أن تهدم الحرية الشخصية الذاتية التى هى حق مكتسب لـكل فرد منذ ولد . وقـد أعطانا يوماً ما دليلا ساطعاً عن استقلاله : ذلك أن الأسـاتذة الفرنسيين هم خدام للدولة ، يفاجئهم المفتشون بين وقت وآخر ليقرروا أهم أهل للترقية أم ليسوا لها بأهل؟ وقام ألن يخبرنا يوماً ما ، لِمَ استهجن الرتب والنياشين فقال : « إن هذه اللعب تجعل للدولة سلطاناً شـديداً على الفرد ، وإن عليها لوصمة من الرشـوة . وكيف يستطيع الرجل الذى يتلهف إلى وسام أو نيشان لا يمنحهما إلا الوزير وحده ، أن يعيش حراً غير مقيد فى فعله أو تفكيره ؟ » .

وفى هـذه اللحظة فتح الباب ودخل مفتش ، رجل عليه أبهة وبهاء ، وعليه زينة حافلة من الأوسمة . فنظر بعضنا إلى بعض ، أيتابع ألن حديثه فى هذا الموضوع الخطير أم تراه سيختار السلام ، إذ قـد يصبح مستقبله مهدداً بالخطر ؟ وحيى ألن المفتش بأدب ثم قال فى هدوء : « كنت أبين لهم لماذا أستهجن الأوسمة » . فسرّى عنا ، فإن ألن لم يزل هو ألن . ويجب أن نذكر

المفتش بالخير ، فإن شجاعة ألن لم تحرمه إعادة تعيينه فى العام التالى .

ولما أتممت دراستى فى مدرسة روان أردت الذهاب إلى باريس لأبدأ عملى فى الكتابة ، ولكن والدى كان يحثنى على الذهاب إلى مصنعه فى نورمانديا . وقد أدهشنى أن وافق ألن على ذلك . قال لى : « إذا بدأت حياتك كاتباً فلن تعرف شيئاً عن الناس وعن الحياة . سوف تنغمس فى هذه الحياة التى زيّفتها هذه الفئة القليلة من المفكرين فى أندية باريس وصالوناتها ، وهذا ما لم يفعله أحسن كتاب القصص . كان بلزاك مسجل عقود ، وكان ديكنز وكبلنج مخبرين للصحف ، وكان ستندهال وتولستوى ضابطين ، وكان كونراد بحاراً ، فإذا ماذهبت إلى مصنع فستعرف موظفين وعمالا وستجرب العمل الشاق . وبالاختصار ، فإنك ستحيي ، وما يحق لك أن تصور الحياة حتى تحيي » . وقد اتبعت نصيحته ولم أندم على ما فعلت أبداً .

أخذ يدرس ألن بعد ذلك فى مدرسة هنرى الرابع ، وهى تكاد تكون أحسن مدرسة فى باريس ، فكنت أزوره فى مسكنه الصغير كلما ذهبت إلى باريس . وكان البيانو أهم شىء فى بيته ، إذ كان موسيقاراً بارعاً ، ولم يكن عنده غير قليل من الكتب .

وظل احتقاره للأوسمة شديداً كما كان ، فقد كانت أقدميته ترشحه لنيل وسام من الأوسمة . ولكنه ظل وفياً لمبادئه فرفض وسام الصليب . وكان سهلا عليه أن يصير أستاذاً فى السوربون ، ولكنه لم يحاول مطلقاً أن يخطو ما ينبغى من الخطوات فى ذلك السبيل .

وأعلنت الحرب فجأة فى عام ١٩١٤ ، وألن يومئذ فى نحو السابعة والأربعين من عمره ، فلا شىء عليه إن لم يذهب إلى القتال ، ولكنه تطوع جندياً فى المدفعية ، فكان جندياً بارعاً شجاعاً مطيعاً كل الطاعة ، ولكنه لم يتخل لحظة قط عن روحه التى لا تقهر . وربما كان هو الرجل الوحيد من بين من هم فى مثل سنه ومنزلته ، الذى تطوع ليكون جندياً من الجنود فى القتال . وقد رفض كل رجاء فى أن يقبل أن يتولى عملا ما ، لاعتقاده الراسخ أن السلطان يضر من يتولى تنفيذه . وكان يشعر أنه يستطيع أن يسدى إلى بلده خدمة جليلة ببقائه فى صفوف الجنود كأنه مراقب صارم على السلطان . وقد استمر يقاتل ، فى الوقت الذى كانت فيه السيادة المطلقة للقوة ، لكى يحافظ على الشرف الإنسانى وحرية الفكر الفردى .

وقد جعلته الأعوام الأربعة التى قضاها

فى الخنادق رجلا مسناً ، فخرج من الحرب مصاباً بروماتزم وعرج ، ولكن عقله وروحه ظلا نشيطين دائماً ، فدرس الفلسفة خمسة عشر عاماً أخرى فى الليسيه ، وذاع صيته وصيت دروسه .

وكنت مقيماً فى باريس ، فكلما ذهبت لأرى ألن جلنا معاً خلال حدائق اللوكسمبورج ، وكلما نشرت كتاباً قدمته إليه على استحياء مترقباً حكمه كما كنت أفعل أيام دراستى ، فكنت أجده يسر أحياناً . فلما قدمت إليه حياة دزرائيلى ثم حياة شاتوبريان قال : « لقد أتقنته غاية الإتقان » ذلك هو كل ما قاله ولكنه ملأنى سعادة وفخراً . وكنت أجده عنيفاً أحياناً أخرى وقد قال لى : « لم تحسن ما كتبت » ، وكنت على ثقة بأنه كان على حق .

وأخيراً اعتزل ألن الخدمة ، إذ كان مريضاً لا طاقة له على المشى . فلما وقع أسيراً فى مقعده كان كأنه شجرة ضخمة من البلوط قد اقتلعتها العاصفة ، ولكنه ظل يتحمل آلام بدنه بأسلوب فلسفى ، فقد استمر يكتب ، على ما كان يعانى من ألم شديد ، فأعد منذ بدأت الحرب عشرين كتاباً فى الفلسفة والأدب ، وعنوان آخرها « مع بلزاك » . وقليل منا يؤمن بأن مؤلفات ألن ستنال بعد مائة عام تقديراً عظيماً أكثر مما نالته المؤلفات التى تعد اليوم من روائع الأدب .

لقد كنت سعيداً حينما قال لى أستاذ أمريكى للفلسفة ، منذ زمن غير بعيد : « هل تعلم أن فرنسا وطن رجل عظيم ، يكاد يكون غير معروف ، هو كاتب يوقع ما يكتب باسم ألن » .

قلت : « إنه ليس مجهولا . إنه معروف بين هؤلاء الذين هم أهل لأن يعرفوه ! » .

ولما انتخبت فى العام الماضى للأكاديمية الفرنسية ، سألنى الصحفيون عن رأيى فى الذى نلته من شرف جديد ، فقلت لهم : « لشد ما يدهشنى أن أنال شرفاً حرم أن يناله غيرى ممن هم أحق به منى » ، وكنت ساعتئذ أفكر فى ألن ، ولكنى أعلم أنه لو عرض على أستاذى القديم مثل هذا التشريف لرفضه كما رفض كل تشريف آخر .

● الجمال للمرأة — كالمال للرجل — قوة وسلطان ! [دوروثى ماى]

● القاعدة الأولى فى الجدال : — الامتناع عن الرد خير من التأخر فيه .

أسئلة خاصة بالولادة

جرتا بالمر

مختارة من مجلة « ڤوج »

كم تعلم من أحدث المكتشفات العلمية فى مسائل الولادة ؟ لعلك تسخر من زعم الأمهات العجائز : أن وضع سكين ماضية تحت فراش المرأة يسهل ولادتها ، ومع ذلك فقد تصدق عدة خرافات أخرى عن الحمل لا تقل عن تلك الخرافة سخافة .

ترى هل تستطيع أن تميز الحقائق من الخرافات فى الأقوال التالية ؟ إن استطعت فأنت ، ولا ريب ، واسع الاطلاع .

١ — المواليد من الذكور فى زمن الحروب أكثر منهم فى زمن السلم .

هذا صحيح . فإن نسبة المواليد من الذكور إلى المواليد من الإناث تزيد فتصبح ١١٥ إلى ١٠٠ فى زمن الحروب .

٢ — إذا كانت الأم هى أقوى الزوجين خلقاً فالأرجح أن يجىء المولود ذكراً .

هذا وهم . فإن أخلاق الوالدين ليس لها تأثير ظاهر فى جنس المولود .

٣ — إن هناك وسيلة مضمونة تعرف بها المرأة ، أهى حامل أم لا ، فى خلال العشرة الأيام الأولى .

هذا صحيح . فإن الاختبار المعروف باختبار « اشهايم زونديك » لا يكاد يخطىء أبداً . وهذا الاختبار يستند إلى حقيقة معروفة ، هى أن بعض أتوار « هورمونات » الغدة النخامية توجد منها مقادير كبيرة زمن الحمل فى السوائل التى يفرزها الجسم . فإذا أخذ بعضها وحقنت بها فأرة أنضجت خلايا بيضها بسرعة ، وبعد الحقنة ببضعة أيام يشق جسم الفأرة ويفحص المبيض . ويمكن الاعتماد على هذا الاختبار لمعرفة الحمل فى نهاية الأسبوع الأول من بدئه .

٤ — إن المرأة التى قد جاوزت الخامسة والعشرين تكون معرضة للخطر حين تضع طفلها الأول .

هذا وهم . فإن نسبة الوفيات بين المواليد والأمهات ، أعلى حين تكون الأمهات دون

العشرين وفوق الخامســة والثلاثين . وفيما بين هذين العمرين يولد الطفل ولادة سهلة مأمونة .

٥ — إن الطبيب يستطيع ، فى أشهر الحمل الأخيرة ، أن يعرف جنس الجنين ولا يخطىء ، بالاستماع إلى نبضات قلبه .

هــذا وهم . فما من أحــد يستطيع أن يتكهن بجنس الجنين على وجه التحقيق .

٦ — المولود الذكر هو عادة أرق وأضعف من الأنثى بعد الولادة ، واحتمال اجتيازه الأشهر الأولى من حياته ، أقل .

هذا صحيح . فإن الأطفال الذكور الذين يموتون فى السنة الأولى من حياتهم يزيدون عشرين فى المائة على الأطفال الإناث .

٧ — إن من الممكن جعل جسم الجنين أصغر ، بتقرير غذاء خاص للأم فى أثناء الحمل ومراقبته .

هــذا وهم . فإن أحدث الآراء هو أن غذاء الأم لا أثر له فى حجم الطفل عند الولادة .

٨ — إن شرب الأم الخمر فى زمن الحمل أشد خطراً على الطفل من شربها فى زمن الرضاعة .

هــذا وهم . فإن شرب الخمــر فى زمن الرضاعة مضر بالصحة . والأطباء لم يجمعوا بعد على أن شرب المقادير الخفيفــة منها فى زمن الحمل يؤثر فى الجنين أى تأثير .

٩ — الأمل فى حيــاة الطفل إذا ولد لسـبعة أشهر ، أعظم من الأمل فى حياته إذا ما ولد لثمانية أشهر .

هذا وهم . فكلما دنا الجنين من مدة نموه التامة الطبيعية كان الأمل فى بقائه أعظم .

١٠ — الطفل الأول أقرب إلى أن يولد قبل تمامه ، ممن يأتى بعده .

هــذا وهم . لا فرق بين الطفل الأول والأطفال الذين يلونه فى هذا الأمر .

١١ — آلام المخاض التى تعانيها الأم فى ولادة الذكر أشد مما تعانيه فى الأنثى .

هــذا صحيح . لأن جسم الطفل الذكر أكبر عادة من جسم الأنثى فولادته أعسر ، فسبب العسر هو حجم المولود لا جنســه .

١٢ — ينبغى للحامل أن تأكل نصيب اثنين .

هــذا وهم . فإن الإفراط فى الأكل قد يزيد فى وزنها ، وزيادة الوزن قد تؤدى إلى التسمم .

١٣ — إذا بلغت المرأة سن اليأس كانت أقرب إلى أن تحمل ، مما كانت فى أى سن من عمرها السابق .

هذا وهم ، إذ لا تعرف على وجه التحقيق إلا حالات قليلة جداً حملت فيها بعض النساء اللواتى لم يحملن من قبــل ، حين بلغن أواخر سن اليأس عند انقطاع الحيض .

١٤ — إن نحو نصف حالات العقم بين المتزوجين قابلة للشفاء .

هذا صحيح . فقد تقدم العلم كثيراً جداً فى هذا السبيل ولا سيما فى السنين الأخيرة .

١٥ — الأغلب فى مسائل العقم أن تكون المرأة هى العقيم لا الرجل .

هذا صحيح . فإن عقم الرجال هو سبب انقطاع النسل فى ٣٠ إلى ٥٠ فى المائة من مجموع الحالات التى يعلم بها الأطباء .

١٦ — أصبحت الولادة بلا ألم فى وسع كل أم الآن ، وذلك بفضل تقدم علم الطب فى الأشهر الأخيرة .

هـذا وهم . فإن الوسائل الحديثة التى تساعد على الوضع بلا ألم لا تتوافر إلا فى أحدث المستشفيات ، حيث يتولاها أقدر الأطباء المولدين الذين مرنوا عليها .

١٧ — إذا استبد الوحم بامرأة حامل فاشتهت طعاماً ما ، فيجب أن يبذل كل جهد لإنالتها ما تشتهيه ، لأن الوحم دليل على حاجة طبيعية شديدة .

هذا وهم . إذ قلما توْحم المرأة وتشتهى مادة لا تكون موجودة فى غذائها . وكثيراً ما تكون شهوتها هستيرية . وليس من الضرورى بأية حال أن تأتيها بالمادة المشتهاة فى الحال ، فلن يضرها تأخيرها إلى غد .

١٨ — الإجهاض ، وإن لم يكن قانونياً ، أقل خطراً على المرأة من الوضع .

هـذا وهم . فإن عـدد الذين ماتوا فى الإجهاض يزيد على عشرة أضعاف عدد من مات فى الولادة .

١٩ — المتقدمات فى السن أقرب من الفتيات إلى أن يحملن التوائم .

هـذا صحيح . فإن ولادة التوائم تأتى — لسبب ما — حين تكون المرأة قد جاوزت الخامسة والثلاثين . والشقراوات أكثر حملا للتوائم من السمراوات .

٢٠ — جنس الجنين يتقرر فى اللحظة التى يتم فيها الحمل .

هـذا صحيح . فالنطفة نوعان : أحـدهما ينشئ الذكور والآخر ينشئ الإناث . والاتفاق المحض هو الذى يجعل أحد ذينك النوعين يتحد بالبيضة ساعة الحمل .

٢١ — الأم لا تحمل فى زمن الرضاع .

هـذا وهم . فإن هنالك حوادث كثيرة تم فيها الحمل فى زمن الرضاع .

٢٢ — قد يفضى التمادى فى استعمال موانع الحمل إلى أن يستحيل على المرأة أن تحمل ما عاشت .

هذا وهم . فإذا لم تستعمل المرأة موانع حمل كيميائية شديدة التأثير ، أو وسائل ميكانيكية تمزق الأنسجة ، فلن يحيق بقدرتها على التناسل ضرر .

٢٣ — من المحتمل أن يعيش الأطفال الذين يولدون ، وبين كل منهم وبين الذى يليه ، فترة سنة ، كما لو كان بين كل منهم وبين الذى يليه ، فترة سنوات .

هذا وهم . فإذا كانت الفترة بين ولادة طفلين أقل من سنتين كانت نسبة الوفيات أعلى مرة ونصف مرة مما لو كان بين الطفلين فترة أطول .

٢٤ — أطفال الآباء الناضجين فى السن هم أذكى من أطفال الآباء الأحداث الصغار .

هــذا وهم . فإن كل فائدة يستفيدها الطفل من والديه الناضجين فى السن إنما يستفيدها بعد الولادة لا قبلها .

٢٥ — إذا أصابت الحامل صدمة شديدة فقد تترك أثراً فى مولودها .

هــذا وهم . فقد أثبت الأطباء فساد النظرية القائلة بأن ما يؤثر فى الوالدة فى زمن الحمل يؤثر فى جسم الجنين .

٢٦ — لبن الأم ليس أفضل للطفل من تغذيته طبقاً لوصفة طبيب .

هــذا وهم . فإن الاطباء يعتقدون أن الطفل الذى يرضع ثدى أمه أحرى أن يكون أسلم بدناً وصحة من الطفل الذى يرضع « الزجاجة » .

٢٧ — إن مدة تهيؤ المرأة للحمل لا تزيد على ثمان وأربعين ساعة فى الشهر .

هذا صحيح . وبعض الأطباء يقول إن تلك المدة لا تزيد على اثنتى عشرة ساعة .

فرصة العمر

هجم كلب على سيدة فعضها ، فذهبت إلى طبيبها ففحصها وأشار عليها بكتابة وصيتها لأن الكلب مصاب بالسعار (الكلب) وقد تموت سريعاً بهذا الداء ، فقضت فترة طويلة والقلم بيدها تدون به على الورق ما تشاء ، فسألها الطبيب: ألم تسهب فى كتابة وصيتها ؟ فردت متعجبة : « وصيتى ! ! إننى أكتب أسماء الأشخاص الذين أودّ أن أعضهم » .

السلم فى عالم سعيد

كلمة إلى البريطانيين

اريك ا. جونستون

أمريكى يتحدث عن أمريكا والأمة الأمريكية، وعما تريد بذلك من معاونة فى تنظيم العالم بعد الحرب .

أول شىء يجب أن نذكره حينما نفكر فى الولايات المتحدة ، وعلاقاتها بدول العالم ، هو تلك النعرة الإقليمية المدهشة ، السائدة فيها . فنحن وإن كنا أمة واحدة ، غير أننا أمة تتألف من أقاليم تغلى غيرة وحماسة، وأقسام قد انطوت فى وطنية خاصة .

لقد جئت من بلدة سبوكين بولاية وشنطن فى أقصى الشمال الغربى من الولايات المتحدة . وما أبعد سبوكين عن لندن ! بل ما أبعد لندن عن سبوكين ! كما يقول الأمريكيون . ومن أهل بلدتى سبوكين من لا يكتفى بأن يسمى إقليمه مجرد إقليم ، بل يسميه إمبراطورية ! فحقول القمح الواسعة ، والبساتين الناضرة ، والجبال الشاهقة ، والشلالات الضخمة الرائعة ، والغابات الكثيفة ، تنطق ألسنتهم بالمبالغة فى وصفه والثناء عليه .

غير أن هذه المزايا التى يوصف بها القطر الشمالى الغربى ، لا تلقى غير السخرية والاستهزاء من سكان « فورت ورث » فى ولاية تكساس . و « فورت ورث » هى عند أهلها إمبراطورية : إمبراطورية غرب تكساس العظمى ! وربما كانت فورت ورث هى وطن ذلك الرجل الخالد، الذى تحدث قبل وقوع كارثة بيرل هاربور فقال : « لئن خاضت الولايات المتحدة هذه الحرب ، فإن تكساس ستخوض غمارها أيضاً ! » . وهذه العاطفة الإقليمية ، التى لا يخلو منها مكان فى الولايات المتحدة ، قد ثبتت ، بفضل نظامنا الاقتصادى والسياسى ، الذى يختلف عن نظامكم من عدة وجوه .

فنظامكم المالى يجعل مملكتكم أدنى إلى أن تكون وحدة . فمصارفكم الكبيرة لها

إريك جونستون أحد كبار رجال المال والأعمال فى أمريكا ورئيس الغرف التجارية الأمريكية . وهذا لباب خطبة ألقاها فى لندن فى جمعية غرف التجارة البريطانية ، وفيها تتجلى صراحته وجرأته

فروع فى جميع أنحاء بريطانيا . أما نحن فإن لنا فى كل مكان مصارف مستقلة قوية. وجرائد لنـدن منتشرة يطالعها الناس فى جميع نواحى المملكة ، أما الأمريكيون الذين لا يسكنون وشنطن فقلما تجد بينهم من يتابع قراءة الصـحف التى تطبع فى عاصمة بلاده . ومحطات الإذاعة عندكم تملكها وتديرها جميعاً هيئة أهلية واحدة ، وهى شركة الإذاعة البريطانية، أما محطاتنا فيملكها الأفراد ، ولدينا منها مئات ، يدير كلا منها مالك مستقل .

وحكومتكم القومية تتمتع بالسيادة التامة والنفوذ المطلق . وفى وسـعها أن تفعـل ما تشاء ، أما حكومتنا فلا ، إذ ليس لهـا من السلطان إلا ما منحه الناس إياها . وإن أعرق مادة فى دسـتورنا هى أن « سائر السلطات تظل ملكا للولايات أو للأمة » .

فالسلطة التى « تمنح » السلطة للحكومة ، والسلطة التى « تمنع » السلطات عن الحكومة، وأكبر من هذا كله : السلطة التى « تسترد » السلطة من الحـكومة — هذه هى دعامة الحياة السياسية فى أمريكا . أضـيفوا إلى هذا ما ذكرته من قبل عن النعرة الإقليمية، وتوزع القوى المالية ، وتشتت قوى الإذاعة والصحافة . فما الذى يخرج لنا من هذا كله؟

يخرج لنـا رجل أمريكى شديد الريبة فى سلطة مركزة فى أى ميدان من الميادين ، فتراه أبداً يشن الحرب على كل احتكار يقوم به الأفراد وعلى تحكم السلطات العامة.

وهذا الأمريكى سيكون شأنه فى الأمور الدولية كشأنه فى أمريكا. إنكم لن تستطيعوا أن تغيروا « النقط » التى فى جلد النمر ، بأن تضعوه فى إحدى حدائق الحيوان . ومن المغالطات البالغة الضرر — التى ينادى بها رجل يدعى لنفسه العمل على إصلاح العالم — زعمه أننـا إذا أسكنا عدداً من الأسود والنمور والظباء والفيـلة فى قفص دولى واحد ، فلن تلبث قليلا حتى تتوالد فتلد حيواناً دولياً من نوع واحد .

أريد الآن أن أوجه نظركم إلى ثلاث من تلك « النقط » ، التى يمتـاز بهـا الأمريكيون ، فإن لهـا فى الشئون الدولية خطراً عظيما .

أولهـا : أن كل أمريكى يؤمن إيمـاناً لا يتزعزع ، بأن بلادنا قد استطاعت أن تؤلف من أجناس متعـددة جنساً واحداً جديداً . ومعنى هذا أنه يجب علينا وعليكم أن نقضى على كل تلك العبارات الجوفاء ، التى تنادى بأننا جميعاً من دم واحد ، وأن قرابة الدم فوق كل قرابة ، وأن « شكسبير » قد كتب « هملت » باللغة الإنجليزية . فنحن نعلم أن القانون الذى سنه برلمانكم فدفع

المستعمرات الأمريكية إلى الثورة كان أيضاً مكتوباً باللغة الإنجليزية ، ونعلم أيضاً أننا معشر الأمريكيين قد قضينا زمناً طويلا ، لم نشن فيه حرباً ذات شأن إلا عليكم ، ولم يكن لنا فى الميدان الدولى خصم غيركم .

ولأذكر لكم حادثة متصلة بالإقليم الذى أنتمى إليه ، والذى كان يدعى فيما مضى بإقليم أوريجون ، فإنكم ادعيتم ملكيته ، لأن سر فرانسس دريك قد ألقى عليه نظرة فى إحدى رحلاته . ونحن ادعينا ملكيته لأن الأميرال جراى دخل بسفينته أحد أنهاره . وبعد لأى اتفقتم وإيانا على احتلال مشترك ، وحكومة مشتركة لهذا الإقليم . فانظروا ماذا حدث بعد ذلك !.

كنا نحن وأنتم فى ذلك الوقت أقرب منا اليوم إلى أن نكون أبناء جنس واحد ، ومع ذلك عجزنا عن أن نشترك فى احتلال إقليم أوريجون وحكمه ، فكانت محاولة خائبة كل الخيبة ، بل زادت فى أسباب الخصومة بيننا . وحين نهض جيمس بولك ، ورشح نفسه رئيساً للولايات المتحدة ، على أساس أن يطرد البريطانيين من إقليم أوريجون بقوة السلاح ، كان نداؤه إلى حربكم أحب إلى الناس من بيان شكسبير ، وقد اختارته الأمة رئيساً . وكان من الجائز أن تشتعل بيننا نار الحرب لولا أن المقادير لم تلبث أن قذفت به فى قتال المكسيك ، فقرر ألا يحارب بريطانيا وبلاد المكسيك فى وقت واحد ، ولذلك صالحكم .

هذه الحادثة تكشف عن شيئين : أولهما أن الإحتلال المشترك والحكم المشترك فى أى أرض شىء غير عملى . والأمر الثانى أن من الممكن أن يقوم النزاع والخصام بين شعوب تجمعها قرابة الدم ، كما يقوم بينها وبين شعوب أخرى .

والآن اسمحوا لى أن أتكلم بمنتهى الوضوح : أنا من الأمريكيين الذين يريدون أن يكون بينهم وبين بريطانيا صداقة متينة وتعاون وثيق ، فإذا افترقنا فمن الجائز أن نصبح أعداء ألداء ، وإذا تكاتفنا أمكننا بفضل مالنا جميعاً من الصناعات والصادرات ورءوس الأموال أن نغدو أكبر قوة فى العالم تستطيع أن ترفع جميع الأقطار إلى مستوى أعلى فى أمور ثقافتها ورفاهيتها .

ولكننا لن نقدر أن نتعاون على أساس عاطفة الجنس والسلالة . ولئن كنا نبغض الشعوبية عند الألمان ، فما أجدرنا أن نبغضها من أنفسنا أيضاً . غير أننا نريد — ونستطيع — أن نتعاون ، إذا جعلنا هدف هذا التعاون رقى العالم كله .

والآن انتقل إلى النقطة الثانية فى جلد هذا النمر الأمريكى . فالأمريكى — كما قلت

من قبل — يعارض بكل عنف أى احتكار مصطنع ، أما حيث يكون التنافس أمراً طبيعياً ممكناً فالأمريكى يسعى إليه ويجاهد فى سبيل تأييده بكل قواه .

ولا ريب فى أن الولايات المتحدة هى الدولة الوحيدة بين جميع دول العالم التى سنت القوانين الصارمة مراراً لمحاربة الاحتكار والأساليب التجارية المصطنعة . وشرائعنا تحرم أشد التحريم تلك الأساليب الشائعة عندنا ، مثل تقسيم الأسواق ، وتخصيص المنتجات ، وتحديد الأسعار على يد الهيئات التجارية . ولهذا كان من المستحيل على أى أمريكى أن يعدكم بصدق وإخلاص أن يتعاون معكم فى أى نظام احتكارى عالمى ، فإن شرائعنا تنفر منه ، وطبائعنا تمقته. والأمريكى يسميه «الاستعمار الاقتصادى » ، ويعارضه أشد المعارضة .

وهو أيضاً يعارض الاستعمار السياسى أشد المعارضة . وكل ما أعلنه الرئيس روزفلت من سياسة « حسن الجوار » نحو أمريكا اللاتينية ، لم يكن مجرد نزعة شخصية . فمن قبل هذا بدأ الرئيس كولدج سياسة حسن الجوار بأن سحب قواتنا البحرية من سانتو دومنجو ، ثم سحبت أيضاً من هايتى ومن نيكاراجوا . كذلك قد تنازلنا لحكومة كوبا عن حقنا ، بمقتضى المعاهدة بيننا ، فى أن تتدخل فى شئونها . ولقد تعهدنا للفيليبين بأن تنال استقلالها التام فى تاريخ محدد . وليس هنالك أدنى شك فى أننا الآن فى حالة تقهقر تام عن تلك السياسة الاستعمارية ، التى أوقعتنا فيها الحرب الإسبانية ، والرئيس ماكنلى . وليس بين الأمريكيين من يريد العودة إلى تلك السياسة مهما يكن من شىء .

ليس معنى هذا أن الأمريكيين يريدون أن يملوا عليكم ما يجب أن تعملوه فى الإمبراطورية البريطانية ، ولا أن يبدلوا أساليبكم الاقتصادية أو السياسية فى الميدان الدولى . ولكنهم أيضاً لا يريدون أن يبدلوا من أساليبهم ، ولا أن يمارسوا أو يشجعوا سيطرة شعب على شعب ، سيطرة سياسية أو اقتصادية. ولكن ليس فى الولايات المتحدة من يريد أن ينشىء فى العالم فجأة سماء جديدة وأرضاً جديدة، اللهم إلا عدداً من المتطرفين النظريين ، الذين لا يعبرون إلا عن رأيهم . أما سائر الأمريكيين ، فيريدون أن يبدأوا والأمور كما هى الآن ، ثم يبحثوا عن وجوه التعاون الممكنة بين البريطانيين والأمريكيين . ومن الممكن أن يتم هذا التعاون ، دون أن يمس أحد الفريقين أذى ، وفى هذا نفع للطرفين كليهما ، بل لسائر الشعوب أيضاً .

ويخيل إلى أنى أرى فرصة خليقة بقيام التعاون بيننا على هذا النمط حينما أفكر فى النقطة الثالثة التى تمثل خصائصنا . فالأمريكى بطبعه مولع بالمشروعات الواسعة الضخمة والدعاية لها بمنتهى الجد والعزيمة . ومن الممكن أن يوجه هذا الولع وجهة دولية ، والواقع أن فى أمريكا اليوم اهتماماً كبيراً بالتفكير فيما يمكن عمله لتنمية القدرة على الكسب — ومعها القدرة على الشراء — فى جميع أقطار العالم التى لا تزال مقدرتها الشرائية ضئيلة .

فإنكم لن تستطيعوا أن تبيعوا كثيراً من ماكينات الخياطة لمزارعى بوليفيا مثلا، مالم يكن فى بوليفيا نهضة اقتصادية قوية ناجحة. لهذا نرى كثيرين من رجال الأعمال فى أمريكا اليوم لا يفكرون فيما يستطيعون بيعه إلى بوليفيا فقط ، بل يفكرون أيضاً فيما يجب عمله لكى تنهض بوليفيا نهضة اقتصادية قائمة على أكتاف أبنائها .

ومن الممكن أن نستبدل باسم بوليفيا ، اسم ثلاثين دولة أخرى على الأقل ،يعوزها مثل تلك النهضة . ورجائى أن تتذكروا أننى لا أعنى بكلامى هذا القيام بمشروعات للاحسان أو عمل المعروف تقدمها للشعوب التى يسمونها الشعوب المتأخرة . لست أريد أن أجعل هذه الشعوب بمنزلة القصر تحت وصاية الشعوب الكبيرة . ومع استنكارى أن تستبد بهم قوة اقتصادية لتستغلهم ، فإنى أستنكر أن أرى قوة اقتصادية تداجيهم وتتلطف لهم لكى تورثهم الفقر .

إن أقاليم العالم التى لم تتم نهضتها فى حاجة إلى أموالنا الأمريكية والبريطانية ولكنها تريد أن تشترك معنا بمالها ورجالها . وفى أثناء رحلتى الأخيرة إلى أمريكا الجنوبية ، قابلت من رجال الأعمال رجالا بعد رجال فى بلد بعد بلد ،وكلهم أدلى باقتراح لا يكاد يختلف وهو:

« إننا فى حاجة إلى النصيحة الفنية ، وإلى المساعدة ، وإلى مال يدخل علينا من الخارج . ولكن لدينا نحن أيضاً أموال ، ونريد أن تشترك أموالنا وأموالكم ، لكى ترتفع بلادنا من مرتبة المستعمرات الاقتصادية، إلى بلاد لها كيانها الاقتصادى المستقل »

أنا لا أرهب مثل هذا الكلام ، بل أرحب به ، فكل قطر من الأقطار تزداد مقدرته على الشراء كلما ارتقى فى سلم التطور الاقتصادى . وأنتم فى بريطانيا خير برهان على هذا . وها أنتم أولاء من أعظم أقطار العالم تقدماً فى الصناعة ، ومع ذلك فأنتم فى طليعة المشترين منا .

إن لدينا اليوم من رءوس الأموال ما يربى على ما عندكم ، ولكنكم أكثر منا خبرة بإدارة الأموال ، وبالأسواق المالية

الدولية ، وباختلاف العملة وأسعارها . أنتم أكثر منا مهارة ، ونحن أوفر ثروة ، فهلم نجمع بين الميزتين ، ونستخدم القوتين ، وذلك بالشروط الآتية :

إن رأس المال المستخدم يجب أن يكون ملكا للأفراد ، وأن يكون حراً ، وأن يكون قابلا للمنافسة . ومع أنه خليط أموال أمريكية وبريطانية ، فإنه يجب أن يفسح فيه المجال لاشتراك جميع الأموال المحلية ، التى تريد المساهمة فى الاستثمار . وفى النهاية يجب على هذا النشاط المالى ألا ينفر ، بل يجب على أصحابه أن يبتهجوا، يوم يصبح ذلك البلد قادراً على أن يقف وحده فى الميدان .

إننى واثق بأن فى هـذه المبادىء مجالا تتحد فيه جهودنا وجهودكم ، ومن المؤكد أن هـذه الخطة تنطبق على سنة النمو والتطور المغروسة فى نفس كل رجل من رجال الأعمال فى أمريكا ، فهو يؤمن بأنه ينبغى أن يكون لكل إنسان وطن صالح راق . وليس من الغريب فى نظره أن تصير مدينة مثل تشنكنج أو طهران أو أى بلد آخر أعظم وأجمل مما هى اليوم ، وأن يكثر بين سكانها من يمتلك منزلا ، ويشترى ثلاجة كهربائية وآلات زراعية . فهو يدرك هذا كله فى طرفة عين .

وبعد ، فهل لهـذا كله علاقة بالسلم ؟

أجل ، إن لهذا أكبر صلة بالسلم فإن فكرة البلد الذى يعظم ويرتقى ، مرتبطة أشد الارتباط بفكرة الأمة السعيدة ، وستفضى فى النهاية إلى عالم سعيد .

لهذا ترون أنى لست أخجل من النعرة الإقليمية الأمريكية ، بل أنا فخور بها ، وسعيد بوجودها . لأنها تشتمل على الجرثومة الطيبة ، التى سيتولد منها الأمل فى مستقبل العالم ، فهى عاطفة قوية الصلة بحياة كل رجل وامرأة . إننا كثيراً ما نتحدث عن « الناس » جملة واحدة ، ولكنا قلما نتحدث عن « الناس » الذين يتألف منهم البلد الواحد . ولن تستطيعوا أن تنشئوا عالماً سعيداً ، إلا أن يكون فيه أمم سعيدة ، ولن تستطيعوا أن تنشئوا أمماً سعيدة ، إلا أن يكون فيها قوم سعداء ، ولن تظفروا بالسلم إلا فى عالم سعيد .

إن الذى ننشده هو خلق عالم سعيد تنشئه أمم سعيدة ، عالم متدفق صحة وقوة ورخاء ، لأنه يتألف من أمم قد امتلأت صحة وقوة ورخاء . ولعل فى هذا ما يكشف لأعين المرتابين والمتهوكين عن تلك الحقيقة الأساسية التى يجب أن يبنى عليها السلم فى العالم، وهى : حقيقة التشابه الأبدى بين آمال البشر وأمانيهم ، وهى ، بعد كل شىء ، حقيقة الأخوة التى تربط بين البشر جميعاً .

لعبة الكم

ستيفن ليكوك

من كتاب « مفارقات أدبية »

قال الحاوى : « والآن سيداتى سادتى وقد رأيتم أن قطعة القماش فارغة لا شىء فيها ، سأخرج لكم منها وعاء يسبح فيه سمك المرجان الأحمر . جلا ! جلا ! »

وتصايح الناس الذين يملأون القاعة : « ياللعجب ! كيف يتسنى له ذلك » ، سوى رجل « شيطان » لا تنطلى عليه حيلة ، كان فى الصف الأول ، فهمس إلى الذين فى جواره ، همسة عالية : « إنه — يخفيه — فى — كمه »

فهز الناس رءوسهم هز الواثق بذكائه ، وقالوا : « لا شك فى ذلك » ، وتهامس كل من فى القاعة : « إنه — يخفيه — فى — كمه » .

قال الحاوى : « لعبتى التالية ، هى لعبة الأجراس الهندية الشهيرة . سترون أن الأجراس منفصلة فى الظاهر ، غير أنها بدقة واحدة سيتصل بعضها ببعض (كلانج كلانج كلانج) جلا ! جلا ! . »

فترددت فى القاعة غمغمة من ذهول المتفرجين إلى أن علا همس الرجل « الشيطان » وهو يقول : « لا بد أنه يخفى شيئاً آخر — فى كمه » .

فهز كل امرىء منهم رأسه مرة أخرى وصاح « كانت الأجراس — فى كمه » .

فظللت جبين المشعوذ سحابة من القطوبه واستمر يقول : « سأريكم الآن لعبة مسلية جداً ، سأخرج لكم من أية قبعة كانت ، أى عدد من البيض شئتم . فهل يتكرم أحد السادة بأن يعيرنى قبعته . لك الشكر ياسيدى . جلا ! جلا ! » .

ثم استخرج ١٧ بيضة ، فظن المتفرجون مدة ٣٥ ثانية أنه رجل مدهش ، حتى همس لهم الرجل «الشيطان» من مقعده الأمامى : « إنه يخفى دجاجة — فى كمه » .

وهكذا باءت لعبة البيض بالخيبة التامة .

وقد جعلت همسات الرجل «الشيطان» توحى لهم أن الحاوى يخفى فى كمه فضلا عن السمك والأجراس والدجاج ، رغيفاً من الخبز ، وأرجوحة عروس صغيرة ، وأرنباً رومياً حياً ، ومقعداً هزازاً .

وكذلك سقطت مكانة الحاوى من أعين الناس سريعاً ، غير أنه فى نهاية الحفلة استجمع كل قواه ليبذل آخر ما فى وسعه .

قال : « سيداتى سادتى سأعرض عليكم ، فى ختام الحفلة ، تلك اللعبة اليابانية الشهيرة التى ابتكرها منذ قليل أهالى تبيرارى » . ثم التفت إلى الرجل « الشيطان » وهو يقول : « هل تتكرم فتقدم إلى ساعتك الذهبية ؟ »

تناولها المشعوذ وقال له بشدة : « أتأذن لى أن أضعها فى هذا الهاوُن وأسحقها سحقاً ؟ » فهز الرجل « الشيطان » رأسه وابتسم .

فما كان من الحاوى إلا أن ألقى الساعة فى الهاون ، ثم تناول مطرقة كبيرة كانت على المنضدة ، وتلا ذلك دق عنيف . وهمس الرجل الشيطان : « لقد دسها فى كمه » واستمر الحاوى يقول له : « والآن ياسيدى ، هل تتكرم فتقدم إلى قبعتك ، وتسمح لى أن أرقص عليها ؟ . . . أشكرك » . ثم ما لبث أن أسرع يدوسها بقدميه ، ثم عرضها مرضوضة رضاً شديداً يصعب معه تمييز شكلها .

فأشرق وجه الرجل الشيطان ، فقد فتنته الحيلة وسرها الخفى فى هذه المرة .

ثم قال الحاوى : « وهل تسمح الآن بأن تفك رباط رقبتك وتدعنى أحرقه بلهب الشمعة ؟ . . . أشكرك ياسيدى . وهل تسمح لى بأن أهشم نظارتك بمطرقتى ؟ . . . لك الشكر » .

وفى هذه اللحظة نمت أسارير الرجل « الشيطان » عن الارتباك والحيرة فتمتم قائلا : « لقد حيرنى هذا الأمر ، ولم يعد فى طاقتى أن أدرك منه شيئا » .

وخيم الصمت على رؤوس المتفرجين . فاختتم الحاوى الحفلة قائلا وهو ينظر بفتور إلى الرجل « الشيطان » : « سيداتى سادتى لقد لاحظتم أننى ، بإذن من هذا الرجل الكريم ، قد حطمت ساعته ، وحرقت رباط رقبته ، ورقصت على قبعته ، وهشمت نظارته . وإذا أذن لى أيضاً أن أنقش على معطفه خيوطاً خضراء اللون فسأفعل مغتبطاً لأرفه عن نفوسكم ، وإذا لم يسمح فإن الحفلة تكون قد انتهت بذلك » .

وبين أنغام الموسيقى التى صدحت فى القاعة نزل الستار ، وانصرف المتفرجون وهم يعلمون علم اليقين بأن هناك بعض الألعاب التى ليست لها صلة مطلقاً بكم الحاوى .

● لست إلا رجلا متوسطاً ، ولكننى والله أبذل فى عملى أكثر مما يبذله المتوسط من الناس فى عمله .

[ثيودور روزفلت]

"سيرك" وينجت

قصة غارة عجيبة على بورما

ملخصة عن مجلة « اتلانتيك » الشهرية

« قصة ضابط بريطانى عبقرى "شاذ" يثير أهالى بورما ، ويخرب طرق مواصلات اليابانيين ، ويضع النمط الذى سيسير عليه استرداد بورما »

تحركت حديثاً ثمانية طوابير بريطانية يقودها البريجادير (الأميرالاى) أورد شارلز وينجت ـ البالغ من العمر ٣٩ سنة ـ وعبرت حدود الهند إلى بورما مخترقة خطوط اليابانيين خفية ، ونشرت الاضطراب والذعر بينهم مدة ثلاثة أشهر . وقد تطاير اليابانيون حولهم ، لهم دوى كدوى النحل ينطلق من خليته إذا قلبت رأساً على عقب . ولكنهم لم يتمكنوا من الالتحام بالمغيرين التحاماً يعوقهم عن أداء مهمتهم ، فقامت الحملة بإبادة المخافر اليابانية ، ونسف مستودعات الذخيرة ، وتخريب المطارات ، وإتلاف الطرق ، ونسف الجسور ، وإلغام السكك الحديدية .

تغلغل المغيرون — وقد لقبهم وينجت « بالشنادوة » ، وهو نسبة إلى اسم التنين الذى يحرس معابد بورما — ٣٠٠ ميل داخل الأراضى التى يحتلها اليابانيون ، ثم عادوا أدراجهم إلى الهند عوداً موفقاً يتسم بالبطولة ، وكانت الخسارة أقل مما توقعه أجرأ المتفائلين . وهذه الإغارة هى فى الواقع قصة من أعظم القصص العجيبة فى الحرب الحالية .

تمكنت الحملة من تحقيق أغراض هامة ، إذ خففت الضغط عن الصينيين ، وجمعت معلومات مكنت السلاح الجوى البريطانى من القيام بغارات مخربة واسعة النطاق ، وضيقت الخناق على اليابانيين ، وأغلب الظن أنها صدتهم عن غزو الهند . وأكبر من ذلك كله أنها وضعت نمطاً للتدريب وحركات الميدان اللازمة لاسترداد بورما . فهؤلاء الرجال : رجال قبائل الغوركا ، وأهالى

بورما ، وكتيبة من الإنجليز ربيبي المدن ، قد علموا اليابانى أنه لم يعد سيد الغاب .

وكان « شنادوة » وينجت البريطانيون من جنود المؤخرة ، وأغلبهم رجال متزوجون أصلهم من شمال إنجلترا ، وتتفاوت أعمارهم بين ٢٨ و ٣٥ سنة . قال لهم وينجت : « علينا أن نقلد طرزانا » . وتحقيقاً لذلك قام بتدريبهم فى غابات الهند مدة ستة أشهر بلغت فيها الحرارة والرطوبة أشدها ، فدربهم على عبور الأنهار ، وحركات التغلغل ، والسير الطويل المضنى وهم يحملون الأثقال ، حتى أصبحوا أصلب فرق الصدام عوداً وأشدها مراساً . وقد قال أحد الجنود بعد العودة من الإغارة : « إن الحملة بأجمعها لتبدو كلعب الأطفال إذا قورنت بفترة التدريب » .

ونال الضباط أيضاً قسطهم من التدريب الطويل المتواصل على حركات الميدان ، لا على النماذج الرملية المألوفة ، بل فى العراء . وقد وجد هؤلاء الضباط فى بورما فيما بعد أنهم قد دربوا على كل موقف واجهوه فى حملتهم.

وحين أزف ميعاد مغادرة « الشنادوة » للهند قام المريشال ويفل باستعراضهم ، وسبقهم هو بالتحية قبل أن يهموا برفع أيديهم بتحيته ، إعراباً لهم عن تقديره واحترامه . فهو يعلم ، كما يعلم الجميع ، أن كل من جرح منهم أو أقعده المرض سيترك — على الأغلب — لليابانيين .

كانت أول مرحلة محرجة فى تقدمهم هى عبور نهر شندوين البالغ عرضه نصف ميل ، والذى تفصل مياهه بين المنطقتين اليابانية والإنجليزية . ولما أبلغت جماعات الاستطلاع أن لا أثر لدوريات العدو فى مدى بضعة أميال ، بادروا بنقل المعدات الثقيلة فى زوارق خفيفة وقوارب من المطاط ، أما الضباط والجنود فخلعوا ملابسهم واجتازوا النهر السريع التيار سباحة ، واستمر العبور طول الليل وخلال الغد ، ومعظم الليل الذى يليه . وألقى وينجت خوذته فى آخر زورق ، ثم تجرد من ثيابه ، وقذف بنفسه فى ماء النهر الصاخب .

وشق « الشنادوة » طريقهم خلال غابات كثيفة ، وصعدوا فى جبال ذات شعاب حادة ، ثم كانوا يخترقون طرقاً ضيقة تحفها مهاوٍ سحيقة ، ثم يهبطون فى أودية تنمو فيها حشائش تعلو على قامة الرجل . وكانت الهياكل البشرية تعلم الطريق الذى تقهقر منه الحلفاء فى الصيف السابق .

وتجنب وينجت السبل المطروقة شاقاً طريقه خلال الغابات ، وكان يوفد « جماعات الخداع » لوضع آثار كاذبة تضليلا لليابانيين ، ولكنه جعل جلّ اعتماده على سرعة التنقل .

وكثيراً ما اقتربت الدوريات اليابانية منهم حتى ليكاد كشافة الفريقين أن يتصادما فى هذه الغابات الكثيفة. ولم تنقطع المناوشات طول الوقت، وقد قتل «الشنادوة» أكثر من ألف يابانى، ولكن العدو لم يتمكن قط من اللحاق بهم بقوات كافية.

وكثيراً ما قطع الشنادوة فى اليوم الواحد ثلاثين ميلا، وقد بلغت الحرارة فى الظل ٤٠ درجة مئوية، وقد حرص وينجت على ألا تضيع لحظة واحدة سدى، فحرم على رجاله حلق لحاهم، لأن فى ذلك ضياع عشر دقائق من وقت نومهم. ومن نظرياته التى يؤمن بها: أن السير الطويل المتواصل يقهر المرض - والحقيقة التى لا ريب فيها أن إصابات الملاريا كانت نادرة فيما بينهم.

وكانت تجرى على رأس كل طابور بضعة من الكلاب الكشافة التى دربت على تمييز رائحة اليابانيين، ولم ينقطع الاتصال بين شعب الحملة الثمانى بالراديو، وكلاب البريد، والحمام الزاجل، وبتبادل صيحات غريبة يخيل لسامعها أنها صيحات طيور. وتقدمت القافلة أفيال تجاهد فى السير، يركبها رجال صغار الأجسام من أهالى بورما، تحمل البنادق السريعة، ومدافع برن، وقوارب مطوية، وأجهزة اللاسلكى، يسير فى أثرها الخيول والرجال ثم البغال. وفى المؤخرة ثيران تجر عربات محملة بالمدافع الرشاشة، والبنادق السريعة، والقنابل اليدوية، والبنادق العادية، وذخيرة من الطلقات. وبلغ طول كل طابور ميلا كاملا. وقد قال أحد الجنود الإنجليز حين أخذت هذه الجماعة الغريبة من أشتات الحيوان تتسلق جانب أحد الأنهار: «ما أشبه هذا بسفينة نوح!» ومن الغريب أن هذه الطوابير لم يكن يسمع لها صوت على بعد ٢٠٠ ياردة، فإن الغابة تميت الأصوات.

وزود «الشنادوة» بأحذية نعالها من المطاط، وقبعات عريضة من الطراز الأسترالى، وقناعات تقى الوجه من البعوض، وخناجر عريضة حادة، ودخل كل رجل أراضى بورما وهو يحمل على ظهره من مئونة الجند ما يكفيه ستة أيام يبدأ بعدها تموينه من الجو. وقد بلغ جملة ما تلقته الحملة من المؤونة الهابطة من الجو ما زنته ٥٠٠,٠٠٠ رطل.

ورافق كل طابور ضابط من سلاح الطيران البريطانى لاختيار المواقع التى تلقى فيها المؤونة كحقول الأرز، وقيعان الأنهار الجافة، والمناطق المنبسطة الحشائش، وكانت تخطر المحطة الجوية فى آسام برسالات رمزية عن المكان المعين والزمان المحدد لوصول الشحنة التالية. واستعين على إرشاد

الطائرات بإطلاق الدخان نهاراً وبالقناديل المشعلة بالليل . فإذا جاءت الطائرات الضخمة حوّمت على ارتفاع ١٥٠ قدماً فقط لتلقى حمولتها من الأسلحة والذخائر والديناميت وعلب المؤنة المحتـــوية على لحم البقر ، والبسكويت ، والبلح ، والزبيب ، والشاى، والسكر، والملح، وأقراص فيتامين (ج) ، ولم ينكسر منها جميعاً سوى زجاجة واحدة من الخمر .

وبذل سلاح الجو البريطانى مجهودات رائعة لتزويد الطوابير بطلباتهم الخاصـة . فمن ذلك كتاب عن تاريخ حياة برناردشو، وزجاجة من الويسكى الإرلندى للاحتفال بعيد القديس باتريك ، ومونوكلات ، وطقم من أسنان صناعية ، وإزار من زى أهل إسكتلندة . وجاء إليهم بطريق الجو عاملان من عمال اللاسلكى تطوعا ليحلا محـل زميلين مريضين . وطلب ضابط فى طابور حاصره اليابانيون أن تلقى إليه وثيقة بنص وصية شرعية ليوقعها — فأجيب إلى طلبه . وواصـل مطعم من أكبر مطاعم كلكوتا العمل طول الليل لإعداد ٤٠٠ رطل من الشكولاته طلبها الجنود ، وفى صباح اليوم التالى حملتها طائرة قطعت بها ٧٠٠ ميل داخل أرض بورما .

وكان ضابط الأساس المكلف شؤون التموين يدعى الـكابتن « لورد » — وهو اسم الرب بالإنجليزية — ففى ذات يوم أرسل إليه وينجت بالراديو يقول « يارب ! أعطنا خبزنا كفافنا ! » فما لبث أن تلقى الرد : « لقد استجاب الرب لدعائكم » . وبعـد ساعات قلائل ألقى عليهم — كأنه منّ من السماء — ستون رغيفاً .

وخرجت جماعة من الغزاة الشنادوة ذات يوم فوقعت فى سيرها على مقر قيادة وحدة يابانية ، ووجدته مقفراً إلا من خدم منهمكين فى إعداد العشاء ، فتطوع من فى المقرّ من أبناء بورما بتقـديم الطعام إلى رجال وينجت ، فما لبث هؤلاء أن أتوا على كل ما فى المعسكر من مأكل .

توغلت الحمـلة ١٢٠ ميلا فى طريق بورما ، فلمـا ارتدت إلى نهر إراوادى ، كانت ليلة بردها قارس وقمرها باهر ، وإذا اليابانيون ينهالون عليهم برصاص مدافعهم الرشاشـة وبنادقهم السريعة . ولم يكن وينجت عاجزاً عن عبور النهر برجاله رغم أنف العدو ، إلا أنه رأى أن هذه المحاولة قـد تكبدهم خسارة كبيرة فى الأرواح . ووقف وينجت على كثيب من الرمل بجوار الإراوادى ، ولحيتـه الطويلة تتدلى على صـدره ، وعلى كتفيه غطاء من الصوف كأنه بدوى يقود قبيلته الصغيرة . لم يتردد

وينجت ولم يلبث أن أومض فى ذهنه قرار حاسم كالبرق . أمر الشنادوة بالتفرق جماعات كل جماعة ٤٠ نفراً ، وأمرهم بالتنقل مختفين بين الأدغال — كما يفعل الصبية فى لعبة « الاستغماية » — إلى أن يضلّ العدو . لم يمض على هذا القرار ٤٨ ساعة حتى تمكنت الجماعات كلها من عبور النهر بسلام . ثم دفنوا أجهزتهم اللاسلكية ، وحطموا عتادهم الثقيل ، واستقبلوا الهند ، تقودهم إليها جادّة متعرجة غير ممهدة يبلغ طولها ٣٠٠ ميل .

لم يعد من المستطاع تموينهم من الجو بعد أن حرموا أجهزتهم اللاسلكية . وأكل الشنادوة أول ما أكلوا ثيرانهم وبغالهم ، ثم عاشوا على الأرز ، والثعابين ، والنسور ، والموز ، وجذور النبات ، وحساء متخذ من الأعشاب أحياناً . ولم ينفك العدو يتصيدهم فى كل خطوة يخطونها ، فاضطروا إلى مجانبة موارد الماء ، فربما ساروا عدة أيام لا يشربون إلا جرعاً قليلة من الماء يستخرجونه من جوف أعواد الغاب . وما كان وينجت بغافل عن أن سلامتهم تتوقف على السرعة ، ولذلك ساق رجاله أمامه بلا رحمة ولا هوادة .

ولما آبت الحملة ، بعد إنجاز مهمتها ، خلعت عليها ألقاب التدليل والإعزاز ، فقد أطلق عليها : « سيرك وينجت » و « ملاحيس وينجت » و « فتوّات وينجت » . ولا غرو فإن الضباط منهم زمرة عجيبة من رجال أشداء على غرار الكوماندو . فهذا « كالفيرت » المسمى تارة « مايك المجنون » وتارة « مايك الديناميتى . . . » الخبير فى نصب الأشراك ، وفى التخريب ، فهو فنان تخشع نظراته وترقّ كلما ورد ذكر الديناميت على لسانه . ولا يزال كالفيرت فى العشرين من عمره ، ولكنه لم يترك ميداناً من ميادين الحرب إلا وقام بنصيبه من القتال فيه وراء خطوط العدو . وهذا هو الميجور (الصاغ) برنارد فيرجوسون — صاحب المونوكل — فإنه تخلى عن منصب مريح فى القيادة راجياً أن تسنح الفرصة لينتف للميكادو لحيته . وقد قال وهو واقف يشاهد الجسر المقام على أخدود بونشونج ، ينسف وتتطاير شظاياه إلى السماء : « لشد ما كنت أتوق طول حياتى إلى نسف الجسور ! »

وكان فيرجوسون قد حمل معه كتاباً من تأليف ترولوب القصصى الشهير ليقرأه غير أنه اعترف فيما بعد قائلا : « لقد دخنّا صفحاته السمائة كلها ، وما ذا نفعل ، وقد بقى لدينا تبغ كثير على حين أن ورق اللف كان قد نفد ؟ »

أما الملازم (اللفتننت) جيوفرى لوكيت ،

وهو تاجر خمور من ليفربول — وكان يلقب « الأعجوبة الهتماء ذات الإزار » — فهو رجل قد تساقطت أسنانه جميعها ، وأطلق لحيتــه حتى تدلت إلى وسطه ليخيف بها اليابانيين ، وظل طول الحملة وهو يصر على ارتداء إزار أهل إسكتلندة القصير .

وكان بينهم أمريكي واحد : هو الملازم الطيــار جيمس جيبسون وكان يلقب « كارولينا » ، وقد ذكر سبب تطوّعه فى الحملة فقال : « لقد سئمت إسقاط طائرات اليابانيين ، وأردت أن أشاهـد عن قرب ملامح اليابانيين اللئام وقـد انهالت عليهم مصائب القتال » .

وكذلك جمعت « شلة وينجت » أميراً من أمراء بورما ، ومؤرخـاً من أكسفورد ، والملازم وليم إيدج البارع فى تحضير طبق من لحم الجاموس المفروم ، وصولا من الكوماندو ، وهو روبرت بلاين من أهالى إسكتلندة ، وإنه ليتمتم كلما تحرج الموقف : « لقـد صدقت جدتى : عنـد الامتحان يكرم المرء أو يهان » .

ولما عاد وينجت إلى الهند سموه تكريماً له واحتفاء به ، لورنس بورما ، فقد أكسبته مغامراته فى حرب العصابات فى الهند لقب « لورنس الهند » و « لورنس الحبشة » أما فى إنجلترا فقـد اكتفوا بتلقيبه « لورنس الحـديث » . والواقع أنه يمت بصلة القربى إلى لورنس الذى كان يغامر فى بلاد العرب فى الحرب الماضية . وإن من يتتبع تاريخ الجيش البريطانى يخيل إليـه أنه يخرج على رأس كل جيل جندياً نابغاً غريب الأطوار على غرار وينجت ، فقد سبقه « كليف » بطل الهند ، و « غوردون » ، بطل الصين والخرطوم . ولورنس بطل البلاد العربية .

ووينجت قائد يحارب بالسـيف فى يد وكتابه الدينى فى يد ، فهو يؤمن بفضائل الصلاة إيماناً عميقاً ، وهو صـوفى يستغرق فى التأملات الروحية على طريقـة اليوجا الهندية ، وهو فوق هذا وذاك جندى قد عركته الحرب ، يهيم بالقتال حباً فى القتال . وانه ليبدأ يومه بالصلاة ، ويتخذ من نصوص الإنجيل رموزاً لرسائله السرية ، وهكذا يجرى فى دمه غرامه بالسـيف ، وإيمانه بالدين ، وإحساسه المرهف بطبائع الشعوب النائية . فقد قضى أبوه ٣٢ عاما فى خدمة الجيش الهندى ، فلما تقاعد قام بدعوة دينية فى بلاد الباثان ، على حين كانت أمه سيدة تقية ذات إيمان فنشأته على مذهب السلفيين « بيورتانز » .

ووينجت ضامر الوجه تنم عيناه الزرقاوان الغائرتان ونظرته النفاذة عن ذكاء متقد ، وهو دقيق الأنف ، مخروط الوجه ، ذو فم

يدل على القسوة ، أما شعره الأشقر فقد استطار فيه الشيب . وكان يرتدى وهو فى بورما قميصاً أزرق ممزقاً وسراويل خشنة وخوذة عتيقة الطراز تقيه الشمس .

ومن نظرياته المحببة إليه أن الإنسان يستطيع أن يختزن من نشاطه للمستقبل كما يختزن الجمل الماء فى جوفه . فتراه فى الميدان قادراً على مداومة العمل أسابيع متتالية لا يغمض له جفن إلا ساعات معدودات ، فإذا انتهت مهمته مكث عدة أيام مستغرقاً فى النوم أو سارحاً فى أحلام اليقظة . وهو يؤمن بالسلامة البدنية ويتعصب لها ، فلا يدخن ، ولا يتزعزع إيمانه بفوائد البصل الصحية فهو لا ينفك يمضغه غير مطبوخ وهو ماض فى سيره .

وإذا كان الرجل رجل حرب كوينجت، أدهشتك منه كثرة أهوائه التى يصبو إليها ، فقد تسمعه فى الصباح ، يتغنى بالعربية ، ثم هو شغوف بالموسيقى ، وقد يمكث الساعات الطوال مستلقياً على الأرض يستمع إلى سيمفونى من أسطوانة . وأما ذوقه الأدبى فمتفاوت يمتد من شاكسبير إلى الفكاهات الشعبية ، ولكنه يفضل الكتب الجدّية .

جرى أول لقاء بين وينجت وزوجته الجميلة على ظهر سفينة فى البحر الأبيض المتوسط . كانت فى الخامسة عشرة وكان هو فى الثلاثين . ويقول وينجت عن هذا اللقاء : « ما رأتنى حتى تقدمت إلى وقالت : إنك أنت الرجل الذى سأتزوجه . فكنا فى سرعة البت كقائدين من الكوماندو يضعان بينهما خطة مشتركة . وكان شعورنا ، كلينا ، واحداً متفقاً » .

وإذا تحدث وينجت فكأنما يتلو من دائرة معارف . فهو مع الضباط فى ناديهم يحاضرهم منوهاً بعظيم شأن اليوجا . ويحدثهم عن الضبع وحياتها الاجتماعية ، وعن خلائق الذبابة إذا حبستها فى كوبة مقلوبة ، وعن التصوير فى القرن الثامن عشر ، وعن أمثل الطرق لكسب الحرب. وتحدث مرة إلى جماعة من الضباط عن دقائق أساليب صيد الضبع بالمسدسات فى ضوء القمر فأثارت خبرته دهشتهم وعجبهم .

لا يقيم وينجت وزناً كبيراً للرتب والألقاب ولا يأبه لها . وقد بلغ خروجه عن تقاليدها حداً عجيباً ، فهو لا يتردد فى أن يقف بين رؤسائه ليناقشهم فى سياستهم ويبين لهم خطأها . ولعله الضابط البريطانى الوحيد الذى لجأ فى الأزمنة الحديثة إلى الإفادة من حق قديم مقرر ، هو تقديم شكوى من أحد رؤسائه بعريضة مرفوعة إلى جلالة الملك رأساً . ولما أثار شذوذه حنق رؤسائه المتزمتين ، مال على صديق له

يقول : « إننى ، كما تعلم ، لست بالمجبول الذى يظنون ! » .

ولعل وينجت هو أحد الرجال القلائل الذين استطاعوا فى هذه الحرب أن يسيطروا على عقول بعض الشعوب . فهو يحمل معه أينما سار آلة ناسخة ، ومكبراً للصوت ، وتصحبه جماعة من الأهالى قد مرنوا على الدعاية . فكلما مرّ بقرية فى بورما تريث حتى يوزع على سكانها منشوراً بلغة سهلة خلابة ، ومما قاله لأهالى بورما : « هؤلاء الرجال الأغراب الذين حلوا بدياركم سحرة يسخرون الرياح وقواها الخفية ، وإنهم سيخلصونكم من اليابانيين القساة الغلاظ الوجوه والأكباد » .

وبلغ من إجلال سكان بورما له أنهم لقبوه « حامى المعابد » ، وحرصوا على كتمان حركات الشنادوة ، بل كانوا لهم أدلاء يرشدونهم إلى دروب خفية فى الأدغال . ولولا هـذه المعونة لتمكن اليابانيون من اللحاق بالحملة وإبادتها .

أما حملة الحبشة فقد تمثلت فيها أساليب وينجت : إقدام جرىء ، وأخذ للعـدو على غرة ، وخداع بحيل لا تخيب . وقـد تمكن وينجت بقوة لا تزيد عن ١٨٠٠ مقاتل من السودانيين وعساكر الأحباش من الاستيلاء على معاقل الإيطاليين عنوة ، بسلسلة من الهجمات السريعة كأنها طعنات السيف . ثم انضم إليه جماعة من عصابات الأحباش ذوى الشعر الأشعث ، الذين أصر وينجت على تسميتهم « حماة الوطن » . وقد بلغت الخسارة التى أصابت الإيطاليين على يد هـذا الجيش الضئيل ٤٠٫٠٠٠ جندى بين قتيل وأسير . وفى مايو سـنة ١٩٤١ دخل وينجت مدينة أديس أبابا ، وهو على ظهر جواد أبيض يسـير مع الإمبراطور هيلاسيلاسى جنباً إلى جنب .

وبلغ من اقتناع الجنرال ويفل بأساليب وينجت أن استدعاه إلى الهند فى خريف ١٩٤٢ ، ورقاه إلى رتبة بريجادير وأطلق يده فى إنشاء قوة كبيرة من الـكوماندو ، لتـكون طليعة الجيش عنـد شروعه فى استرداد بورما . ويقول وينجت :

« ليس اليابانى مخـلوقاً فوق البشر ، وكل خططه فى الميدان وليـدة عقل من الدرجة الثالثـة . . . على حين أن القتال فى الغابات يتطلب فطنة ودهاء وقوة احتمال . وقد عرف اليابانى ببالغ قدرته على الاحتمال إلا أنه يعجز عن الاهتداء إلى حل مشكلة طارئة لم يواجه مثلها من قبل . لقد أثبتنا أننا نستطيع أن نقهر اليـابانى فى ميدانه الذى اختاره لنفسه ! » .

يشفى الاخصائيون العقليون فى الجيش ، الجنود الذين تأثرت عقولهم بأهوال الحرب ، ويعيدونهم إلى الخدمة

صدمة القنابل حالة لاوجود لها

فردريك باينتون

قاد جاويش أمريكى من المشاة كتيبة فوق المنحدرات التى لفحتها الشمس وراء مدينة أنّا فى صقلية ، وكان قد مضى عليه هو ورجاله أيام متعددة لم يستقرّ لهم نوم ، ولم يهنأ لهم طعام ، ولا تزال تضربهم المدافع الرشاشة وتقذفهم القنابل ويصيدهم الرصاص ، وإذا بإحدى بطاريات مدافع الهاون الإيطالية تقذفهم بقنبلتين عن يسارهم.

وقد سمع الجاويش صوت القنابل مقبلة ، فصاح برجاله أن ينبطحوا ، وقذف هو بنفسه على الأرض واستلقى ، وصفرت القنبلتان ثم انفجرتا ، وقتل ثلاثة من رجاله ، وارتفع هو فى الهواء مرتين من عنف الرجة المخيفة.

قام الجاويش ، ولم يكن يبدو عليه أنه أصيب بأذى ، ولما كان ضابط صف شديد المحافظة على واجبه ، فقد قاد الناجين من رجاله وتقدموا للاستيلاء على الموقع . وفى إحدى فترات الهدوء فيما بعد ، حملق فجأة وهو ذاهل فى يده اليمنى التى كانت فى جيبه ، وأراد أن يخرجها ولكنه لم يستطع إلا وهو يستعين على شدها بيده اليسرى ، فما كاد حتى هوت متهدلة إلى جانبه . فأخذ يلطمها وهو دهش غضبان ، ولكنها كانت قد فقدت الحس ، فقد أخذ الشلل ذراعه ويده.

وظل الجاويش أسبوعاً لم يبلغ عما أصابه، إذ كان يرجو أن تستعيد ذراعه الحركة والحس ، فلما لم يكن ذلك ، قبل فى نهاية الامر أن يغادر الميدان . وقد تبين من فحصه بالمستشفى أنه لم يصب بأى جرح ، فأعطاه الإخصائى العقلى دواء اسمه «بنتوثال صوديوم» يحدث نوعاً من التنويم ، فاستطاع الجاويش وهو تحت تأثيره ، أن يحرك ذراعه ويده وأصابعه بلا عائق، فشخصت حالته «إنهاكا» وعزل لكى يعالج علاجاً خاصا .

وقد كانت مثل هذه الحالة توصف فى الحرب العالمية الأولى بأنها «صدمة القنابل»

فردريك باينتون هو المراسل الحربى لمجلة « ريدرز دايجست » فى ميدان البحر الأبيض التوسط ، وقد شهد كثيراً من أحداثه ووصفها

وهو الاسم الذى كان يطلق على الأمراض النفسية الناشئة من الحرب ، ولم يكن المريض ينال فى الحقيقة أى علاج شاف . وقد كان من العسير على الأطباء فى الميدان أن يميزوا فى الأمراض العصبية بين المريض والمتمارض، حتى صـار يظن فى كثير من الرجال أنهم يتظاهرون بأعراض الأمراض المختلفة لـكى يروغوا من القتال . فـكثيراً ما كان زملاؤهم يصيحون بأحدهم : «ياجبان» فما كان ذلك إلا ليزيد حالاتهم سوءا . أما علاجهم فـكان علاجاً فظاً ، إذ كانوا يعزلون ويحرمون الزيارة والتراسل ، ويكلفون أعمالا شاقة مملة ، ويعطون أدوية مرة المذاق ، وكان يظن أنهم قد يفضلون العودة إلى وحداتهم على احتمال ذلك العذاب . وقد برأ منهم عدد قليل بطبيعة الحال ، أما الأ كثرية فصارت أمراضهم ثابتة ، فـكانوا يرحلون إلى الولايات المتحدة بالألوف لـكى يظلوا بعـد ذلك عالة على الشعب . وازدحمت مستشفيات الأمراض العصبية والعقلية الخاصة بالمحاربين القدماء بهذه الأنقاض من بقايا الحرب .

ولم يعرف إلا فيما بعـد ، بعـد فوات الأوان ، أن هؤلاء الرجال كانوا حقـا مرضى يعانون أشـد ضروب الأذى التى يمكن أن تبتلينا بها الحرب .

وقد مضى زمن وارتفاع نسبة الإصابة بأمراض الحرب النفسية فى الحرب العالمية الأولى ، يعزى إلى قصور مقاييس العقـل التى يسـتخدمها الجيش فى التجنيد ، فلما أدخل نظام التجنيد مرة أخرى فى عام ١٩٤٠ تطلب امتحان المجنـدين مستوى عالياً من الوجهتين العقليـة والجسمية على السـواء . ومع ذلك فقد اتضح منذ الأيام الأولى لحملة شمال أفريقية ، أن أمراض الحرب النفسية — ولم تزل تسمى « صدمة القنابل » — كانت تحدث عدداً كبيراً من الإصابات .

وقد تبين أيضاً أن ضحايا أمراض الحرب النفسية كانت كثيرة فى الجامعيين كـكثرتها فى غيرهم ممن هم دونهم فى الـكفاية العقلية .

وقد عقد أطباء الجيش عزمهم على ألا يعيدوا إلى أمريكا هذه المرة تلك الألوف من الشباب المصاب باضطراب نفسى . وقد قال لى اللفتنت كولونيل بيرين لونج الطبيب السابق لمستشفى جونز هوبكنز ، والطبيب الآن بحملة شمال أفريقية : « إن أعظم نجاح للطب فى شمال أفريقية هو توفيقه فى الوصول إلى علاج شـاف لأمراض الحرب النفسية يهىء أصحابها اما لمواصلة القتال، وإما لمزاولة بعض الأعمال النافعة فيما وراء خطوط القتال. وخـير من هذا كله أن هؤلاء الرجال سيستطيعون فى أيام السلم أن يملـكوا زمام أنفسهم وأن يقوموا بأعمـال منتجة . أما

صاحب الفضل فى ذلك العلاج الذى يعيد الجنود إلى المعركة فإنه هو الماجور «فردريك هانسون» .

وقد تحدثت إلى الماجور هانسون الذى كان يزاول صناعته من قبل فى مونتريال ، وهو رجل نحيل صغير ، يلبس نظارة ، عظيم التواضع ، ولم يزل هادئاً حتى ذكرت له « صدمة القنابل » ، فأجابنى بشىء من الحدة :

«ليس ثمة شىء يسمى «صدمة القنابل» . وقد كان هذا الاصطلاح متداولا فى الحرب الماضية ، لأن الأطباء فى ذلك العهد كانوا يظنون أن ضحايا أمراض الحرب النفسية إنما يعانون ارتجاجاً فى المخ ناتجاً من عنف الانفجار ، والواقع أن حالات الارتجاج نادرة جداً ، أما الاسم فقد بقى وسبب أذى كثيراً . فكان الجندى حين يعرف أن مرضه هو «صدمة القنابل» يظن أنه قد جُن فتسوء حالته . ولكننا هنا فى أفريقية نسمى هذه الحالات « الإنهاك » ، ولعل هذه هى خير كلمة نصف بها ، بوجه عام ، الأنواع المختلفة لأمراض الحرب النفسية .

« وهناك أمر آخر ينبغى تذكره ، ذلك أن الإنهاك ، أو المرض النفسى الناشىء عن الحرب ، يصيب جميع أنواع الجنود ، فلا علاقة للشجاعة أو الجبن به ، ولا للزمن الذى يقضيه الجندى فى التدريب العسكرى ، فإن الأعراض ذاتها تصيب الجنود المختارين مثل الطيارين وجنود القاتلات وقاذفات القنابل .

« وأقوى العوامل أثراً فى حدوث الإنهاك هو ما يهز النفس من الصراع بين الرغبة فى أداء الواجب وبين الغريزة القوية لحفظ الذات . ولتذكر دائماً أن الخوف هو الإحساس الطبيعى للانسان حين يواجه خطر الموت ، وجميع الجنود يذهبون إلى الحرب وهم فى حالة جزع ، ولكنهم يقهرون الجزع بقوة الإرادة التى تعينها المرانة والدُّرْبة .

«ولكن القتال الشديد المستمر ، وعدم انتظام الطعام والنوم ، يؤديان إلى إنهاك البدن ، كما أن تتابع مآزق الموت توتر أعصاب الجنود إلى أقصى حد . ثم يتراكم هذا الجزع ، فكلما كان الجندى أقرب إلى الإنهاك البدنى ، شق عليه أن يقهر جزعه بقوة الإرادة . وفى نهاية الأمر تنفجر قنبلة أو يموت صديق له فتستسلم إرادته استسلاماً تاماً للعذاب الداخلى ، فلذلك يكثر أن نسمع المريض فى حالات « الإنهاك » يقول : « لقد احتملت أطول مدة ممكنة ، ولكنى لم أستطع أن أحتمل أكثر من ذلك » .

«هؤلاء الضحايا يستحقون الرثاء ، فلطالما

شاهد المرء ، أثناء اشتداد القتال فى صقلية ، جنوداً يبكون بكاء هستيرياً ، أو يشردون من الصفوف الأمامية وكأنهم يمشون نائمين ، فى وجوههم الذهول أو الفزع ، وأعينهم غائرة ، وشفاههم متهـدلة ، يرتجفون كأن بهم قشعريرة من البرد ، ويسيرون بركب متخلعة كأن أرجلهم تنوء بعبء أجسامهم . وكان بعضهم لا يستطيع أن ينبس بكلمة فيتمتم متلعثما ، وكانوا يفزعون فزعاً شديداً لأخفى صوت ، كأنهم أطفال يلجم أفواههم الفزع . وقد كانوا كالأطفـــال فى طلبهم للمساعدة والعون .

« ولم يكن يبدو أنه يمكن أن يبرأوا أبدا ، ولـكن العلاج كان يفعل الأعاجيب . فكانوا يعطون بعض المسكنات لـكى تساعدهم على النوم ، ويعتنى بطعامهم وتدفئتهم ، ثم يُفكّ عنهم الـكابوس الجاثم عليهم بالتخدير الذى يهيئه لهم « البنتوثال صوديوم » ، ثم يأتى طبيب الأمراض العقلية فيشرح ما وقع لهم ولمَ وقع ، ويحدثهم مشجعاً لـكى يقوى نفوسهم . ويعاملون طبقاً للنظام العسكرى لا نظام المرض ، ويبقون على اتصال برجال وحداتهم ، فيتم الشفاء فى مدة تتفاوت بين أربعة أسابيع وخمسة ، وبعضهم يبرأ بعد أيام قليلة .

« ولـكن جدّ اكتشاف هام ، ذلك أن عـدد الذين كانوا يستطيعون العودة إلى صفوف القتال الأمامية كان لا يتجاوز ٢ ٪ من مجموع حالات الإنهاك التى كانت ترسل إلى مستشفيات القواعد ، فقرر المـاجور هانسون والماجور لويس تورين أن يجريا بعض التجارب على ٩٥ حالة ، وذلك بأن يقوما من مبدأ الأمر بعلاجها فى ميـدان القتال على دوى المدافع وتحت الغارات الجوية المتواترة ، فاستطاع ٦٠ منهم أن يعودوا إلى صفوف القتال بعد أربعة أيام ، وبإعادة فحص ٤٤ من هؤلاء الستين بعـد ثلاثة أسابيع ، تبين أنهم جميعاً ما عدا خمسة ، اشتركوا فى قتال عنيف ، وكانوا يقومون بواجبهم قياماً مرضياً ، وأغلبهم واصـل القتال حتى نهاية الحملة دون انتكاس . أما الخمسة والثلاثون الذين لم تظهر عليهم علامات الشفاء بعد أربعـة أيام ، فقد أرسلوا إلى أحـد مستشفيات القواعد ليستمروا فى العـلاج ، وقد شفى أغلبهم حتى استطاعوا العودة إلى العمل فى غير ميادين القتال » .

وقد وصف الماجور هانسون حالة مثالية للجزع الشـديد فقال : « فى أثناء القتال بالقرب من سد جنان شوهد أحد المشاة ، بعد حملة شديدة من الطائرات المنقضة ومن قذائف مدافع الهاون ، شـارداً يدور لا يتكلم ، وكان يرتجف ارتجـافاً عنيفاً

ويجفل فزعاً حتى من وضع أصبع على أى جزء من بدنه ، فألزمناه الفراش وأطعمناه طعاماً حسناً وأعطيناه بعض المسكنات لكى ينام . وبعد أسبوعين تمكن من الكلام ، ولكنه كان أيضاً يضحك ويصيح قائلا : « الطائرات المنقضة ! » ثم يختبئ تحت الفراش . وكان يستطيع العزف على الأكورديون ولكنه كان لا يعزف إلا أغنية « ربما »، وحين يعزف يغشى الذهول وجهه ، وتنحدر الدموع على خديه .

« وقد استطاع أثناء تخديره « بالبنتوثال صوديوم » أن يستعيد ذكريات المعركة كأنه يخوضها وأن يتحدث عنها ، فاكتشفنا أنه ذهب إلى المعركة وهو قلق مهموم على زوجته الحامل ، التى كانت أغنية « ربما » هى أغنيتها المفضلة . وقد شفى بعد علاج أربعة أسابيع ، ولكنه لم يذهب إلى الصفوف الأمامية ، غير أنه أصبح يستطيع القيام بأعمال نافعة ، ولن يصاب بأى اضطراب عقلى دائم يجعله عبئاً على الشعب بعد الحرب » .

وقص الدكتور هانسون قصة حالة أخرى أخف من هذه فقال : « واصل شاب من سائقى الدبابات القتالَ أياماً متعددة ، وفى معركة ممر قصرين أصيب جاويش الدبابة وهو يطل برأسه من برجها بشظية من قنابل ٨٨ ففصلت رأسه ، وهوى الجسم مقطوع الرأس إلى جانب السائق ، فأوقف الشاب دبابته وقفز منها، وأخذ يعدو فيما حوله وهو يعصر يديه . ولما جىء به إلينا كان يبكى ، وكان منهوك البدن فأعطيناه طعاماً وبعض المسكنات ، وشرحنا له ما حدث ، وبعد أربعة أيام عاد إلى وحدته ، وقاتل حتى نهاية الحملة » .

وبعد فترة من السكوت عاد الماجور هانسون يقول : « إن الطريقة المثلى بطبيعة الحال هى أن يستطيع أطباء الوحدات اكتشاف حالات الجزع هذه قبل استفحالها كما يفعل أطباء الطيران فى الأسراب الجوية ، ولكن هذا مستحيل عملياً لانتشار الجنود فى نطاق واسع ، غير أننا ندرب الأطباء على معرفة الأعراض وفهم الحالات ، وكلما زادت فرقنا دربة ونضوجاً واستبعد الضعاف منها قلّ عدد هذه الإصابات » .

وأضاف الماجور هانسون إلى ذلك ، أن حالة السوداء الشديدة قد تعوق الشفاء أحياناً ، وذكر حالة ملازم شاب من فرق المشاة قذفته فى الهواء قنبلة منفجرة فقال : « فلما جىء به كان يرتجف رجفة عنيفة ، وكان كل ما يستطيع أن يقوله هو «من؟» ، وقد عرف أحد زملائه من الضباط ، ولكنه لم يكن يستطيع أن يذكر ما حدث له إلا بالإشارة . وإذا جاء ذكر بعض رجال فرقته

أمامه كان يتأوه ويغطى وجهه بيديه ، ثم يتنهد ويهز رأسه . وقد استطاع أن يعرف صورة زوجته وأبقاها إلى جانب فراشه ، ولما أعطيناه العلاج المعتاد استولى عليه غم شديد ، وأخذ يردد أنه خاب ، وأنه لم يؤدّ واجبه ، وأنه لن يستطيع العودة إلى بلده أبدا فيواجه زوجته ووالديه .

« وقد رأينا عدداً كبيراً من أمثاله يعتقدون أنهم قصروا فى حق زملائهم ، أو أنهم كانوا سبباً فى موتهم . وهذه حالات مستعصية ، غير أنه مما يدهش أن نرى كيف يستمر كثيرون من هؤلاء الشبان يعملون بقوة إرادتهم وحدها إلى أن تنتهى مهمتهم قبل أن يسقطوا صرعى . وقد رأيت اثنين من حملة النقالات يكدحان طوال الحملة ، ولما أشرفت على نهايتها كانا يحملان الجرحى تحت سيل منهمر من قذائف الهاون ، وظلا يسيران حتى أوصلا الجرحى إلى المركز الطبى ، وعندئذ جلسا وانفجرا يبكيان ويأتيان بحركات هستيرية . وبعد أربعة أيام عاد أحدهما إلى عمله ، أما الثانى فغلبت عليه اللعثمة وأصبحت حالته حالة مستعصية . وهذه الحالات التى تشبه حالة الجاويش المشلول الذراع هى أيضاً حالات يستعصى علاجها .

« وأحسب أن حالات الانقباض المصحوب بشعور الخيبة والتقصير تدل على ارتفاع المستوى العام للاحساس بالمسئولية والواجب . وقد صادفتنا حالات قليلة من التمارض ، ولكننا لم نصادف حالات جنون حقيق ناشئ من الحرب ، فإن الحرب لا تدفع الناس إلى الجنون ، ولا يجن إلا من كان للجنون أصل قديم فى تاريخه .

« إن أمامنا مهمة كبرى لم نخط بعد إليها إلا الخطوات الأولى ، وقد نجحنا فى علاج الإنهاك ، وأنقذنا الرجال من ذلك الكابوس المفزع كابوس الأوهام التى ترسخ فى العقل ، وسيعود شباننا إلى ذويهم أذهاناً متوقدة صافية ، لا حطاماً مترنحاً من الأعصاب . وأنا لا أستطيع الآن أن أعطيك أرقاماً ، ولكن الحالات الناجحة تعد بالمئات ، وستصل إلى الألوف . وإنى لواثق بأن أثر ذلك يجعل عملنا هذا أعظم الأعمال الطبية التى نضطلع بها »

الغضب ريح تهبّ فتطفئ سراج العقل .

[روبرت إنجرسول]

أجمل فترة في حياة الإنسان

والتر پتكين، أستاذ الصحافة فى جامعة كولمبيا سابقاً، هو مؤلف كتاب « الحياة تبدأ فى سن الأربعين » وهو الكتاب الذى صادف رواجاً عظيما. وهو شديد الحفاوة بدراسة الطبيعة البشرية. وقد قام فى العام الماضى برحلة فى أنحاء الولايات المتحدة، وسأل أشخاصاً مختلفين عن السنوات التى يعتبرونها أحسن فترة مرّت فى حياتهم، وسنعرض عليك ثلاثة من أمتع الردود:

قالت أرملة تاجر البيض والزبدة: إن أجمل سنوات قضيتها فى حياتى بدأت بعد محنة خيّل إلى فى بادئ الأمر أننى لن أفيق منها. فقد كنت فى حياتى الزوجية كعروس من الخزف، أرفل فى بحبوحة من الترف والرفاهية، ولا أعلم من أمر الدنيا شيئاً. فكان زوجى يعنى بتدبير المنزل، كما كان يعنى بإدارة عمله الناجح، فى حين كنت أنا أنعم بحياة ناعمة حلوة خالية من التبعات.

وكان لزوجى شريك، فاختلس ذات يوم رأس مال الشركة ولاذ بالفرار. فمات زوجى غماً بعد شهر من الحادث. فوجدت نفسى، أنا وارثته الجاهلة فى تجارة البيض والزبدة، أسير فى مكتبه المهجور، وشرعت أتفهم طبيعة العمل.

ولكن أصدقائى توسلوا إلىّ أن أبيع ما بى بأى ثمن كان، إشفاقاً على من أنتهى إلى الإفلاس، غير أن قوة خفية حفزتنى إلى العمل، فتهالكت عليه ودرسته بإمعان. وأخذت أزور رجال المال وتجار الجملة وعملاء المحل، وأنا مشغوفة بمعرفة كل شىء، حتى أعود مساء إلى مخدعى خائرة القوى. وهكذا أخذت عروس الخزف تواجه الحياة.

وبعد مضى عام كنت لا أزال أرزح تحت عبء الديون، كما خسرت نصف عملائنا القدماء، إلا أننى بدأت آلف العمل وأدرك أسراره.

وبعد ثلاثة أعوام استطعت أن أثبت قدمى وأشق سبيلى، حتى صار ربحى، أو كاد، كربح زوجى. وكان هذا نجاحاً باهراً لمن كانت « عروساً من الخزف ». ثم عاد إلىّ

معظم عملائنا القدماء ، فزادت شهيتى للأكل ، وزاد نصيبى من النوم ، وجعلت أتمادى فى المزاح أكثر مما كنت أفعل فيما مضى .

وكنت يومئذ فى التاسـعة والثلاثين من عمرى . وأنا الآن قد ناهزت الخمسين ، ولا أزال أعيش فى أجمل فترة من حياتى ، وهى تلك السنوات التى أظهرت أحسن فضائلى .

* * *

قالت زوجة بائع الأزهار : أما حياتى فقد بدأت بعد أن تزوج أصغر أولادنا ، فوجـدت نفسى أنا وزوجى وحيدين لأول مرة بعد ٢٩ عاماً . فقد ربينا أولادنا الأربعة ، وكنا ندير محلا صغيراً لبيع الأزهار ومحلا آخر لاستنباتها . وكنا نعمل بجد ولا نستريح إلا قليلا . وقد استطعنا أن ندخر بضعة آلاف من الدولارات ، فلم نتردد فى بيع تجارتنا حينما تقدم رجل لشرائها بثمن معتدل .

كنت أنا وزوجى نحلم دائماً برؤية العالم ، وما قرأناه فى الـكتب عن البلاد النائية وأهلها ، « فوظفنا » كل ما نملك فى أوراق مالية تدر علينا الآن ٣٢ دولاراً فى الأسبوع ، وهو مبلغ لا يكفينا لـكى نجوس خلال العالم فى أبهة ، ولـكنه يعيننا فى رحلتنا ، على أن نزاول أى عمل يصادفنا فى طريقنا .

واتفقنا على أن نتنقل رويداً رويداً من بلد إلى بلد ، وأن نتجنب الإقامة فى الفنـادق الأمريكية وأن نعيش مع أهل البلاد لنتعرف أخلاقهم . فذهبنا فى بادىء الأمر إلى هافانا ، فاشتغلنا أربعة أشهر . ثم ذهبنا إلى ريو ، ومونتفيديو ، وبونس إيرس ، فـكنا نعلم اللغة الإنجليزية ، أو نحرس أحد قصور العظماء ، أو نرشـد السائحين ، وقد بلغ بنا الأمر أن افتتحنا محلا لبيع السندويتش .

زرنا ١٩ دولة ، ثم جاءت الحرب حائلا دون المضى فى سـبيلنا . وحين تضع الحرب أوزارها سنعود ونضرب فى فجاج الأرض لنجدد صداقتنا القديمة فى أنحاء العالم . فنحن الآن أكثر من أن نكون أمريكيين وحسب ، فالدنيا كلها وطن لنا . وإننا لنحس فى نفوسنا قوة تحير عقولنا ، لأننا نعلم أن فى استطاعتنا أن نسافر على أقدامنا إلى أى مكان . ومع ذلك فهل تعلم : أننا كلينا فى الستين من العمر !

* * *

قال عضو مجلس الشيوخ :

أما أجمل فترة فى حياتى أنا فقد بدأت بعد أن قضى أبى نحبه فى حادث انفجار وقع فى مصنع ، ولم يكن قد ترك لأمى غير الذكريات . وكان منزلنا قد أغرقه الرهن بجميع ما فيه ، ولم نكن نملك للشهر القادم إلا ما يمسك الرمق . وكذلك تركت المدرسة وأنا فى الرابعة عشرة لأبيع الصحف .

وكان ما أعلمه من أمر الدنيا أقل مما يعلمه لِداتى ، فمكثت كمن قفز فى ماء قارس . وظلت أسرتى تتضور جوعاً ، فما تنفعها السبعة الدولارات أو الثمانية ، التى كنت أكتسبها فى الأسبوع .

ولكن ، ليجزى الله أحد أصدقاء والدى على حسن صنيعه ، فقد هيأ لى الأسباب لأتخذ مكاناً أبيع فيه الصحف فى ركن قريب من المجلس البلدى ، فكنت أبيع صحف الظهر لشيوخ البلد ورجال القانون البارزين . ولم يمض على ذلك وقت طويل حتى صار العمدة يجاذبنى أطراف الحديث . ثم توثقت عرى الصداقة بينى وبين أحد شيوخ البلد ، فأعاننى على شراء كشك لبيع الصحف فى حى الأعمال المالية . فتمكنت بعد فترة قصيرة من أن أحادث الساسة المشهورين ورجال الأعمال المعروفين فى المدينة .

وقد عانيت كثيراً من الأشرار واللصوص ، ولكنى اكتسبت فى مقابل خسارتى خبرة بالناس عادت علىّ بالخير ، ولولا هذه الخبرة لما بلغت مقام عضو فى مجلس الشيوخ . ولقد تعلمت أن كل معرفة بإنسان غريب ، إنما هى حجر تلقيه فى بحيرة هادئة لا يلبث أن تنداح منه موجات مستديرة تأخذ فى الاتساع إلى أن تبلغ أقصى ضفاف البحيرة .

وقد دأبت على مطالعة الصحف المحلية بإمعان ، ومناقشة الناس فيما يرد فيها من أخبار ، فأصبح كشكى ندوة يتشاور فيها الناس . وكان رجال المال وهم فى سبيلهم إلى عقد الجلسات يقفون علىّ ، فيناقلوننى الأخبار ، ويبادلوننى الرأى . ولقد كتبت عنى إحدى كبريات الصحف فوصفتنى بأنى بائع الصحف الذى يعرف أحوال الرأى العام وتطوراته ، فعيننى العمدة بعد ذلك بأيام فى مركز خطير . ومنذ تلك اللحظة استطعت أن أمضى قدماً فى حياتى السياسية .

مهندس ماهر ورجل أسرة
مسالم ومن أنفع الأحياء

طبائع القندس الكدود

بيل كننجهام

ملخصة عن مجلة « كوليير »

لقد فات الطبيعة أن تعلم القنْدُس كيف يقاتل. فهو على أنه جسيم إلى حد الكفاية، ومسلح بأسنان قوية ومخالب مرهفة، إلا أنه دمث الطباع لين الأخلاق، حتى ما يخطر أبداً بباله أن يقاتل مهاجميه وهم يطاردونه على الشاطىء، أو ينقضون عليه من الهواء. ولذلك اضطر إلى أن يكدّ ويكدح — وإلى أن يبنى السدود.

والقندس الوَسَط طوله قدمان ونصف قدم وارتفاعه قدم ووزنه ٥٠ رطلا. وقد تشبه قدماه الخلفيتان قدمى البط، وأما الأماميتان فهما يدان صغيرتان كأنهما يدا قرد، له ذنب عريض أحرش طوله عشر بوصات وعرضه خمس، وهو له كالدفة حين يعوم، وكالدعامة حين يجلس أو يقوم، وهو وسيلة لنقل الأنباء السيئة، فإذا توجس شرا لطم الماء بذنبه، وقد يسمع رنين اللطمة فى اليوم الساكن على بعد ربع ميل، فيختفى كل قندس كان فى مدى السمع.

فإذا فاجأتْ قندساً وهو على الشاطىء فرَّ إلى بركته. وفى وسعه أن يعوم ويغطس فى الماء كالطير الغطاس، فإذا سد خياشيمه، وأرخى عضلاته وخفض ضربات قلبه من ١٠٠ إلى ٥٠، تسنى له أن يغوص فى الماء كأنه صخرة، ويظل تحته ١٥ دقيقة، فإن أنت ألجأته إلى أن يطيل بقاءه فى الماء، فقد غرق.

وزمهرير الشتاء القارص فى الشمال هو الذى يحمل القندس على بناء السدود، إذ يحرمه الماء المكشوف الذى يأوى إليه، ويصعب عليه أن يجوس خلال الثلج بحثاً عما يأكل من لِحاء الشجر، فيبنى السد لينشىء لنفسه بركة يخزن فى طين قعرها مؤونة الشتاء من الخشب لطعامه، ويبنى فوقه داراً منيعة لأسرته.

وأول ما يفعله أن يختار غابة تكثر فيها الأشجار ذوات اللحاء الغض، مثل الحور

والصفصاف وما إليهما ، فيتخذ من لحائها جلّ غذائه . ويحرص على أن يخترق المكان جدول ماء جار ، ولا يبالى أن يكون كبيراً أو صغيراً ، فإذا كان تياره سريعاً قطع هذا المهندس الماهر شجرة وعومها حتى تبلغ الموقع الذى ينوى أن يبنى فيه ، أما إذا كان الجدول بطىء الجرى فإنه يقوم بعملية الجر ضد تياره البطىء .

وما إن تستقر الشجرة حتى يعلق بها الطين وأعواد الشجر ، فيجدُّ القندس فى نقل المواد من طين وعيدان وأحجار وحشائش من الضفتين ليضمها إليها ، ويحمل فى يديه الطين ، وهو العنصر الأساسى ، ثم يغوص مدة دقيقة إلى القعر حيث يرصّها ويثبتها فى مكانها بيديه وصدغيه .

وهو يبدأ فى الوسط ويبنى متجهاً إلى كلا الشاطئين . وقد يمتد طول السد من ١٠ أقدام إلى ١٠٠٠ قدم . وفى ألاسكا سد طوله ٩٠٠ قدم ، وفى « يلوستون بارك » بولاية وايومنج سد آخر يقاربه طولا ، وفى ولاية « وسكونسن » ثالث طوله ٤٠٠ قدم .

ومستعمرات القندس صغيرة . ومع أن عدداً كبيراً من القنادس قد تشتغل جميعها فى وقت واحد ، ولكن يبدو أن أحدها لا يكاد يلقى بالا إلى صاحبه . وهى تؤثر العمل فى الليالى القمرية المنيرة ، ولا تكاد تعمل أبداً خلال النهار إلا فى الضرورات ، مثل تصدّع السد .

وحين يعلو السد يشرع كل زوجين من القنادس فى بناء سكن قد يوصل بالسد أو بالشاطىء أو بجزيرة من جزر البركة . ويؤلف أساسه من عيدان وحجارة وأغصان يحبك نسج بعضها مع بعض بحيث لا يمكن أن تتفكك أو تنهار .

فإذا ما تم بناء السد واستوى الماء واستقر، بنيت على ظهر المسكن غرفة مقببة ، أرضها من خشب جاف ، حتى لا يكاد يصل إليها الماء . وقطرها يبلغ عادة من أربع أقدام إلى ثمانى أقدام ، وارتفاعها ثلاث أقدام أو أربع . وهى ذات مدخلين ، الأول من أرض البناء ، والثانى من تحت الماء . يجعل أحدهما لإدخال الخشب والآخر لدخول أهل البيت ، أما الردهة الاحتياطية فتنفع إذا ما اقتحم عليها من تحت الماء عدو لا تتوقعه .

ولا يتم بناء السطح المجدول من القش جدلا كثيفاً حتى يحين البرد القارس ، وعندئذ تطليه القنادس بالطين فيجمد حتى يصير كأنه لوح مصفح سمكه غالباً ١٠ بوصات . وليس فى السباع ما تبلغ مخالبه من القوة بحيث يستطيع أن يخترق عليها ذلك السقف .

ويتطلب بناء مسكن واحد قندسين يشتغلان الهوينا مدة ستة أشهر تقريباً ،

أما إذا أعجلهما خطـر إطباق الجليد ففى قدرتهما أن ينجزا العمل فى ثلاثين يوما .

وفى خلال هذا الزمن تكون مؤونة الشتاء من الخشب الصالح للأكل قد قطعت فى أعالى النهر ، وعومت إلى السد ، وأقيمت على جذورها فى الطين . وبعدئذ فليأت الزمهرير بالبرد والثلج كيفما شاء ، فما على القندس إلا أن يغوص إلى (الكرار) ويعود بشجيرة ، فلا يأكل منها إلا اللحاء ، أما العيدان العارية فيطرحها فى الخارج ، كيما تستعمل فيما بعد لإصلاح السد أو البيت .

اصدع أنت صدعاً فى السد ، فما أسرع ما يبدأ ترميمه . وما هو إلا أن يطل رأس أسمر من الماء القريب من أحد المساكن ، ثم يسبح القندس إلى مكان الخلل لا يخطئه . فإذا ما فحص الصدع ، انسل فى الثلمة ثم انطلق يعمل .

ويهمل المسكن فى الصـيف حتى يكاد يصبح خراباً ، فيذوب طينه ، ويلح عليه المطر حتى يتفكك . فإذا أخذ الليـل يبرد وبدت طلائع الشتاء ، تجمعت الأسرة عند بيتها القديم ، وأكبت على رأب الصدوع وسدها حتى تعود محكمة كما كانت .

أما طريقتـه فى قطع الأشجار فعجيبـة كقدرته فى النجارة والهندسة ، إذ يقف على قدميـه الخلفيتين ويدور بالشجرة يقرضها حتى يبـدو ما بين أرومة الشجرة والجذع الذى فوقها كأنه أطراف رماح وقف سن منها على سن وأخيراً . تهوى الشجرة تسـقطها الريح أو قانون الثقل . ومع أن القنادس من دأبهـا أن تتخذ الشجيرات فى بنائها ، إلا أنها كثيراً ما تسقط من الشجر ما قطره ١٨ بوصة . ويفرغ لكل شجرة قندس واحد يقطعها بأسنان طويلة معقوفة يعلوها ميناء (الطبقة التى على الأسـنان) يكاد يكون غير قابل للكسر ، وتنمو هذه الأسنان نموا مستمراً فيضطر القنـدس أن يعنى دائماً ببردها وتقصيرها .

وقد تواتر على الألسنة أن القندس يسقط الشجر فى الاتجاه الذى يريد ، وهذا باطل . والحق أن الشجرة الهاوية كثيراً ما تحصره أو تقتـله . وهو يأمل طبعاً أن يسقط الشجر فى الماء ، وإلا فإنه يقطعه قطعاً صغيرة ويدحرجها أو يجرها إلى الماء ، فإذا تقادم العهـد على بركته حتى خلت شواطئها من الشجر ، حفر قنوات ومدها إلى الغابة لكى يعوم ما يريده من الخشب إلى البركة .

ولما كان اقتناص القندس غاية فى السهولة ، لما فى طبعه من التسليم والاطمئنان ، وكان فروه الناعم الأسمر المتين قد أصبح حبيباً إلى السيدات بعد أن كان استعماله مقصوراً على صناعة قبعات الرجال ، فقد أوشك القندس أن ينقرض من الدنيا . حتى تداركه

العاملون على حفظ أنواع الحيوانات ، فعاد يقفز مرة أخرى فى مسارحه .

ففى سنة ١٩٢٠ أطلق ثلاثة أزواج من القندس فى غابات حديقة محرمة لحفظ أنواع الحيوان على الشاطىء الغربى لنهر هدسون (على بعد ٤٠ ميلا من مدينة نيويورك) . وبعد ١٥ سنة تبين أن القنادس الستة أصبحت ١٠٠٠ تقريباً ، وأنها انتشرت فى مساحة تزيد على ١٦٠ ميلا مربعاً ، وبنت أكثر من ١٠٠ سد ، وأن عدة منها عبرت نهر هدسون ، وأن زوجين منها قد هاجرا إلى جبال كاتسكيل على بعد ٧٥ ميلا شمالا .

والآن يوجد نحو ٥٠٠,٠٠٠ قندس فى ولاية نيويورك وحدها .

وقد أصبح صيد القندس فى الولايات المتحدة تحت إشراف الحكومة ، فحين يعلن مراقب الصيد افتتاح الموسم ، يأتى الصائدون من كل فج ، ويدفعون رسوماً خاصة لهذا الامتياز . ومن الإجراءآت الرسمية أن توضع بطاقة على كل جلد . وقد صيد ٧٢٤٩ قندساً فى إحدى الولايات فى السنة الماضية ، ويساوى الفرو الواحد ٢٥ دولاراً . ومنذ بضع سنوات تبينت وزارة الداخلية بالولايات المتحدة أن القندس عامل من عوامل التقدم ، فصادت عدداً كبيراً وأطلقته فى مختلف الأنحاء ، لكى يساعد العاملين فى مشروعات شتى ، من السيطرة على حفظ تربة الأرض إلى إعداد مساكن فى الأنهر لسمك «سلمون» المرقط .

ولقد علمت الطبيعة القندس أن يكد ويكدح ، وأن يلزم بيته ، وأن يحافظ على السلام .

بسمارك ... السبب لا العذر

حين زار إمبراطور ألمانيا البابا ليون الثالث عشر حاول بسمارك أن يتبع الإمبراطور إلى حجرة المقابلة فأشار أحد حجاب البلاط البابوى على بسمارك بالرجوع إذ لا يجوز أن يحضر شخص ثالث المقابلة بين البابا والإمبراطور . فصاح بسمارك وهو يحاول اللحاق بسيده « أنا الكونت هربرت بسمارك » . فردَّ عليه الرومانى فى وقار : « إنّ هذا يفسّر سلوكك ولكنه لا يقوم عذراً له ! » .

لحم غض مركب بالكيمياء فى دن من دنان
البيرة ، ثمن الرطل قرشان ونصف قرش

على النار!

ملخصة عن مجلة « تايم »

وردت من مدينة سانت لويس بولاية ميسورى الأمريكية أنباء تهز النفس . فمن دَنّ من دِنان مصنع أنهوزر بوش لصناعة الجعة (البيرة) ، يخرج اليوم ، فى كل اثنتى عشرة ساعة ، طن من لحم طيب مرىء غض لذيذ ، كلحم الذبائح التى ظلت سنتين ترعى أحسن المراعى . وقد بلغت سهولة صنع هذا اللحم الكيميائى المركب مبلغاً جعل أولئك الذين اخترعوه يتطلعون إلى الإتيان بمعجزة جديدة فى إطعام الشعوب الجائعة بعد الحرب .

هذه المادة الجديدة ، هى فى الواقع نوع جديد من الخميرة ، وقد أضيفت إليها روائح شتى ، فلا تكاد تمُيز عن اللحم الطبيعى . والخميرة غذاء يفوق اللحم ، فهى أغنى مصدر معروف بفيتامينات « ب » ، وفيها من البروتين ضعف ما فى اللحم .

فمنذ ثلاث سنوات شرع الكيميائى البريطانى « ا . س . تايسن » يتحرى ما فى الخميرة من الغذاء إذا اتخذت طعاماً . فاستحدث منها ضرباً جديداً له رائحة مستطابة كرائحة الجوز ، يمكن أن يصنع فلا يكلف الرطل منه أكثر من قرشين ونصف قرش . والحكومة البريطانية تبنى الآن مصنعاً فى جزيرة جاميكا يصنع ألفى طن من هذه الخميرة فى السنة . وكان تايسن يرجو أن يقدم من الخميرة جرعاً مركزة ، يكمل بها الغذاء الناقص . ولكنه لم يكن يقدر أن تصبح عاملا فعالا فى قلب اقتصاد الطعام فى العالم رأساً على عقب .

ولكن ما لم يخطر لتايسن خطر « لكارل لنديجرين » ، وهو شاب باحث فى موضوعات الوراثة فى جامعة وشنطن بمدينة سانت لويس ، فسنح له أن يهيء خميرة ، متعددة الروائح والطعوم ، مشابهة للأطعمة المألوفة ، نخلط ضروباً مختلفة من الخميرة ، فانتهى هو وزوجته إلى أن ولدا منها خميرة فاخرة الطعم .

ضع ١٢٥ رطلا من هذه الخميرة فى دَنّ فيه ٧٠٠٠ جالون من الماء ، وطناً ونصف

طن من العسل الأسود (وهو الذى تغتذى الخميرة بسكره) وأمونيا (فإن نتروجين الأمونيا تحوله الخميرة إلى بروتين) . ثم يحرك المزيج لتختلط به ألف قدم مكعبة من الهواء كل دقيقة (فبغير الهواء يخمر الخمير السكر) . وبعد ١٢ ساعة تجد الخميرة التى تنمو نمواً سريعاً عظيما ، وقد تضاعف وزنها الأول ١٦ ضعفاً ، فأصبحت طناً من طعام طيب الرائحة ، هو ، قبل طبخه ، مسحوق جاف أسمر ، له رائحة اللحم أو الجوز وفقاً للصنف المصنوع . وقد أقام المصنع الدليل على أنه غذاء طيب بأن أعدَّ وجبات من اللحم والحساء والفطائر وكعك الجبن مصنوعة جميعها من هذا المسحوق .

وشركة أنهوزر بوش مستعدة الآن لصنع ملايين من الأرطال فى السنة . والجيش الأمريكى وإدارة الإعارة والتأجير، يشتريان الآن مقادير كبيرة منه . وإذ كان ثمن الرطل من الخميرة لا يزيد على خمس ثمن الرطل من البروتين ، فقد ذهب خيال المتحمسين لهذا الاكتشاف ، إلى القول بأنه سيقضى على الماشية فى المستقبل ! .

محاربة الأمية فى الجيش

اضطر الجيش الأمريكى أن يرد من القرعة ٧٥٠ ألف مجند لأنهم أميون — وهو ما يعدل خمسين فرقة من الرجال الأشداء . ولكن أراد الجيش أن ينقذ هذه القوة من الرجال ، فانقلب معلما . وقد دعى هؤلاء الأميون إلى الدراسة ثلاثة عشر أسبوعاً فإذا جازوا الامتحان بعدها ضموا إلى الجيش . وقد نجح حتى الآن ٩٥٪ منهم . ومعظم الأميين فلاحون أو من معدنى الفحم ، وقد اتفق أن كان فى إحدى الفرق ، مدرب للفيلة فى سيرك ، وعامل فى مصنع ، وسائق سيارة للنقل ، وحلاق ، ولاعب كرة محترف . وكان لا بد أن يتعلم أكثرهم كيف يمسك القلم للكتابة ، وكيف يستعمل التليفون .

هؤلاء الرجال الأشداء ينفقون ثمانى ساعات كل يوم وهم مكبون على الكتب لأول مرة فى حياتهم ، ويتصبب العرق من جباهم على وجوههم وهم يحاولون نسخ حروف الهجاء . ولكنهم متى جازوا الامتحان شمخوا بأنوفهم تيهاً وزهواً أما أول خطاب يكتبونه إلى ذويهم فهو ولاشك من الحوادث البارزة فى حياتهم.

هل ترهقك مشاعرك ؟

يجيب عنه الأطباء الذين يعرفون الطبيعة البشرية

هى امرأة شديدة مجدولة الجسم لاتُرَى إلا شاكية تسرد بياناً طويلا بما تجده من الأوجاع ، فكانت تكثر طلب الطبيب حتى عيل صبره عليها . وذات يوم ، بينما كانت تعدد له أدواءها ، قاطعها قائلا فى لهجة إعجاب : « آه ... يالها من عافية سابغة قد ظفرت بها ولا ريب ، لكى تستطيعى احتمال جميع هذه الأمراض ! » .

الدكتور جورج لنكولن والتون
كتاب [لماذا أنت مهموم ؟]

***

من دأب السوداوى المكتئب أن يضمر فى نفسه فكرة تلح عليه : أنه يجب عليه دائماً أن يبلغ غاية العافية ، وأنه ينبغى أن يكون كل إحساس من أحاسيسه مطابقاً لهذا المثل الأعلى . ولو أنه استطاع أن يوطن نفسه، على أن يتجاهل هذه الفكرة ، وعلى أن يجمع عزمه ويصرف همته إلى أمور أخرى ،ولو أنه استطاع أن يوطن نفسه على أن يقول : « إن ما أقوم بعمله أهم وأجدى مما أشعر به » ، إذن لبرئ من سودائه وانقباضه .

كتاب [لماذا أنت مهموم ؟]

كان من بين مرضاى سيدة عذراء قانطة يائسة ، يلوح أنها فقدت كل اهتمام بالحياة ، فأوشكت أن تغدو سوداوية مكتئبة. وأخيراً دبرت خطة لحملها على أن تروى لى قصة مضحكة كلما جاءتنى للاستشارة . وكان تنفيذ هذه الخطة عسيراً فى البداية ، ولكنها أخذت تجد فيها لذة شيئاً فشيئاً . وقبل أن ينتهى علاجها على هذه الطريقة ، كلِفت بجمع الحكايات وبرعت فى روايتها . وهكذا ردّت الفكاهة إليها سعادتها وبشاشتها.

الدكتور وليم س . سادلر
كتاب [البحث عن السعادة]

***

قالت لى فتاة فاتنة : « أنت تعرف يادكتور ! إنى أغالى فى احتفائى واهتمامى بكل ما أعمل ، وكل من يعرفنى يصفنى بذلك » . وهذا الوصف هو سر بلواها . لقد قال لها ذلك كل إنسان فتمكن الإيحاء من نفسها . ولم تلبث بعد العلاج أن بدأت تدرك أن « احتفاءها » ليس سر بلواها ، بل هو « اهتمامها » بأن تشهد الناس :

« اشهدوا ! ما أكثر ما بذلت من نفسى ! وما أشد تعبى ! » . إن التعبير عن النفس والرغبة الصادقة فى الحفاوة والبذل ، لا يمكن أن يكونا إلا من بواعث الجذل .

الدكتورة جوزفين جاكسون وهيلين سالزبورى
كتاب [الانتصار على أعصابنا]

***

هـذه هى « وصفة » الفيلسوف وليم جيمس للخائف الفـزِع : « ارفع كتفيك معتداً ، وتحدث بصوت قوى لا يشوبه وهن ، وابتسم ، وتلطف فى إلقاء التحية » .

***

شكا مريض مكتئب ، ذات مرة للطبيب النفسانى ألفريد أدلر ، كثرة ما يعجز عن معرفته لنقص تعليمه . فسأله أدلر : « أرأيت بائع الخضر فى الجهة الأخرى من الشارع ؟ إنى لأظن أنه يعرف عن الفول الأخضر أكثر مما أعرف ، ومع ذلك فها أنت ترانى أظل هادئاً كل الهدوء » .

فيلبس بوتوم ، كتاب [سيرة ألفريد أدلر]

***

إن الإعياء يصيب العقل الذى أثقله مايبذله من الجهد فى ستر شهواته الخفية .

الدكتورة اليزابث آدمسون
كتاب [أنت إذن ذاهب لاستشارة طبيب نفسانى]

***

بينما كانت إحدى اللواتى يعانين الهستيريا واضطراب الأعصاب طوال حياتهن تغادر عيادتى منـذ بضعة أيام قالت : « أجل يادكتور ، إنى أعرف أننى غاية فى رقة الإحساس » . فقلت : « نعم ياسيدتى أعرف أنك غاية فى شدة الأثرة » فقالت : « إنما قلت رقة الإحساس » . فأجبت : « وأنا قلت شدة الأثرة ، وقد عنيت ذلك » . فخرجت حانقة ، بيد أنها عادت بعـد عشرة أيام نادمة ، واعتذرت ثم قالت إنها بدأت تدرك أنها امرأة غاية فى شدة الأثرة .

الدكتور وليم س . سادلر
كتاب [المرأة فى ميدان العمل - شخصيتها وصحتها]

***

إن مشكلة معظم الناس العصبيين أنهم يضفون على أنفسهم شيئاً كثيراً من التفكير والعطف ، إنهم يبددون على أنفسهم ما يفتقر إليه العالم أشد الافتقار ، وهو : الحب والحنان والعطف .

كتاب [البحث عن السعادة]

***

أنذر الدكتور أوليفر وندل هومز ، ذات مرة ، مريضاً سوداوياً وجده يقرأ كتاباً عن مرضه ، فقال : « انتبه ! وإلا فسيقتلك يوماً خطأ مطبعى » .

مجلة [تايم]

***

ولادة بركان

انطلق الجحيم من مزرعة مكسيكية فى فبراير الماضى ، ولا يزال الدمار يحل بالبلاد والعباد .

لويس ماتوكس ميلر . . . . ملخصة عن مجلة « پان أميريكان »

كان ديونيزيو بوليدو فلاحاً رقيقاً أُعتق، فاقتنى مزرعة صغيرة فى ولاية ميشوكان على مائة وثمانين ميلا إلى الغرب من مدينة المكسيك. ولعل ديونيزيو هو الرجل الوحيد الذى شهد بعينى رأسه ولادة بركان ، شهد أشد مناظر الطبيعة هولا ووقعاً فى النفس .

ففى مساء السبت الموافق ٢٠ فبراير سنة ١٩٤٣ أتم ديونيزيو حراثة أرضه ووقف هنيهة يستريح ، وإذا به يرى فجأة عموداً من الدخان الأبيض يصعد من جوف أرضه يتلوى كالأفعى ، على بعد ٥٠ ذراعاً أو ستين ذراعاً من موطىء قدميه .

وقد ظلت تحدث فى أرضه حوادث غريبة طوال ذلك النهار ، ففى الصباح الباكر رجت الأرض رجة عنيفة ، ثم لاحظ وهو يحرث أن التراب تحت قدميه العاريتين أشد سخونة مما ألف ، ثم ها هو ذا الدخان الغريب ! فلما تقدم ليرى ما هو ، سمع جلجلة مكتومة « كأنها فرقعة نزع السدادة من زجاجة كبيرة » ، وتكاثف عمود الدخان ، ثم تصاعد كأن قوة خارقة قذفت به إلى السماء . فعدا ديونيزيو بين الغيطان عائداً لكى يأتى بزوجته .

ولكن أسرة بوليدو لم تر أرضها مرة ثانية . وبينا كان ديونيزيو يحث زوجته الدهشة المرتابة ، على الاستعجال ، إذ زلزلت الأرض زلزالا عنيفاً ، سجلته اجهزة الزلازل فى نيويورك على بعد ٢٢٥٠ ميلا . وحين جمع ديونيزيو نفسه ونهض من بين أنقاض الكوخ وألقى نظره على الغيطان ، رأى

مزرعة الذرة تندلع منها النار ، وتتقذف الحجارة الكبار وأطنان من الرمل فى الفضاء.

وشقت أسرة بوليدو طريقها متعثرة فى أرض ترتعد تحت أقدامها ، إلى قرية باراكوتين القريبة فوجدتها أنقاضاً . وكان الطريق مزدحماً بأقوام تملكهم الذعر فى فرارهم طلباً للنجاة . وكانت الملاءات والشالات مختلطة بالملابس ، والأمتعة مكدسة على عربات النقل . وكان القسيس ينادى الأشداء من الرجال لينقذوا التمثال المقدس « لرب العجائب » .

لم يسدل الليل ستاره مرة أخرى على باراكوتين ، لأن البركان الذى كان قبل هنيهة مزرعة ديونيزيو بوليدو ، قد أضاءت نيرانه تلك المنطقة ، برغم ستار الدخان الكثيف الخانق من أبخرة الكبريت . كانت ألسنة اللهب تندلع فى الفضاء ، ومقادير من الصخر قد ابيضت من شدة الحرارة ، تتقذف ألف قدم فى الجو . وخلال ذلك كانت تنفجر انفجارات عنيفة تميد الأرض بها وتمور . وكان الهدير المدوى لا ينقطع كأن « مئات من المدافع تنطاق معاً » ، على ما جاء فى تقرير السلطات الرسمية . وبلغت سحب الرماد الدقيق الأسود سطوح المنازل فى مدينة المكسيك على بعد مائة وثمانين ميلا .

ولكن الهول الذى تلا ذلك كان أعظم . ففى الليلة الثالثة ، انشق مخروط البركان — وهو كتلة كبيرة حامية كالياقوت الأحمر — وقذف بالسيل الأول من اللابة (الحمم المصهورة) ، وقد خرجت تغلى من جوف الأرض ، كأن ألوفاً من أفران صهر الحديد قد اندلقت معاً وتدفقت على الحافة ، ثم جرت على الجوانب فى مجرى متدفع عمقه عشرون قدماً وعرضه مائتا قدم ، وهو يتحول رويداً رويداً من أبيض يبهر النظر إلى أحمر قان ، خلال جريانه فى الوادى ، حاملا الموت الزؤام لكل ما يقف فى طريقه .

فابتدر رجال الحكومة وعلماء طبقات الأرض والصحفيون والمصورون إلى الوادى المصاب بهذه الكارثة ، وأقدموا على السير إلى مزرعة ديونيزيو ، على قشرة اللابة التى أخذت تجمد ، بعد ما غطت قرية باراكوتين ، فدنوا من ستار النار الذى يحيط بجحيم تلك المزرعة ، فلبثوا هنالك أياماً يدرسون هذه الظاهرة العجيبة ، ظاهرة ولادة أول بركان فى نصف الكرة الغربى بعد سنة ١٧٥٩

وقد جاءت ست فترات بعد ولادة هذا البركان ، خمد فيها النشاط البركانى بعض الخمود ، ولكن كان يعقب كل فترة انفجار

فوى يرعب القرى البعيدة ويرهبها ، وكانت المرة السادسة فى ١٠ يونيو ، وعندئذ شق بارا كوتين — وهو الآن اسم البركان — كأساً كبيرة جديدة على مئات من الأقدام من الكأس الأولى ، وقذف نهراً ثانياً من اللابة المصهورة فى واد آخر . وجرى النهر فى البدء ألف قدم فى اليوم . ولكنه أخذ فى الاتساع ، وزاد اتساعه بعد شهر حتى خفت سرعة جريانه ، فلم تزد على عشر أقدام فى اليوم .

وقد دفن هذان الواديان الآن تحت طبقات كثيفة من اللابة ، والصخر والرماد البركانيين . وبركان بارا كوتين نفسه يرتفع ١٢٠٠ قدم فوق مستوى السهل الذى انبثق منه ، وسمكه عند قاعدته ثلاثة أرباع ميل .

* * *

وحين طرت قاصدة هذا البركان كان أول ما لاحظته ذلك الدمار الذى أحدثه على مسافة ٧٥ ميلا منه . فالرماد الأسود يغشى الآن ما كان من قبل أودية خضراً ، وسفوح جبال نضرة . وقد زالت حدائق وبساتين ، ودفنت مبان وكنائس ، فلا ترى منها إلا بعض أبراجها ، وغاضت ينابيع ، وغدا نهر كوباتيتزو نهراً من الوحل بطىء الجريان .

ثم لا تلبث أن ترى عموداً ضخما من الدخان يتلوّى فى الفضاء صاعداً من كأس البركان ، وقد بلغ ارتفاعاً لا يصدق هو ٢٠٫٠٠٠ قدم . وبعد كل أربع ثوان تتقذف مقادير جديدة من الدخان ، وأطنان من الصخور مزمجرة فى الفضاء ، ويفور تيار عظيم من اللابة الحامية الحمراء إلى ارتفاع ألف قدم ، ثم يندلق على حافة المخروط ، جارياً على جوانبه فى أخدودين .

وقد أقفلت نوافذ الطائرة تجنباً للحرارة الشديدة والحجارة الحامية المتطايرة ، ولكن ذلك لم يمنع تسرب الدخان الكبريتى الخانق الذى لا يلبث أن يحملك على السعال . فالدخان المتدافع ، والصخور المتطايرة ، (ومنها قطع أكبر من الطائرة) ، واللابة الملتهبة كل هذه تجعلك تلهث روعة ورهبة حين تدنو الطائرة فى هبوطها من البركان .

وقد نزلنا فى قرية أوروابان على عشرين ميلا من البركان . ويعلو هذه القرية طبقة كثيفة من الغبار البركانى ، تصير ردغة لزجة حين يسقط المطر عليها . وهناك سقوف كثيرة أخذت تعنو تحت ثقل الرماد المتجمع عليها ، وهو أسرع فى تجمعه من قدرة الفلاحين على إزالته . ويبلغ عدد المتفرجين ٥٠٠ فى اليوم ، يزدحم بهم المكان ، لأن بركان بارا كوتين أصبح رسمياً من مناطق السياحة . وتجرى مركبات الأتوبيس

إلى قرية أوروابان ، على أن الطريق إليها فى الأميال العشرة الأخيرة ، فى حاجة دائمة إلى تنقيتها مما يكسوها . ثم يمضى المتفرجون بالسيارة أو على البغال إلى الحدود التى عينتها الحكومة ، لما تعده منطقة الأمان حول البركان ، وهى بوجه عام تبعد ميلا عن محيط قاعدته .

وهناك على حافة هذه المنطقة قرية يدعوها الأهلون « سان جوان » ، وليس بعدها إلا رماد وحمم ورعد ووحشة . والحكومة المكسيكية موقنة بأن «سان جوان» مقضى عليها ، وقد حاولت أن تجلى أهلها عنها ، ولكنهم يأبون ، برغم اضطرارهم إلى مكافحة الرمال ليل نهار ، فهم يكسبون من المال الآن مبالغ لم يروا لها مثيلا من قبل ، من إعداد الطعام للرواد ، وتجهيز البغال والخيل لهم ، والقيام بعمل الأدلاء التراجمة .

وليس فى منطقة مساحتها مائة ميل مربع حول البركان شىء أخضر ، أو ورقة عشب ، وعلى بعد خمسين ميلا منه ، تذوى النباتات الغضة ولا تعيش إلا القوية كالأشجار والشجيرات . وقد حلت الكارثة بسبع قرى ، وأصيب غيرها . فالنبات يذوى فى أرض كانت شديدة الخصب ، والعصافير تهوى من الجو لا حراك بها ، والماء نادر لأن الينابيع قد جفت أو غاضت .

وقد بعث وزير الإغاثة طائفة من الأطباء والممرضات والعمال الاجتماعيين لإيواء ثمانية آلاف نفس اضطرهم البركان الوليد للجلاء عن أرضهم .

والنهاية لم تأت بعد ، فليس هناك ما يشير إلى أن نشاط باراكوتين آخذ فى الخمود ، والانفجارات القوية تتوالى قاذفة فى الفضاء مقادير كبيرة من الصخور الحامية ، ثم تسقط على مخروط البركان فيرتفع ويرتفع ، ومعدل ارتفاعه يدل على أن المادة المنقذفة من جوفه لم تقل . فاللابة تندفع فى الفضاء ثم تهوى وتجرى على جوانبه ، وهُوِيّها يبدو فى الليل ، كشلال من النار . والمكسيكيون يقولون : « إن الجحيم لم يزل طليقاً » .

يجب أن نحذر إنشاء مجتمع لا يعَدُّ فيه غير السياسىّ أو الموظف شيئاً مذكوراً ، ولا يُجزى فيه الإقدام والاقتصاد وحسن التدبير جزاءً حسناً .

[ونستون تشرشل]

قصة لا تكاد تصدق عن عمل أنجز فى سرعة فائقة

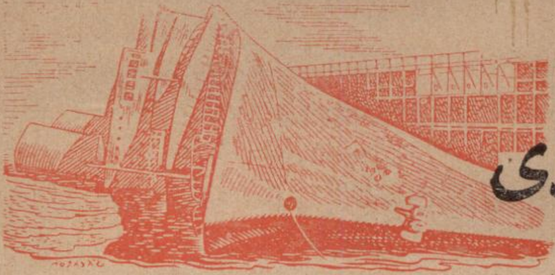

كيف رفعت النورماندى

بروس بليفن

ملخصة عن مجلة « ذى نيوريپبليك » .

عامت النورماندى مرة أخرى بعد ١٨ شهراً قضتها تحت سطح نهر الهدسون ، صارت فى خلالها قذرة مصدعة ممزقة ، وبهذا انقضت أشق فترة من أكبر أعمال الإنقاذ التى تمت فى التاريخ . إنها قصة فيها بطولة ، وشجاعة خارقة ، ومثابرة مدهشة على تحطيم عوائق ثقال . ومن الغريب أن هذا العمل قد أثر قبل تمامه فى المجهود الحربى تأثيراً كبيراً ، بغض النظر عن السفينة نفسها . فقد ألفت فرقة من عمال الإنقاذ ، ممن تدربوا على العمل فى النورماندى ، وأرسلوا على عجل إلى موانى شمال أفريقية ليزيلوا منها حطام سفن المحور ، فعجل عملهم هذا بغزو صقلية .

شبت النار فى غرفة الجلوس الكبرى من السفينة فى ٩ فبراير ١٩٤٢ ، أى بعد مضى ستة أسابيع على استيلاء وزارة البحرية الأمريكية عليها ، وبدء العمل فيها لتحويلها إلى ناقلة للجنود ، تحت اسم الباخرة « لافاييت » . وأذكت النار فيها ريح عاتية هبت عليها من الشمال الغربى ، فامتدت ألسنتها إلى جميع أرجاء السفينة . فلما صبت فرقة مطافئ نيويورك فى داخلها آلاف الأطنان من الماء ، ثقل أعلاها ، فمالت إلى جانبها الأيسر وغاصت فى الماء . وقد كانت صورة هذه السفينة الغارقة التى استقبلتها وزارة البحرية صورة كئيبة ، إذ كانت راقدة فى الماء وقد برز منها ما يقرب من نصف هيكلها الضخم ، البالغ طوله ١٠٢٩ قدماً وعرضه ١٢٠ قدماً ، والمد يطغى عليها فيملؤها ثم ينحسر عنها ، وكانت مقدمتها متجهة إلى الساحل ، وثلثها الأول مرتكزاً على عارض صخرى على عمق ٦٥ قدماً تقريباً ، أما الثلثان الباقيان فقد استقرا فى الوحل ، ولذلك كان يخشى أن تنشق السفينة قطعتين من الموضع الذى استقرت عليه عند ملتقى الصخر والوحل .

وقد أثارت مشكلة رفع هـذه السفينة الفاخرة اهتمام الجمهور ، فأرسـل آلاف الأشخاص إلى البحرية مقترحاتهم فى سبيل إنقاذها . وقد أشار بعضهم بأن يشدّ إلى جوانبهـا ، تحت المـاء ، حزم من كرات « البنج بنج » ، أومن صفائح فارغة محكمة الإقفال ، فتطفو بها . وأشار آخرون بأن تشد إليها تحت الماء كتل من الثلج — وهو أخف من الماء — أو أن تدلى إليها خطاطيف من مناطيد تحلق فوقها . وكان كلما ذكر اسم النورماندى فى الصحف ، تدفقت الخطابات وأرهقت خطوط التليفونات، حتى أتى اليوم الذى طلبت فيه البحرية ، على مضض ، من الصحف أن تـكف عن ذكرها .

وفى هـذا الوقت ، قرر خبراء البحرية ومهندسو شركة « مريت شابمان وسكوت » وهى من أقدم شركات إنقـاذ السفن فى العالم ، أنه يمكنهم رفع السفينة بأسلوب خاص فى استعمال المضخات ، يتطلب منهم أولا أن يجعلوا هيكل السفينة محكما لا ينفذ فيه الماء ، وذلك بتجزئة جوفها إلى أقسام محكمة المنافذ يعزل بعضها عن بعض ، ثم يسحب المـاء رويداً رويداً من الجانب المغمور إلى الجانب المـكشوف ، حتى تعود السفينة قليلا قليلا فتستوى على قاعدتها . وقد رأى الخبراء أن هذا العمل سيستنفد من الوقت ما يتراوح بين عام ونصف وعامين ، وسيتكلف حوالى ٦٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار . وقد أنجزت المهمة فعلا فى ١٨ شهراً ، ولـكن تكاليفها كانت أقل كثيراً مما قدر لها أولا .

ولـكن هل كانت ثمرة هذا العمـل تستحق كل هذا العناء ؟ إن الجواب على هذا السؤال ، من الصعوبة بمكان ، لما يشتمل عليـه من العوامل التى لا تخضع لقيـاس ملموس .

حقاً إنه لا يمكن أن يقدم شخص سليم العقل ، على بناء ناقلة للجنود فى هذا الحجم ومن هذا النوع ، بل يفضل أن يصنع بدلا منها ، ثلاث سفن أصغر حجما . إن الناقلات الضخمة التى تحمل عدداً كبيراً من الرجال تفزّع أعصاب القيادة العليا ، لما تحمل من قوة كبيرة من الرجال معرضة للضياع ، وهى تفضل أن تكون القوة التى تتعرض للأخطار موزعة . ولـكن يقـابل ذلك ما رأته البحرية ، نظراً لشدة حاجتها إلى السفن ، من أن إنقاذ هذه السفينة سيزودها بهيكل وآلات فى حالة جيدة ، يكلف إصلاحها ثمن الثمن اللازم للحصول على أخرى جديدة ، وهو ٤٠٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار ، وكذلك تكون لديها ناقلة للجنود تامة المعدات بثمن يضاهى ثلثى تكاليف ناقلة جديدة من الحجم نفسه ولها سرعتها نفسها . وكذلك لن تكلفها

هذه العملية إلا القليـل نسبياً من المواد والمجهود ، فتصبح « النـورماندى » غنما للمجهود الصناعى البحرى لا عبئاً عليه .

ارتكزت خطة إنقاذ السفينة على نظرية بسيطة ، ولـكن تنفيـذها قابل مصاعب جسـاما اقتضت فى التغلب عليهـا مجهوداً ضخما يحير العقل . فقد كانت السفينة ، عند سقوطها ، تحمل على جانبها الأيسر عوارض خشبية ، تكسرت كأنها عيدان ثقاب ، فنفذ كثير منها خلال فتحات السفينة ومنافذها الجانبية فى اتجاهات غريبـة شاذة ، وكان على الغواصين أن يزيلوا هذا الحطام ، وهم على عمق أقدام عديدة من المـاء الممتزج بالوحل ، قبل أن يبـدأوا فى العمل على إنقاذها . ومما ضاعف المشـقة أن فى نهر الهدسـون رواسب طينية كثيفة ، تحيط بالغواص ، بعد غوصه عدة أقدام ، تجعله يعمـل فى ظلمة حالـكة ، لا تكاد تبددها المصابيح الـكهربائية .

وتحت الماء على عمق ٦٠ قدماً ، ٣٥٦ نافذة كان كثير منها مفتوحاً عند غرق السفينة ، وما من واحدة منها كانت قد بنيت بحيث تمنع المـاء من النفاذ إذا ما غمرها ، فـكان ينبغى إغلاقها بأغطيـة لا تسمح بنفاذه ، وينبغى أن توضع هذه الأغطية من داخل السفينة فى أغلب الأحيان . وقد وجد الغواصون ، حين اصبحوا على استعداد للبدء فى العمل ، أن السفينة قد رسبت فى جوفها طبقة من الوحل سمكها عشر أقدام . فـكان عليهم أن ينسابوا خلال تيه من السراديب والغرف ، وأن يجرفوا فضلات متحللة أصبح بعضها يفرز غازات سامة منها « سـولفيد الإيدروجين » المميت ، قبل أن يتمكنوا من نزح أطنان الوحـل التى تسربت إلى جوف السفينة . ثم كان عليهم بعد ذلك أن يثبتوا ، وهم فى ظلام دامس ، الأغطية على النوافذ ، وعلى ١٦ منفـذاً كبيراً لمخازن البضاعة ، بعضها يتسع لمرور السيارات منه . وكان يجب أيضاً بناء أميال من الحواجز المغلفة بالأسمنت تحت المـــاء لتقسيم جوف السفينة . أما الأنابيب ، وكان هناك آلاف منها ، فكان ينبغى أن تسد أطرافها .

لم تصنع سفينة من قبل بلغت من المتانة ما يجعلها تتحمل عملية كهذه التى أجريت على النورماندى ، ولذلك قوّى هيـكلها ، وأزيلت عنها جميع المنشآت التى كانت فوق سطحها ، ومنها صاريان ، وسطحان بأ كملهما ، وثلاث مداخن ، بلغ كل منها من الضخامة مبلغاً يسمح بمرور أنبوبتى نفق الهدسون منها . وقد دعمت جميع الآلات الثقيلة ، التى لم يحسب عند تصميمها حساب بقائها تحت المـاء ثمانية عشر شهراً ، مائلة تسعين

درجة عن وضعها المستقيم ، وقد عولجت بما يزيل الصدأ عنها . أما جميع الآلات التى جهزت بها السفينة فى سبيل إنقاذها ، فقد كان لابد من وضعها على أسطح دوارة ثبتت فى هيكل السفينة بمفاصل ، وشدت جوانبها الأخرى بكرات ، حتى تحتفظ تلك الآلات بقدرتها على العمل إذا ما دارت السفينة لتستوى على قاعدتها .

وقد بلغ مجموع ما أزيل عن السفينة ، أثناء إنقاذها ٥،٠٠٠ طن من ألواح هيكلها و ٦،٠٠٠ طن من الأنقاض و ١٠،٠٠٠ ياردة مكعبة من الوحل و ٨،٠٠٠ رطل من الزجاج المكسور و ١٠٠،٠٠٠ طن من الماء .

وقد أشرف على هذا العمل الخارق مراقب الإنقاذ فى وزارة البحرية ، وإن كانت شركة « مريت شابمان وسكوت » هى التى قامت على تنفيذ الجزء الأكبر منه . وكانت الفرق تتناوب العمل الذى تقوم به فى سرعة فائقة ، مرتين أو ثلاث مرات فى اليوم ، أى أنه كان هناك دائماً من ٦٠٠ إلى ٨٠٠ رجل فى عمل مستمر ، منهم ٧٥ غواصاً

وكان الرجال يعملون تحت تأثير إجهاد عصبى شديد ، وكل غواص منهم معرض أبداً لخطر انقطاع أنبوبته الهوائية من جراء الزجاج المكسور ، أو مئات من أطراف الصلب المدببة ، فربما كان يهبط غواصان أو ثلاثة لحماية أنبوبة الحياة المتصلة برجل فرد يقوم بعمله فى موضع خطر .

وكان هناك نقص فى عدد الغواصين اللازمين للقيام بالعمل فى النورماندى ، لما تفرضه مقتضيات الحرب من إقبال غير عادى على استخدامهم ، فأنشأ المراقب مدرسة لتدريب الغواصين على الرصيف المجانب للسفينة ، فدرب فيها عدداً كبيراً من رجال ليست لهم خبرة سابقة بهذا العمل ، وقد فعل ذلك ، على نفس السفينة التى كانوا يعدُّون للعمل فى إنقاذها .

وقد أذن لى ان أعتلى النورماندى فى اليوم السابق لبدء العمل فى رفعها ، ولقد كان مشهداً عجيباً مؤثراً أن يسير المرء حول المرفأ ، وهو ينظر إلى هذا الجسم الكبير الحجم الأغبر اللون ، المرتفع إلى ٦٠ قدماً ، عالماً بأنه غائص مثل هذه المسافة تحت الماء كذلك ، موقناً بأن هذه السفينة ستستوى بعد قليل على سطح الماء .

وقد كان عجيباً أيضاً مظهر الحركة التى كان ظهر السفينة يعج بها ، فهؤلاء عمال يعجلون فى صعودهم وهبوطهم على العوارض المؤدية إلى المنافذ التى كانت فيما مضى سطح النزهة على السفينة . ولم تكن تمر دقائق دون أن يهبط غواص تحت الماء ليواصل

عملا لم ينقطع منذ ١٨ شهراً . وكان هناك نصف دائرة كبيرة أبيض اللون ، مرسوما على هيكل السفينة ، وقد كتبت على حافاته أرقام ، وعليها ذراع حمراء اللون ، يبلغ طولها عشر أقدام ، تشير إلى الدرجة التى بلغتها السفينة فى ميلها ، وتسجل أولا فأولا التقدم الذى بلغته فى عودتها إلى مستواها . ولما ولجنا غرفة الطعام الكبرى وجدناها قد أضحت صندوقاً ضخما من الصلب ، ولم يبق منها إلا هيكلها هذا ، وثبتت فيها مضخة كبيرة بالأسلاك لتبقى محتفظة بقدرتها على العمل مهما تغير وضع السفينة .

ولكن كان هناك شىء آلمنى أشد الألم ، وهى هذه اللوحات الملونة الكبيرة التى رأيتها فى مكتب من مكاتب المرفأ ، بعد خلعها من السفينة ، وعلى كل واحدة منها اسم مدينة فرنسية — تولوز ، بوردو ، نانت ، رين ، نخيل إلىّ فجأة ، وأنا أنظر إليها ، أن هذه السفينة هى رمز لفرنسا نفسها ، وأن نهوضها من سقطتها المذلة إنما هو فأل حسن يشير إلى أن فرنسا أيضا ستنهض يوماً ما ، وقد استعادت كرامتها وحريتها .

يؤشر بالاحالة على ...

كان رجلان يعملان جنباً إلى جنب فى مجلس الإنتاج الحربى فى وشنطن بغير أن يخاطب أحدهما الآخر ، ولكن كان كلاهما يراقب الآخر . وكان أحدهما ينتهى من عمله وينصرف فى الساعة الرابعة كل يوم ، وأما الآخر فكان العمل يرهقه فيلبث إلى الساعة السادسة وربما إلى ما بعدها . وأخيراً فاتح هذا الرجل زميله قائلا : أتأذن لى فى أن أسألك كيف تستطيع أن تنجز عملك كل يوم فى الساعة الرابعة !

فردّ الزميل قائلا : المسألة بسيطة . كلما بلغت فى عملى مسألة معقدة أحيلها بتأشيرة « على الكوماندر سميث » ، وذلك لأنه يلوح لى أن فى مكتب كبير كهذا المكتب ، لابد أن يكون هناك رجل يدعى كوماندر سميث ، ويلوح لى أنى مصيب ، فجميع الأوراق التى أحلتها عليه لم تعد إلى .

فقال الرجل المتعب هادراً ، وهو يخلع سترته : « اسمع يا أخى تهيأ للنزال ، أنا كوماندر سميث ! »

فول الصويا العجيب

لى
متشل هودجس

ملخصة عن مجلة
« أميريكان ميلر »

منذ عهد قريب تناولت طعام الظهر فى مطبخ الغذاء بمدرسة التغذية التابعة لجامعة كورنل ، وكان المفهوم أن الوجبة تجريبية . ولما كنت ممن يتذوقون لذائذ الطعام ، فقد أقبلت وأنا فى حالة الشك ، إلا أننى غيرت رأيى حين تناولت أول قطعة من الخبز مع الزبد ، ولم أتمالك أن قلت : « هذا خبز بديع ! » فقال الدكتور كلايف ما كى الإخصائى العظيم فى كيمياء الأغذية فى جامعة كورنل : « فيه دقيق فول الصويا ، أما ما ظننته زبدة فهو مرجرين زيت الصويا » .

وقدم إلىّ صحناً من نوابت فول الصويا مقلية وقد وضعت فى أرز مسلوق ، وقال : « جرب هذا! » ، قلت : « هذا شائق ! أليس هذا شيئاً جديداً ؟ » .

قال : « نعم ! هو جديد هنا ، ولكنه عماد طعام الصين منذ ٥٠٠٠ سنة . فهذه النوابت جديرة بالاهتمام ، إذ هى خضر طازجة يمكن استنباتها خلال ثلاثة أيام إلى خمسة ، فى أى جو ، وفى أى وقت من السنة ، دون حاجة إلى التربة أو إلى ضوء الشمس . وهى عظيمة التغذية ، ويكاد الرطل الواحد من الفول المستنبت يكون جراية يوم كاملة لشخص بالغ عامل ، فإذا أضفت إليه مادة نشوية ، ومادة تزيد مقدار فيتامين «ا» ، كانت الجراية كاملة . والآن جرب السلطة » .

وجدتها مصنوعة من نوابت الصويا ، مسلوقة مبردة ، مع خس وبصل مقطع ، وفلفل أخضر ، مشكلة على الطريقة الفرنسية . أما الحلوى فكعكة مصنوع بعضها من دقيق الصويا وبها شىء من التوابل . والحق أن الوجبة كلها كانت لذيذة .

استطرد الدكتور ما كى قائلا : « لقد نلت غذاء كاملا كأنك شربت عصير الطماطم وأكلت شرائح من اللحم وبطاطس وحلوى ؛

لقـد تناولت العناصر الغـذائية اللازمة وأكثر ، بخمس النفقات » .

تلك الوجبة أمدّتنى بشىء أفكر فيه ، ولا سيما أن مشكلة الغذاء آخذة فى التفاقم . إن فول الصويا يمكن استنباته فى المطبخ ، أو على سطح الطنف ، أو سلم النجاة من الحريق ، دون أن يتطلب شيئاً سوى وعاء وقليل من الجير المعالج بالكلورين ، كالذى يستعمل فى تطهير ماء الشرب ، وستار نافذة مربع أو قطعة قماش رخيصة الثمن ، كالتى يلف فيها الجبن بعد ضغطه ، ثم فول صويا مجفف ، وهى كلها لا تكلف شيئاً .

أذب مقدار ملعقة شاى من الجير فى جالون ماء ، وانقع مقدار فنجان ($\frac{1}{8}$ جالون) من الفول طول الليل فى $\frac{1}{4}$ جالون من ذلك المحلول ، ثم اغسله بالماء الصرف مرتين ، وضعه فى وعاء سعته ربع جالون . ثم غط الوعاء بالستار أو قطعة القماش واربطها ، ثم ضع الوعاء مقلوباً على قطعتين صغيرتين من الخشب لكى يدوم تسرُّب الماء من الوعاء ، وضعه فى مكان مظلم أو تحت صندوق من الورق المقوى .

وفى الصباح والظهر املأ الوعاء بماء صرف ، وفى الليل بماء ممزوج بالكلورين ليقيه من العفن ، على أن تعجل بتصريف الماء فى كل مرة ، وتستمر فى وضع الوعاء مقلوباً فى الظلام . فإذا لم يكن الفول ردىء الصنف أو بالغ القدم ، فإنه ينتفخ حتى يصبح أربعة أضعاف حجمه الأول ، ويخرج منه نبت ضارب إلى البياض طوله بوصة أو أكثر ، فى مدة ثلاثة أيام إلى خمسة ، ويجب حفظ النبت فى الثلاجة أو فى مكان رطب إلى أن يستعمل .

إن الصنوف المختلفة من الطعام التى يمكن صنعها من نبت الصويا ، لذيذة تكاد تستسيغها كل الحلاقيم ، ويمكن سلقه وأكله ساخناً مع (صلصة) شهية ، أو بارداً فى سلطة طازجة أو سلطة فواكه . ويمكن أن يقلى فيأكل وحده خضاراً ، أو أن يخبز فى وعاء مع قليل من اللحم المملح واللبن ، ومن شرائح البصل والفلفل الأخضر وفتات الخبز ، ولتضف كل ذلك إلى أى صنف من اللحم المسلوق فتحصل من هذا اللحم على ضعفى قيمته الغذائية . أو أضفه إلى لحم (مفروم) وخضار ، ويحسن أن يؤكل حب الفول وعنقه النابت معاً . أما القشر المرتخى فلك أن تنبذه إذا كنت ممن يؤثرون الشكل على الصحة ، وهو على كل حال لا يفسد طعمه بل هو من بقايا الطعام التى تعين الأمعاء على الحركة .

وفول الصويا هو أكمل ما عرف من المواد الغذائية الطبيعية ، وكل رطل من

دقيق الصويا يحتوى على مقدار من البروتين يعادل ما فى إحدى وثلاثين بيضة ، أو جالون ونصف جالون من اللبن ، أو رطلين من اللحم الخالى من العظام . وبازدياد ندرة الأغذية الحيوانية ، سيزداد شأن نوابت الصويا فى سد حاجتنا المستمرة إلى الغذاء فيما بعد الحرب ، وفى إغاثة ملايين الجائعين بعد الحرب فى أوربا . ويمكن شحن الفول جافاً إلى أى جهة من الجهات لأن حبه مجفف وله خاصية الاحتفاظ بصفاته .

وفى هيجرز تاون بولاية ماريلاند ، حيث تقوم « شركة الصويا بأمريكا » بطحن فول الصويا بطريقة جديدة ، ذقت شيئاً من طحينها الأبيض كالقشدة ، فوجدته لطيفاً وأشبه قليلا بطعم الجوز ، ليس فيه ذلك الطعم الكريه أو تلك المرارة التى بغضت إلى الناس بعض أغذية فول الصويا المجهزة فى سرعة وإهمال ، والتى عرضت بادىء ذى بدء فى أمريكا .

والآن أصبح فول الصويا يطحن فى كثير من الجهات فى أمريكا ، ومن دقيقه يصنع خبز أبيض ، وألوان من الأغذية الأخرى أكثر تغذية ، مثل أصناف القند (الحلوى المسكرة) ، والكاكاو ، والحساء المجفف ، وأغذية الأطفال ، والمايونيز ، والقشدة المثلجة ، وأصناف الكعك .

وأكلت شعيرية ومكرونة فيهما شىء من الصويا ، فوجدتهما تضارعان خير نظائرهما . ويخلط الخبازون دقيق الصويا ببعض منتجاتهم ، كما يخلطه صانعو السجق باللحم المطحون لينتجوا سجقاً أقل تقبضاً عند الطبخ ، كما يوجد الآن فول صويا طازج محفوظ فى علب من الصفيح .

وفول الصويا ملىء بكثير من الفيتامينات خصوصاً فيتامين ب ١ وب ٢ ، وهو مصدر حسن لفيتامين هـ (وهو فيتامين التناسل) وفيتامين ك الحابس لنزف الدم ، والنياسين الواقى من مرض البلاجرا (سوء التغذية) . وفى حين أن الفول الجاف لا يحتوى على فيتامين جـ الواقى من الجرب ، فإن رؤوس الفول النابت تعوض ذلك النقص وأزيد ، إذ يتكون فيه قدر من هذا الفيتامين الهام حتى يضارع الطماطم .

كان بيان الدكتور ماكى عن هذه المزايا الأخرى ، سبباً فى مبادرة ضابط بالجيش الكندى إلى كورنل ليدرس الأمر . والآن يتاح للقوات الكندية المرابطة فى المناطق المتجمدة الشمالية أن تأكل خضراً طازجة طول السنة تقيهم مرض الجرب بفضل نوابت فول الصويا .

كما أن فول الصويا يحوى الكثير من المواد المعدنية التى يجب أن تكون فى طعامنا

كل يوم ، ففيه من الكلسيوم ، الذى يبنى العظام ، ما يعادل ضعف ما فى اللبن ، ثم فيه كثير من الفوسفور والحديد والنحاس والمغنسيوم والبوتاسيوم والصوديوم .

لقد كان العالم الألمانى فورستنرج صادق التنبؤ إذ وصف فول الصويا فى سنة ١٩١٧ بأنه : « النبات الذى سيحدث انقلاباً فى تغذية البشر » ، فكانت ألمانيا تستورده يومئذ أكثر مما كانت تفعل أى بلاد أخرى ، وكانت تستورده على الأخص من منشوريا .

ومن أول الأعمال التى قام بها هتلر حين تولى الحكم فى ألمانيا ، أن أعد العدة لادخار مليونى طن من فول الصويا ، ولزراعته فى نطاق فسيح فى رومانيا وغيرها . وبعض هذا المخزون استعمل فى صنع المتفجرات وغيرها من المواد الكيميائية المستعملة فى الحرب ، ولكن معظمه طحن دقيقاً فثبت أنه ذو قيمة عظيمة من حيث إكمال النقص فى الأغذية الحيوانية .

قال الدكتور أرتيمى ألكسيس هافورث : « لم ندرك بعد إلا شيئاً يسيراً من فوائد فول الصويا ، لقد أهملنا أهم غذاء أساسى » . وهذا الدكتور قضى ثمانى سنوات بالكلية الطبية بيكين ، موفدا إليها على حساب إحدى هيئات روكفلر ، فدرس هناك أكثر من ٥٠٠٠ صنف من أصناف فول الصويا المختلفة التى تزرع فى الصين .

ونحن مجدّون فى استدراك هذا الإهمال ، ففى سنة ١٩٤١ استعملنا ٥٠ مليون رطل من منتجات الصويا ، وتطلب الحكومة فى هذا العام إنتاج ثلاثين ضعفاً لذلك المقدار . وأكثر هذه الزيادة الهائلة ستستهلكه جيوش أمريكا وغيرها من الأمم المتحدة . ومهما يكن من أمر ، فلن يخطىء من يتنبأ بأن الأصناف المتخذة من الصويا ستكون فى المستقبل القريب أشهى أنواع الطعام .

نهاية شاعر

جند شاعر منذ عهد قريب ، فلم يحدث له ما يستحق الذكر إلا حين قابل الطبيب العقلى الذى يتولى فحص جميع المجندين ، إذ التفت الطبيب إلى هذا الجسم العارى المرتعد ، وراجع سجله ثم قال : « شاعر ؟ إيه ! هل حجزت من قبل فى مصحة عقلية ؟ »

[مجلة ذى نيويوركر]

التوأمان السّياميّان

حياتهما وحبُّهما

ملخصة

من مجلة «كيوانيس»

ج. ب. مكاڤوى

لعل جميع القراء قد سمعوا بالتوأمين السياميين الأصليين، ولكن كم من قارىء يستطيع أن يجيب عن مثل هذه الأسئلة: هل كانا من الناحية القانونية فردين أو شريكين؟ فإذا اقترف أحدهما جريمة فهل يعد الآخر شريكا فيها؟ وهل يجوعان ويغلبهما النوم معا؟ وهل كانا على اتفاق أو كان الخلاف يشجر بينهما؟ وأيهما مات أولا؟ ولماذا؟ وكم كان عدد الأرامل اللواتى مات التوأمان عنهن؟ وكم عدد ما أعقبا من الأولاد؟

ولد التوأمان تشانج وإنج سنة ١٨١١ فى قرية صيد صغيرة قرب بانجكوك حاضرة سيام. وكان والدهما صينياً ووالدتهما نصف صينية، فكلاهما ربع سيامى، أو هو على التحقيق ثمن سيامى. وقد عرفا بعد ذلك باسم تشانج إنج بنكر، انتساباً إلى السيدة الأمريكية فى نيويورك التى أحسنت معاملتهما.

وحين اكتمل نموهما كان طول أحدهما وهو تشانج خمس أقدام وبوصة، وطول الآخر وهو إنج خمس أقدام وبوصتين، ولذلك كان تشانج يلبس حذاء أعلى كعباً لكى لا يبدو توأمه أطول منه. وقد زاولا تربية البط وبيع البيض، فلاحظ كل من رآهما ذكاءهما فى عقد الصفقات، إذ كانا يتكلمان معاً فيتم أحدهما عبارة بدأها الآخر، ولم يكن فى وسع المساوم العادى أن يجاريهما. وفى أحد الأيام، حين كان التوأمان فى الثامنة عشرة من العمر، أرست سفينة أمريكية فى الميناء ورآهما ربانها اتفاقاً. فهربهما ونقلهما إلى بوسطن، فكان لظهورهما أثر كبير، لم يقتصر على بوسطن بل شمل أوربا حين سافر كافلهما بهما إليها. فقطع بهما فى الجزائر البريطانية وحدها مسافة ٢٥٠٠ ميل، وهو يعرض التوأمين، حتى أن كلية الجراحين الملكية دعت التوأمين إلى الشاى، وحكمت بأنهما «فلتة طبيعية عجيبة».

وقد كانا فلتة. ومع اتصالهما، فقد كان فى وسعهما أن يعدوا وأن يسبحا، وأن يمشيا ثمانية أميال إلى عشرة أميال، وأن يلعبا ألعاباً شتى، وقد ذهبا غير مرة إلى الصيد. وكانا يسيران جنباً إلى جنب وينامان وجهاً لوجه، فإذا شاءا تغيير مضجعهما على

الفراش انقلبا من جنب إلى جنب دون أن يوقظ أحدهما الآخر . وكانا سويين من كل وجـه ، إذا استثنيت وُصْلة مرنة طولها ثلاث بوصات ونصف بوصة ومحيطها ثمانى بوصات ، كانت تصل بينهما ، من أسـفل عظم الصدر فى كليهما إلى البطن .

وقد اختلف رأى خبراء الطب اختلافاً كبيراً فيما يحدث فى جوف هذه الوصـلة ، ولـكنهم لم ينتهوا إلى شىء إلى أن شرحت الجثة بعـد الوفاة . فكان تشريحها حادثاً عالمياً ، إذ اتفق الجميع حينئذ على أنه لو كان فصل بينهما وهما حيان ، بعملية جراحية ، لقضى عليهما . ومما حير العقل قبل معرفة هذه الحقيقة ، أن إبرة تغرز فى وسط هذه الوصـلة تماماً كان يستشعر التوأمان كلاهما وخزتها ، ولـكن إذا غرزت إلى يمين وسطها أو إلى يساره ، فإن أقرب التـوأمين إلى مكان الوخزة هو وحده يحس بها . وقد أصيبا وهما طفلان بالحصـبة والجدرى ، ثم برئا معاً . وكان أحدهما ، بعـد ما تقدمت بهمـا السن ، دائم السـكر ، على حين كان الآخر لا يشرب الخمـر مطلقاً ، ومع ذلك فإن ثمل الأول لم يؤثر أبداً فى وقار الآخر .

وقد عادا إلى أمريكا من رحلتهما الأولى وهما أوفر تجربة ، ولـكنهما لم يكونا أوفر مالا ، فقد فر الربان بالمال . ولـكن التوأمين كانا قـد بلغا سن الرشد ، فأنشأا علاقات جديدة فجمعا ثروة تقدر بـ ٦٠ ألف ريال .

ولو كنت أنت أحد توأمين سياميين ، لظننت أن ستكون حياتك خالية من آيات الحب ومغامرات الغرام ، ولتوقعت عوائق لابد منها تردك عن هذه السبيل . ولاريب فى أن هذين التوأمين قد ظنا هذا الظن ، ثم حدث لهما حادث غريب لم يكن فى الحسبان . ففى مدينة لنـدن هامت بحبهما كليهما مس صوفيا ، وهى من أسرة محترمة . فأفزعهما هذا ، أما هى فوجدت « عوائق فى طريقها لا يمكن تذليلهـا ، لأن رجال الطب من البريطانيين حـكموا بأن التوأمين فردان ، يتميز أحـدهما عن الآخر ، فلو حققت هى رغبتها كاملة لتعرضت لخطر الدفاع عن تهمة الزواج برجلين » . فلقيت مس صوفيا عـذاباً أليماً إذ حيل بينهـا وبين رغبتها ، فحاولت أن تجـد فى الشعر عزاء وسلوى ، واختارت قطعة مؤثرة ودّعتهمابها .

وقد كان التوأمان مثار مشاكل فقهيـة بين المحامين فى أمريكا ، فـكانوا يتناقشون فى « كيف يستطيع توأمان حـكم الطب بأنهما فردان ، أن يملكا عقاراً ما ؟ أليسا شريكين فى ملك هذا العقار كما هما شريكان فى الحياة » ؟ وتقرر أخيراً أن من حقهما أن يملـكا العقار وأن يوقعا العقود ، إما على

أنهما فردان، وإما على أنهما شريكان، فيوقع أحدهما نيابة عن الآخر، ولكن لابد لهما من أن يكون زواجهما زواج فردين منفصلين، وأن يرث كل ولد من أولادهما أباه على حدة.

ولكن . . . إذا ارتكب أحدهما جريمة فأيهما يدان ؟ أيجوز محاكمة الآخر على أنه شريك ؟ وإذا كان أحدهما بريئاً فكيف يعاقب الآخر أو يسجن دون أن يعذَّب البريء ؟ ولم يكن فى وسع أحد أن يزعم أن أحدهما لم يعلم بما فعله الآخر ، إذ كانا ينامان معاً ويستيقظان معاً ، ويأكلان ألواناً واحدة ومقادير متماثلة من الطعام ، وكان كل منهما يدخن أو يمضغ التبغ حين يدخن الآخر أو يمضغ . حتى لقد حاول كثيرون أن يشغلوا التوأمين فى حديثين مختلفين ، فخابوا فيما حاولوا . ومع أنهما كانا يختلفان اختلافاً عنيفاً فى مسائل كثيرة ، فقد كانا يقدران أن يتكلما معاً فى موضوع واحد فى وقت واحد — وكان كل منهما يستطيع أن يكمل عبارة الآخر ، منذ طفولتهما .

ومن الغريب ، أنه قلما حادث أحدهما الآخر . وقد فسرا ذلك مرة بقولهما ، إنهما يريان الأشياء عينها فى وقت واحد، ويشعران بها شعوراً واحداً ، فليس بينهما ما يتحدثان فيه . ومن أجل ذلك كانا يكرهان أن يلعبا لعبة يكون أحدهما فيها منافساً للآخر ، مثل الشطرنج — وكانا بارعين فيه — لأنهما لا يجدان لذة فى هذه المنافسة فهى على قولهما: «كالمنافسة بين يدك اليمنى ويدك اليسرى» .

أما السياسة فكان الأمر فيها مختلفاً ، ففى انتخاب محلى للكونجرس فى سنة ١٨٤٧ اختلفا اختلافاً عنيفاً ، فصوت كل منهما لمرشح غير مرشح الآخر .

وقد تعلما اللغة الإنجليزية ، كلاماً وقراءة وكتابة ، ولبسا الملابس الأمريكية، ولكنهما ظلا يرسلان شعرهما عند مؤخر الرأس على الطريقة الصينية . وكان لكل منهما جديلة طولها ٣½ قدم تلف حول الرأس .

وقد حدث لهما حادث حب آخر ، إذ وقعت شقيقتان فى حبهما . فتزوج تشانج إدلايد ييتس وتزوج إنج شقيقتها سارة آن ، فى أول أبريل سنة ١٨٤٣ فى مقاطعة ويلكيس بولاية كارولينا الشمالية . وكنا نود أن نقول أنهم عاشوا جميعاً فى رغد ، ولكن لم يتح لهم ذلك . فقد تعذر على الشقيقتين أن تعيشا معاً ، ولم يكن أحد التوأمين يستلطف زوجة توأمه ، فانتهى رأيهما على أن يبنى التوأمان دارين متباعدتين لزوجتيهما ، بينهما مسافة ثلاثة أميال ، وأن يعيشا ثلاثة أيام فى دار وثلاثة أيام فى الأخرى، وهو أسلوب من الحياة حير الجيرة .

وظلا متزوجين أكثر من ٣٠ سنة ،

وخلفا ٢٢ ولداً وبنتاً ممتازين ذكاء وتوقداً . خلف إنج سبعة صبيان وخمس بنات جميعهم سوىّ الخلق ، وأما تشانج فخلف سبع بنات وثلاثة صبيان ، كلهم سوىّ الخلق إلا صبياً وبنتاً كانا أصمين أبكمين .

ثم نشبت الحرب الأهليـــة ، وكان التوأمان من حزب الجنوب ، فنالهما أثر هزيمته ، فلما افتقرا عادا إلى نيويورك لاسترداد ما فقداه ، ولـكن الجمهور كان قد فقد اهتمامه بهما . فاستولى اليأس عليهما ، فقضيا أيامهما الأخيرة فى مزارعهما ، وكانا فلاحين ناجحين ، ولم يزل دأبهما أن يمضيا ذهاباً وجيئة إلى دار كل منهمـــا كل ثلاثة أيام غير عابئين بتقلب الجو .

ويقول بعض المؤرخين أن هذا سبب موتهما ، إذ أصيب تشـانج بزكام وهما ذاهبان من دار إلى دار فى المطر . وغيرهم يزعم أن تشانج ذهب إلى حفلة فيها خمر فأسرف أكثر مما يطيق . وعلى أية حال ، ففى اليوم الثالث والعشرين من يناير سنة ١٨٧٤ — أى فى السنة الثالثة والستين من عمرهما الحافل العجيب — أويا إلى مخدع صغير وناما . ولـكن تشانج كان لا يستقر على حال ، وفيما بين منتصف الليل والفجر نهضا من الفراش وجلسا فى كرسى خاص أعـد لهما يصطليان . وظل النعاس يغـالب إنج فأراد أن يأوى إلى فراشه ، ولـكن تشانج كان يشكو ألماً فى صدره فلا يستطيع أن يستلقى . فتناقشا بينما كان إنج يدخن غليونه . وأخيراً نفض تشانج غليونه وأويا إلى الفراش فنام إنج نوماً عميقاً .

ثم نزلت الســتارة على مشهد مخيف لم تسبق مخيلة إلى تصور مثيل له :

استيقظ إنج وسأل ابنه : « كيف حال عمك ؟ » . فرد الصبى : « عمى تشانج قد برد جسمه . عمى تشانج قد مات » . ثم حدث هرج ومرج ، فبدأ إنج يبكى وهو يقول لزوجته : « إن ســاعتى قد دنت » ولما التفت مذعوراً ، فرأى الجثة الهامدة استولت عليـه تشنجات عصبية شديدة ، فمات بعد ساعتين مع أنه كان فى تمام عافيته وصحته حين أويا إلى الفراش .

وقد شرحت الجثتان فى اجتماع خاص بكلية الأطباء فى فيلادلفيا ، ففصل التشريح فى مسائل طبية كثيرة تتعلق بجسمهما ودمهما ووراثتهما ، وأثبت أن كل محاولة فى فصلهما وهما حيـان كانت تفضى حتما إلى وفاتهما . وظهر أن تشـانج مات بسـكتة مخيـة ، أما إنج فلم يعرف لموته سبب ما ، ولـكن كان الرأى الغالب أنه مات فزعاً .

جريدة الأرجنتين العجيبة

چورج كنت

ملخصة عن مجلة « إديتور آند پبليشر »

* * * * * * * * * *

شادت نجاحها على « الإعلانات المبوبة » ثم أضحت مؤسسة تخدم الشعب ، متحدية الحكومة ، وضغط جماعات المعلنين ، وهى تبذل معونتها الطبية والقانونية والزراعية وغيرها بالمجان للمشترك فيها ولغير المشترك .

* * * * * * * * * *

صحيفة « لا پرنسا » التى تصدر فى « بونيس إيرس » عاصمة الأرجنتين ، لا تعد نفسها صحيفة وحسب ، بل ترى أنها مؤسسة واجبها المقدس أن تبذل كل ما فى وسعها لمساعدة شعب الأرجنتين .

فإذا كنت مريضاً أمكنك أن تجد علاجك فى عيادة « لاپرنسا » على يد أقدر أطباء البلاد ، دون أن تدفع شيئاً . وأطباء الأسنان بالصحيفة يخلعون لك أسنانك أو يحشونها أو يلبسونها وهذا أيضاً بغير أجر . أما إذا وقعت فى مشكلة قانونية فيفتيك فيها محامو «لاپرنسا» ، فإن كنت فقيراً تولوا الدفاع عن قضيتك . وليست هذه الخدمات حيلا يستعان بها على الرواج ، فإن الجريدة ترحب بكل امرىء ، سواء أكان يشتريها أم لم يكن .

فإن كنت مزارعاً حللت « لا پرنسا » تربة أرضك ، أو أرشدتك إلى ما تعالج به حيواناً مريضاً . وإذا كانت لأطفالك مقدرة موسيقية ، علمهم معهد «لاپرنسا» الموسيقى مجاناً ، فإن كانوا من أفذاذ الموهوبين أنفقت عليهم ليتابعوا دراساتهم فى الخارج .

وقد أنشأت « لا پرنسا » مكتبة عامة ، وقاعة للمحاضرات فى وسع أى جماعة تشاء أن تنتفع بها بلا مقابل ، ولها معمل يستطيع أى تاجر أن يبعث إليه ما يريد لتحليله .

وليست هذه كلها إلا أعمالا يسيرة ، إذا هى قيست إلى إصدار صحيفة تعد بحق من كبريات صحف الدنيا . ومؤسس «لاپرنسا» هو جوزيه كلمنت باز ، وقد وضع فى عددها الأول ، الذى ظهر فى سنة ١٨٦٩ ، المبادىء

التى يهتدى بها ، وهى : الصدق ، الشرف ، الحرية ، التقدم ، المدنية .

وقد مضت الجريدة ينمو حجمها وترتفع منزلتها ، فلما بدأ المهاجرون يتدفقون على الأرجنتين للعمل فى زراعة القمح ، تقدمت « لا پرنسا » لتكون مركزاً لمراسلاتهم ، وما زال الكثيرون يتخذونهـا إلى يومنا هذا « شباكا » عاماً لتسلم بريدهم .

وقد زادت الجريدة تحبباً إلى المهاجرين الجدد بما تنشره من أنباء بلادهم فى أوروبا ، فلما أمسى المهاجرون مواطنين ، لهم ممتلكاتهم وأعمالهم ، ولوا وجوههم شطر « لا پرنسا » كلما كان لديهم ما يقـدمونه للجمهور ، فباتت سوقاً يمكن أن يشترى فيها أى شىء أو يباع . ويستطيع المرء أن يجد فيها عملا ، ويستطيع صاحب العمل أن يجد عمالا . وصار أعظم دخل « لاپرنسا » يأتيها من آلاف الإعلانات المبوبة المتواضـعة المؤلفة من سطرين ومن ثلاثة أسطر ، ولم تلبث هذه الإعلانات أن جلبت لها الغنى ، حتى أصبحت « لا پرنسا » اليوم ، يشد أزرها ، هـذا البناء القوى من الأفراد الضعفاء ، أكثر صحف الدنيا ثراء .

ويعتنى بإعداد مقالات « لا پرنسا » مثل عناية محام بقضية يقدمها إلى « المحكمة العليا » ، ولـكنها مقالات عنيفة جريئة . فمما يجرى على الألسنة فى بونيس إيرس أن « لاپرنسا » إذا هاجمت انهارت الحكومات . وهو قول صادق إلى حد بعيد ، وإن كان الأمر قد يستغرق زمناً فى بعض الأحيان ، كما حدث فى مسألة حكم كاستيلو الذى عارضته لاپرنسا معارضة قوية .

وقد حاولت الحكومات والاتحـادات الصناعية الكبرى والمصالح الخاصة أن تؤثر فى سياستها مرة بعد أخرى ، فجربت الرشوة وعمدت إلى القوة ، ولـكن بغير جدوى . ومنـذ أمد قريب قذفت جماعات النازى القنابل داخل أبوابها الحديدية ، وجلجل رصاص المدافع الرشاشة مخترقاً نوافذها ، وقد اضطر الناشرون مرة أن يشحنوا الفناء بالـكهرباء ، وأن يغمروه بالمـاء ، بحيث يتعرض من يطأه لهزة عنيفة ، وذلك اتقاء لشر إحدى الهيئات التى بلغ خطرها مبلغاً عظيما . وفى دار الجريدة قاعـة للسلاح لتـدريب المحررين على استـخدام السيف و « الشيش » ، ومحررها الحالى حزقيال باز من أبرع الرماة .

وتحرص الجريدة كل الحرص على أن تظل بمنجاة من الخضوع للنفوذ الخارجى ، فهى لا تستغل شيئاً من أموالها الضخمة فى السندات التجارية والصناعية . ولا يلبى الدون حزقيال الدعوات للمجتمعات السياسية

أو الدبلوماسية خشية التورط فى صلات تحد من حرية الجريدة . ولا تقبل « لاپرنسا » أى إعلانات حكومية ولا تنشر الإعلانات الانتخابية ، على أساس أن هذا العمل يؤدى إلى محاباة المرشح الغنى .

وهذه قصة نسوقها مثالا لنزاهة الجريدة : نشرت « لاپرنسا » مقالا تنتقد فيه اتحاداً كبيراً ، فحاولت الشركة أن تنشر فى اليوم التالى إعلاناً من صفحتين رداً على هذه الحملة ، ولكن المحرر رفض الإعلان وقال بأدب : « إذا أردتم الرد ، فأعدوا بياناً ننشره لكم على أنه خبر » .

والناس يجلون « لاپرنسا » حتى الذين يكرهونها ، وهذا هو السر الذى من أجله تأبى الحكومات أن تفرض عليها رقابة ما ، فقد عطلت حكومة كاستيلو السالفة عدة صحف ، ولكن « لاپرنسا » كانت تترك دائماً وشأنها ، مع أنها كانت أشد طعناً على الحكومة من باقى الصحف .

وتنشر « لاپرنسا » عادة من أنباء العالم الخارجية أكثر مما تنشره أية صحيفة أخرى فى الدنيا . وبينما كانت سائر صحف بونس إيرس تخصص الصفحات للملاكم فيربو ، الذى قهر ويلارد ، ثم هزمه دمبسى ، لم تزد « لاپرنسا » على أن كتبت فقرة أو فقرتين عنه ، ومع ذلك فقد نقلت مباراة بطولة الشطرنج بين كابالانكا ولاسكر حركة بحركة ، مقابل ريال ونصف ريال عن الكلمة الواحدة . وقد أنفقت ١٠،٠٠٠ ريال لتنقل بالبرق إلى بونس إيرس تقرير مشروع داوز ، عن التعويضات الألمانية ، وكان يشمل ٣٠،٠٠٠ كلمة ، ولعله أطول نبأ تلقته صحيفة بالبرق .

وكان أحد محررى « لاپرنسا » الأيقاظ هو الذى كلف شركة « الصحافة المتحدة » — يونيتدپرس — فى برلين أن تتحدث إلى عالم رياضى ألمانى مغمور ، ما هو إلا « ألبرت أينشتين » ، فكل الفضل يرجع إلى « لاپرنسا » فى توجيه اهتمام العالم إلى نظريته فى النسبية .

وقد ترتبت نتائج خطيرة الشأن على تحمس « لاپرنسا » للأنباء الخارجية . فقد كانت تتلقى معظم أنبائها زمن الحرب الماضية عن طريق هافاس ، الوكالة الفرنسية للأنباء . وقد أثار سخط « لاپرنسا » تقصير هافاس فى عرض وجهة النظر الألمانية ، حتى رفضت هافاس أن تنقل بلاغات الأعداء . فلما انتهت الحرب أقنعت « لاپرنسا » شركة « الصحافة المتحدة » بأن تغطى الدنيا بمراسليها الذين يستقون أنباءهم مباشرة من مصادرها الأصلية .

وكانت « الصحافة المتحدة » وكالة أنباء

صغيرة ، فزادت عدد موظفيها فى الخارج حتى بلغوا ثلاثة أمثالهم ثم أربعة أضعافهم ، وبدأت الأنباء تنصب على الأسلاك انصباباً ، وكانت « لا پرنسا » تدفع التكاليف . وظلت هذه البرقيات زمناً ترد إلى نيويورك ثم تنقل إلى بونس إيرس ، وماتكاد تظفر من أحد من المحررين فى نيويورك بنظرة . ثم بدأ محررو نيويورك يهتمون بها شيئاً فشيئاً ، ويبعثون منها رسائل بين حين وآخر إلى الصحف المحلية . فطلبت صحف أمريكا الشمالية المزيد ، وأصبحت بعد قليل تنشر معظم الأخبار التى كانت ترسل من قبل إلى « لا پرنسا » وحدها . ولم تلبث « الصحافة المشتركة » أن وسعت نطاق أنبائها الخارجية . فإذا كان سكان الولايات المتحدة يقرأون اليوم من الأنباء الخارجية أكثر مما يقرؤه غيرهم ، فإن بعض الفضل فى هذا راجع إلى « لا پرنسا » إذ كانت هى البادئة.

ويجلس محررو « لا پرنسا » على مقاعد من الجلد المزركش باليد ، فى مكاتب هادئة ساكنة ، وكانوا إلى وقت قريب ، يكتبون مقالاتهم دون استعانة بالاختزال ، وإذا استثنينا الصوت المتواتر لجهاز تدوين الأنباء البرقية ، فإن الهدوء السائد فى حجرة الأنباء هو نقيض الضجة المألوفة فى مكاتب الصحف بالولايات المتحدة . ومع ذلك فإذا وقع حادث كبير وثب المحررون يتدفقون نشاطاً ، فقد بعث أحدهم بطائرات ظفرت بالصور الأولى عن المعركة التى دارت بين الطرادات البريطانية وجراف سبى . ولما ضل سر أرنست شاكلتون الرائد القطبى ، نظمت « لا پرنسا » حملة كى تبادر إلى إنقاذه . فإذا جاء يوم الانتخاب أصبح المخبرون رقباء على الصناديق ضماناً لسلامة التصويت .

وإذا كان النبأ ذا قيمة عالميـة ، أطلقت صفارة فى أعلى بنائها صوتاً طويلا ناعبا يصم الآذان ، فيقبل الناس من حوانيتهم ومكاتبهم يعدون إلى لوحة الأنباء فى الدور الأرضى، وإن كثرة الوافدين لتكفى لوقف المرور بشارع دى مايو العريض فى بونس إيرس.

وإنك لتجـد فى غيرها من صحف بونس إيرس كثيراً من العناوين الضخمة ، والأنباء تروى بتفصيلاتهـا البشعة المغرية كلهـا ، أما « لا پرنسا » فلها أسلوبها الرصين. وفى صفحاتها الأولى إطار لا يتضمن غير العناوين ، أما الصـفحات الخمس إلى الثمانى الأولى فهى مليئة بالإعلانات المبوبة. ثم يتلوها أعمدة الأنباء ، ولكنك لن تجد عنواناً يزيد على نصف بوصـة ، ولا اسما فوق أية رسـالة ، وهى تنشر أنباء الطلاق بغير تفصيل ، وتروى حوادث الانتحار على أنها وفيات لا أكثر ، وحتى حوادث القتل

تورد على أنها موت وقع فى ظروف مؤلمة .

وتسود هذه الكياسة فى قسم الإعلان ، إذ يتردد الناشرون فى قبول إعلان عن لبان « ريجلى » لأنهم لا يستحسنون دخول عادة مضغ اللبان فى الأرجنتين . وحين أعار دون فاجنيو ، محرر المقال الفكاهى فى «لا پرنسا» شخصيته للاعلان عن نوع من البن ، لم تكتف «لا پرنسا» برفض الإعلان، بل استغنت عن نشر المقال الفكاهى ، مع أنه كان يثير شغف الجماهير فى الأرجنتين .

وتحبو « لا پرنسا » مستخدميها برعايتها الأبوية السمحة ، فإذا بلغ أحدهم الكبر ، كف عن العمل، وظل يتقاضى أجره كاملا. ولم تطرد من خدمتها غير ثلاثة أشخاص .

وقد ولد مديرها الحالى ، الدون حزقيال بعد تأسيس الجريدة بسنوات ، واشتغل فى الأيام العجاف الأولى فى حجرة الجمع ، يصف الحروف ويدير قرص آلة الطباعة القديمة ، ثم أكب بعد ذلك على مسائل التحرير .

فلما شيدت دار « لا پرنسا » هذه ، كانت أفخم مبنى فى المدينة ، لأن المؤسس كان يعد الصحافة أسمى ضروب الخدمات العامة . فلما زارها أحد ممثلى الفاتيكان ، لاحظ أن « البناء يكاد يكون أكثر أناقة من أن يكون دار صحيفة ! » . فاجابه دون جوزيه متندراً : « أليست كاتدرائية القديس بطرس فى روما أكثر أناقة مما ينبغى ؟ » .

وقد أحسن الرجل الكبير تربية ولده ، فكان يسافر كل سنة إلى أوروبا ، ويخلف الشاب وراءه ليتولى العمل ، اعتقاداً منه بأن خير وسيلة لكى تتعلم عمل شىء ما ، هى أن تكابده بنفسك . والدون حزقيال الآن فى الثانية والسبعين ، وهو رجل طوال أنيق رشيق على كبر سنه ، وقد اقتدى بأبيه فى أن يزور أوروبا كل سنة تاركا ولد أخيه الدكتور جانزا باز ، ليتولى عبء العمل .

ولم يزر دون جوزيه ولا دون حزقيال، الولايات المتحدة قط ، ولكن الدكتور باز وهو الآن محرر « لا پرنسا » الآخر ، زارها ، ووعد بأن يعود فيزورها مع أسرته زيارة طويلة الأمد . ولهذا مغزاه ، فإن « لا پرنسا » لم تكن دائماً صديقة للولايات المتحدة ، فكثيرا ما خالف أصحابها سياسة وشنطن ، وقد نشرت فى أعمدتها أشد المقالات لذعاً ضد الولايات المتحدة .

إلا أن «لا پرنسا» قد دأبت فى السنين الأخيرة على تأييد سياسة تضامن نصف الكرة الغربى ، ومع ما تم حتى الآن فى الأرجنتين فقد نجحت «لا پرنسا» فى خلق جو من المودة للولايات المتحدة والعطف على قضية الحلفاء سوف يدفع بالبلاد فى الوقت المناسب إلى الانضمام إلى الأمم المتحدة .

كيف استطاع ضابط شجاع مقدام فى باتان أن ينتزع الكينا من تحت مدافع اليابانيين ويهبها للأمريكيين

كيف عادت الكينا إلى موطنها

ج. لاسى رينولدز

ملخصة عن مجلة « أميريكان ميركيورى »

تعد الملاريا ألد عدو لنا فى كل ميدان استوائى من ميادين القتال . فى المنطقة الجنوبية الغربية من المحيط الهادى ، تصاب قواتنا إصابتين بالملاريا مقابل كل إصابة فى القتال . وبرغم المادتين الكيميائيتين المقاومتين للملاريا ـ الأتبرين * والبلاسموكين ـ نحتاج إلى كل مانستطيع الحصول عليه من الكينا ، لأن كبير جراحى الجيش يقدر عدد المصابين كل سنة بالملاريا بثمانى مائة مليون ، أى إن أربعة أعشار سكان الأرض مصابون بها .

وحين فتح اليابانيون جزيرة جاوة قطعوا مورد الكينا عنا ، فسعى وكيل رياسة الجمهورية هنرى ولاس ، بصفته رئيساً لمكتب الحرب الاقتصادية ، للحصول على لحاء السنكونا ــ وهو المادة التى تستخرج الكينا منها ــ أينما وجد هذا اللحاء ، غير عابىء بالتكاليف ، ثم توجيه العناية إلى زراعة أشجار السنكونا فى جمهورية كوستاريكا الاستوائية الاقليم .

على أن قصة هذه الأشجار ، هى على الأكثر قصة رجل فرد ، وقد بدأت فى باتان وهى شبه جزيرة بالفيليبين . فى اليوم الرابع من شهر مارس سنة ١٩٤٢ كان الكولونيل آرثر ف . فيشر ، أحد ضباط احتياطى المخابرات العسكرية ، مصاباً إصابة خطيرة بالملاريا فى أحد مستشفيات الميدان ، فى باتان المحاصرة . ومرت به ممرضة ، فمد يده فى ضعف وأمسك بثوبها وهو يهمس : « أرجوك ، أعطينى مزيداً من الكينا » فردت عليه : « إننى آسفة فمعين الكينا أخذ ينضب » .

فهزه ما سمعه هزاً عنيفاً ، كما هزه ما كان فى موقفه من السخرية ، ذلك بانه قضى

---

* راجع « دخل الأتبرين ــ خرجت الملاريا » المختار عدد نوفبر سنة ١٩٤٣ صفحة ١١

قبل ذلك عشرين سنة وهو يكافح بلادة الحس والغباء الحكومى، محاولا أن يظهر رجال الحكم، فى وشنطن ومانيلا عاصمة الفيليبين، على ما لزراعة الكينا فى البلاد التى يخفق فوقها العلم الأمريكى من الشأن العظيم. وهذا هو الآن، ومئات غيره على حافة القبر، برهان على صحة ما كان ذهب إليه.

على أن هذا البلاء الذى نزل بحماة باتان أورى زناد عزمه، فعزم على ألا يموت. فأمر المعتنين به من رجال الجيش أن ينقلوه إلى مكان فى الخارج ويضعوه فى ظل الأشجار، حيث قضى خمسة أيام يكافح فى صمت وتجلد، الحمى التى ركبته. وفى اليوم السادس تمكن من أن يخط خطا ضعيفاً على الورق، فكتب فى فترات قصيرة متقطعة مذكرة موجهة إلى الجنرال واينريت.

فبين الكولونيل فيشر فى مذكرته أنه كان منذ سنوات رئيساً لمكتب الغابات فى حكومة الفيليبين، وأنه جرب زراعة أشجار السنكونا فى جزيرة مندناو الواقعة على ستمائة ميل إلى الجنوب، فلو أرسل إلى هناك لوجد لحاء الشجر فسحقه وأرسله إلى باتان حيث يمكن إغلاؤه كما يغلى الشاى، فيصد فتكات الملاريا.

فجاء الجنرال يعوده وسأله: ما عندك عن هذه الكينا؟

فقال المريض: لست أدرى ما المقدار الذى أستطيع الحصول عليه ولكننى أعلم أننى أستطيع أن أحصل على شىء منها

كان كل مقدار، مهما يكن ضئيلا، عظيم الشأن فى نظر واينريت، فخمسة وثمانون فى المائة من الرجال فى بعض وحداته مصابون بالحمى. فبادر وأمر بان ينقل الكولونيل فيشر بطائرة إلى مندناو. وكانت الطائرة الوحيدة التى أتيحت لهم، طائرة تجارية عتيقة من طراز بلانكا، حكم عليها قبل ثلاث سنوات بأنها لا تصلح للطيران، وما كانت سرعتها تزيد على تسعين ميلا فى الساعة، فكانت هدفاً ميسوراً لمطاردات الأعداء. فجعلت تتسلل من جزيرة إلى جزيرة، وهى تسف فى طيرانها إلى بطون الأودية حتى تبقى بعيدة عن أنظار اليابانيين.

أنهكت الرحلة الكولونيل فيشر، فقضى يومه الأول على الجزيرة فى الفراش، وكان وزنه قد هبط من ١٥٠ رطلا إلى ستة وتسعين رطلا، وقد أصيب بتسمم الدم فى ذراعه، علاوة على الحمى، فهى تنبض بالألم نبضاً. وفى اليوم الثانى جمع حول سريره جماعة من أعوانه السابقين يوم كان رئيساً لمكتب الغابات، وكانت أواصر الصداقة قد ربطته بهم وربطتهم به منذ أن

جاء الفيليبين فى سنة ١٩١٢ حديث العهد بالتخرج من مدرسة الغابات بجامعة ييل . فوضع لهم الخطـة التى وضعها لجمع لحاء السنكونا الثمين .

اتقدت عناية فيشر بالكينا فى سنة ١٩٢١ حين شهد هو والجنرال ليزد وود ، حاكم الفيليبين ، أحد عمال الغابات فى محطة بعيدة وهو يموت مصابا بالملاريا لأنه لم يجد كينا . وكانت الكينا حينئذ ، كما هى الآن ، غالية الثمن يشق الحصول عليها ، بعيدة عن متناول أهل الشرق . وكان المورد الأول للكينا جزيرة جاوة ، وكان الهولنـديون يسيطرون عليها بيد من حـديد ، وقد يحرقون الفائض من لحاء الشجر ليبقى سعر الكينا مرتفعاً . فعزم فيشر على أن يكون للفيليبين موردها الخاص من الكينا ، وأن يكون مورداً غزيراً ، وأن تبلغ من رخص الثمن ما يجعلها فى متناول كل وطنى.

وكانت مشكلته الأولى هى الحصول على بزر شجر « سنكونا لدجريانا » الكبير المحصول ، وهو الشجر الذى كان الهولنديون ربوه وتعهدوه . وبزر هذه السلالة ، جاء به أولا من أمريكا الجنوبية إلى لندن ، رجل يدعى شارلز لدجر وهو بستانى بريطانى ، ثم أخذ البزر من لندن إلى الهند ثم منها إلى جاوة . وهناك تعهده الهولنديون حتى أصبح شجره أكثر شجر السنكونا محصولا من الكينا ، وما لبثت جاوة أن أصبحت مورد ٩٥٪ من محصول الكينا العالمى .

وفى سنة ١٩٢٢ استكشف فيشر مزارعاً هولندياً أثقلته أعباؤه المالية ، فباعه سراً كمية يسيرة من البزر بأربعة آلاف بيزو ، فوضعها فيشر فى علبة لبن ، وهربها من جاوة بواسطة ربان بريطانى .

إن زراعة شجر السنكونا زراعة شاقة . فنصف البزر سطا عليه نبات فطرى فلم ينبت ، وكان لا بد من تنقية الصراصير باليد عن النابت الغض منها . ثم جاء الجفاف فكان لا بد لبقاء هذا النبات حياً من نقل الماء بالبراميل مسافة نصف ميل والصعود بها فى منحدر تل . ثم غاض الماء ، فوجه فيشر نداء إلى مجلس السيطرة على الملاريا لحكومة الفيليبين لإنشاء خزان ماء صغير ، فرفض طلبه ، وكان الباعث على الرفض أن زراعة السنكونا لا يمكن أن تعد جزءاً من السيطرة على الملاريا !

وبرغم هذه الصعاب جميعها ، جنى اللحاء الأول من هذا الشجر سنة ١٩٢٧ ، وثبت أن ما يحتويه من الكينا يضاهى ما يحتويه لحاء السنكونا فى جاوة . فاقتنعت الحكومة أخيراً بوجوب إنشاء مصنع مثالى صغير ، فى مانيلا لاستخراج التوتاكينا (وهو المادة

الخام التى تقطر الكينا منها) ، ولكنها تفعل فعل الكينا ولا تكلف إلا نصف نفقتها .

ولكن مصنع مانيلا وقع الآن فى أيدى اليابانيين ، ولم يبق للكولونيل فيشر من عمل عشرين سنة إلا الشجر المزروع فى مندناو. وبدأ سانتوس، معاون فيشر، يجىء باللحاء ، وكان فيشر قد عثر على مطحنة ذرة فى مزرعة قريبة ، فطحن بها اللحاء . ثم وجد ٢٧٥ وعاء فارغاً من أوعية الزيت ، فنظفت وأعدت للشحن . وما انقضى الأسبوع الأول حتى كان المشروع سائراً على ما يرام .

وفى يوم الفصح ٥ أبريل جاءت فيشر رسالة من الجنرال واينريت بأن وصول السفن إلى باتان أصبح مستحيلا ، وأنه يتعين على فيشر أن يستخلص العقار من اللحاء المسحوق ويرسله بالطائرة . ولم يكن مع فيشر كيميائيون ، وكانت تعوزه المواد الخام اللازمة لعملية الاستخلاص ، مثل الحمض الكبريتيك ، والجير ، والأثير .

ثم تذكر صديقه القديم « الأب فلين » وهو قسيس إرلندى مقدام يعرف جزيرة مندناو كما يعرف كتاب الصلاة ، فأتاح القسيس لفيشر استعمال معمل الكيمياء بمدرسته . وعثر على قسيس اخر كان كيميائياً صيدلانياً ، ووجد أمريكياً آخر أحرز رتبة الدكتوراه فى الكيمياء قبل عشرين سنة ، ولكنه لم يمس أنبوب تجارب منذ ذلك الحين .

وكان فيشر يغافل معالجيه ويسافر النهار كله ويعمل الليل كله ، فكشف خمسة أوعية أو ستة من الحمض الكبريتيك فى مخزن منجم مهجور . وأخذ من المستشفى بضعة أوعية من الأثير ، وجاءته الزوارق الشراعية بالجير من جزيرة مجاورة ، وكشف مادة إيدروكسيد الصوديوم فى مصنع صابون ، وكان لا بد من خلط هذه المواد معاً فى وعاء من الصلب الذى لا يصدأ .

فعجز فيشر فترة عن حل هذه المعضلة ، ولكنه وجد أخيراً هذا الوعاء فى مصنع متهدم لحفظ الأناناس .

وقد تم كل هذا فى أربعة أيام حافلة ، بعد تلقيه رسالة الجنرال واينريت ، ثم جاء الخبر المفجع بأن باتان قد سقطت فى أيدى اليابانيين .

وأدرك فيشر أن لا أمل بعد ذلك لبقية جزائر الفيليبين ، وأن اليابانيين مستولون ولا بد على مندناو ، وعلى آخر ما فى أيدى الحلفاء من شجر السنكونا ، ولكن لعله يستطيع أن ينقذ بعض بذور هذا الشجر لبذره فى القارتين الأمريكيتين . على أن

بذور السنكونا لا تبقى حية قابلة للإنبات إلا إذا حفظت فى أوعية أحكم سدها ، وكانت فى درجـة خاصة من الحرارة والرطوبة . فأخـذ فيشر علبتى لبن ، ووضع الصغيرة منهما داخل الكبيرة ، وحشا الفراغ بينهما بطحلب جاف ليسيطر على الرطوبة . ووضع فى العلبة الداخليـة مليونى بذرة وختمت العلبة الخارجيـة . وأدرك الجيش الأمريكى قيمة هذا العمل ، فنقل فيشر إلى استراليا فى طائرة ، كانت إحدى الطائرات الأخيرة التى غادرت الفيلبين . وأبرق الجنرال ماك آرثر إلى وشنطن ليتأهب رجال الحكومة للعناية بهذه البذور، ووضع فيشر على أسرع سفينة مسافرة . فلما وصل إلى سان فرنسيسكو، نقلت البذور بالطائرة إلى وشنطن وزرعت فى مستنبت خاص فى محطة تجارب تابعة لوزارة الزراعة .

وعين فيشر للعمل فى مكتب الحرب الاقتصادية على أن يختص بإنشاء مزارع شجر السنكونا . وبعـد تذليل العقبات ، عقد اتفاق مع حكومة جمهورية كوستاريكا لتخصيص عشرة آلاف فدان لهذه المزارع فى منطقـــة سان جوزيه ، حيث الحرارة والرطوبة والارتفاع تماثل ما يقابلها فى جاوة .

وما أقبـل الربيع المـاضى حتى كان ٩٨ ٪ من البذور التى زرعت فى محطـة وزارة الزراعة قدأنبتت ونمت فبلغ ارتفاعها من ثمانى بوصات إلى عشر بوصات ، ثم شحنت بالطـائرة إلى مزارع كوستاريكا . وذهب فيشر إلى كوستاريكا فى مايو ، بعد انقضـاء سـنة كاملة على سـقوط جزيرة كوريجيدور ، وينتظر أن يستخرج منها مقدار قليل من الكينا فى سنة ١٩٤٦

وحين تنتهى الحرب ، ستكون مشكلة توفير الكينا اللازمة للمدنيين أعظم كثيراً من مشكلة توفيرها الآن للقوات المحاربة . وما تحتاج إليه الصين وحدها يكفى لإرهاق الموارد العالمية جميعاً . وقد بلغت سرعـة انتشار الملاريا هناك مبلغاً حمل أحد الثقات على القول : « بأن اليابانيون قد يستطيعون قريباً أن يعهـدوا إلى البعوض فى قتال الصينيين » . ويقدر عدد المصابين بالملاريا فى الهنـد بمائة مليون ، يموت منهم ثلاثة ملايين كل سنة . واتساع صناعة الأتبرين والبلاسموكين لا يغنى عن مقادير كبيرة من الكينا ، فتشتد الحـاجة إليها فى علاج الذين لا ينفعهم العـلاج بالعقاقير المصنوعة بالكيمياء .

وبفضل هذا الرجل الجندى البطل ، قد تتمكن المناطق الاستوائية الأمريكية من توفير الكينا الرخيصه للعالم .

باب الكتب

پاريس ... تحت الأرض

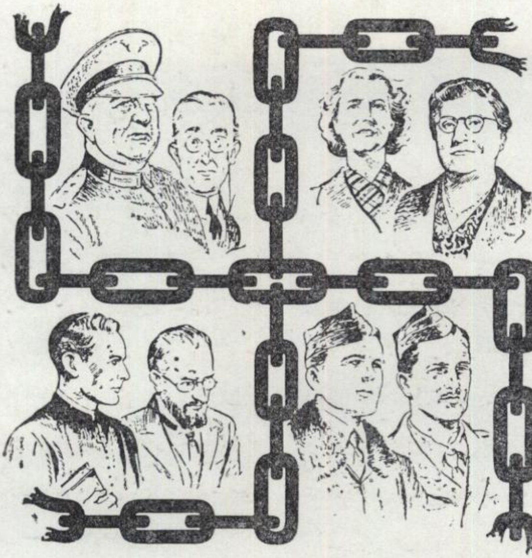

ملخصة عن كتاب بقلم إيتا شيبر

كتبت دوروثى كانفيلد تقول :

« إن هذا السجل الذى يستولى على هوى القارئ ، لتجارب امرأتين ضد الجستابو ، وهذه البطولة المؤثرة لملايين من صغار الناس فى فرنسا ، ليست حقيقية واقعية فحسب ، بل هى ترن فى الأذن رنين الصدق . وقد توخت المؤلفة أن تقتصر على تدوين ما حدث من غير أن تتكلف أية محاولة لتوشية الحقائق ، أو أن تجعل من نفسها بطلة ، ولكنها بطلة مغامرات يقف لها الشعر . ولا ينبغى أن يفوت أى أحد أن يطلع على هذه القصة المدهشة ، قصة البسالة والإقدام والتضحية بالذات . وما من أحد يستطيع أن ينساها » .

ويقول الناشرون إن الحقائق الأساسية فى هذا الكتاب ثابتة فى السجلات . وقد غيرت بعض الأسماء والتفاصيل التى يجهلها الجستابو أو حذفت لأسباب بديهية .

وكتاب « باريس — تحت الأرض » من مختارات نادى « كتاب الشهر » لشهر أكتوبر .

لم أقل كلمة وداع لأوربا . و كنت فى جوف الباخرة — فى غرفتى — لما بدأت تتحرك ، ولا بد أن آلاتها ظلت تدور زمنا قبل أن أشعر بنبضها المكتوم ، فأسرعت فصعدت إلى ظهر الباخرة . وكان شاطىء البرتغال قد غاب عن النظر فى غَبش المساء ، وصارت الباخرة تسرى وحدها فى وهج ساطع من النور ، وقد أضاءت المصابيح القوية الأحرف السود المخطوطة على هيكلها الأبيض : « دبلوماسى — دروتننجهام — دبلوماسى »

وكنت فى طريقى إلى وطنى بعد أن لبثت فى سجن نازى أكثر من عام . فقد فتح فى مكان ما ، فى الولايات المتحدة باب سجن وأطلق سراح سجين ألمانى ، كنت أنا بدلاً له .

وأخبرنى « ويلى » فنصل الولايات المتحدة فى لشبونة أن السجين الذى أفرج عنه بدلاً لى هى « جوهانا هوفمان » حلاقة الباخرة الألمانية « بريمن » ، وقد حكم عليها بالسجن فى سنة ١٩٣٨ ، بعد أن ثبت أنها عضو فى عصابة ألمانية خطرة للتجسس تعمل فى الولايات المتحدة .

فهل كان إطلاق سراحى يستحق مثل هذه التضحية ؟

أجاب عن هذا السؤال موظف فى القنصلية الأمريكية بلشبونة فقال لى : « يا عزيزتى السيدة شيير ، إن وزارة الخارجية تعلم علماً تاماً ما فعلت فى باريس . ولنفرض أن البريطانيين فى الحرب الماضية تيسر لهم أن يبادلوا بإديث كافيل ؟ أنت ، على كل حال إديث كافيل فى هذه الحرب » .

فلم يسعنى أن أدع هذا القول يمر بلا اعتراض وقلت : « كلا لست مثلها ، ولكن لعل صديقتى العزيزة كيتى كانت كذلك ، فإن ما عسى أن يكون هناك من فضل فيما صنعنا يرجع إليها ، وإنما كنت أتبعها فى حيثما تقود ، وقد دفعت هى وحدها الثمن ، فما زالت بين أيدى الجستابو إذا كانت حية ، أو لعلها ماتت إذا كان الحكم الذى قضى به عليها قد نفذ . نعم ، كيتى بوريبو هى

التى كانت خليقة أن تقوم فى هـذه الحرب مقام إديث كافيل » .

* * *

قابلت كيتى فى سنة ١٩٢٥ فى إحدى رحلاتى السنوية إلى باريس ، وهى بنت أحد رجال المصارف فى لندن ، وقد تزوجت تاجر نبيـذ فرنسى اسمه هنرى بوريبو ، وانفصلت عنـه وفارقته على قاعدة ودية تماماً . وكانت من الوجهة المالية مستقلة وفى سعة من الرزق ، ولـكنها أرادت أن تشغل فراغها بعمل ما ، ففتحت دكان ثياب فى شارع روديبه ، وفيه لقيتها فنشأت بيننا صداقة وثيقة .

وفى سنة ١٩٣٣ لما مات أخى إرفنج فجأة فى باريس ، تولت كيتى الأمر عنى فى هذه المحنة المباغتة ورتبت أمر دفنه فى مقبرة الأب لاسيز . ثم بعد ثلاث سنوات ، يوم مات زوجى أبرقت إلى تدعونى أن أعيش معها فى باريس ، وكان فقد الرجال من أهلى قد أورثنى الحيرة ، فما بقى لى من يتولى أمرى ، فأبرقت إليها شاكرة أنى آتية .

واستقر بنا المقام معاً فى شقتها الحديثة الوثيرة ، وتشاركنا فى حيـاة طيبة كانت مواردنا المعتدلة كافية لها .

وكانت نهاية حياتنا فى هذا البرج العاجى ذات يوم قبل أن يدخل النازى باريس — ١٣ يونية سنة ١٩٤٠ . وكنا قد أخلدنا إلى الاعتقاد بأن الفرنسيين — كما قال رئيس الوزارة بول رينو — سيدافعون عن باريس بيتاً بيتاً ، فأهملنا الإشاعات الملحة والذعر المتزايد ، ولـكننا فى ذلك اليوم ، لما لم تظفر طلباتنا التليفونية المتكررة لأصدقائنا ، بجواب ، تنبهنا وأدركنا أن الجميع قد فروا .

وقلت وأنا لا أزال غـير مصـدقة : « سأطلب السفارة الأمريكية ، وسأعرف منها هل ينوى الألمانيون أو لاينوون أن يحاصروا باريس » .

فأجابنى صوت مذعور : « أما زلت فى المدينة ؟ ألا تعرفين أن الحكومة انتقلت إلى تور ؟ إن الألمانيين سيكونون فى باريس بعد ساعات ! » .

فجمعنا ماوسعنا جمعه من متاعنا وبنا مثل الخبل الأعمى ، ووضعناه فى سيارتنا وفررنا . ولـكننا كنا قد تأخرنا أكثر مما ينبغى فقد ألفينا الطريق روت ناسيونال رقم ٢٠ الذى يصل باريس بجنوبى فرنسا أضيق من أن يحتمل تيار الإنسانية المذعورة ، الذى كان يحاول أن ينحـدر إلى حيث يكون آمناً . وكان هنـــاك آلاف مؤلفة من اللاجئين ، فى السيارات ، وعلى الأقدام ، وعلى الدراجات يسدون الطريق فى وجهنا

مسافة مائتى ميل ولا يكادون يتحركون ، وفى صباح اليوم التالى كنا لا نزال فى مشارف المدينة ، وعلمنا أن الألمانيين دخلوا باريس .

وقالت كيتى فجأة : « إذا وصلنا مرة أخرى إلى مفرق طرق فسأعدل عن هذه السكة الملعونة ، وآخذ فى الحقول وأستعمل الطرق الخلفية » .

وكان أول مفرق ليس أكثر من سكة قذرة تتعرج بين الحقول المحروثة ، ولكنه كان جافاً صلباً ، فاستطعنا أن نقطع أربعين ميلا فى الساعة .

ثم هوت الضربة ! ! فقد كان الطريق أمامنا غاصاً بالسيارات المقبلة علينا ! ! ولما بلغتنا السيارات الأولى صاح بنا الناس : « ارجعا ! ارجعا ! إن الألمانيين وراءنا ! »

وأدركنا الليل لما دنونا من الطريق العام . وكنا على مسافة مائة ياردة منه حين سمعنا طنيناً خافتاً ما لبث أن صار عجيجاً فظيعاً فوق رءوسنا ، فوقفت كيتى السيارة وقفة رجتها .

وكنا نستطيع أن نرى جرم الطيارة الأسود فى جو السماء المعتمة ، واللهب المنبعث من أفواه مدافعها الرشاشة وهى تصب الموت على الصفوف التى وقعت فى الفخ على الأرض .

وخلا الطريق فى ثوان . فقد ذهب سائقو السيارات المذعورون يخرجون بسياراتهم عن الطريق ، ويلقون بها على الأشجار أو فى الحفر ، فانقلب بعضها وخرج ركابها منها وجروا ، ولم يبق سوى قليل من السيارات على الطريق وركابها لا حراك بهم ، وكانوا لم يلحقوا بالفارين فزعين من الطريق ، لأنهم قتلوا .

ولما غابت الطائرة وانقطع صوتها شرع الرجال والنساء يخرجون من الحفر على حذر ، ووقف بعضهم حائرين لا يدرون إلى أين يمضون . وكانوا قبل ذلك قد خرجوا على وجوههم إلى أى مكان فرارا من الخطر الذى كان وراءهم . فالآن أدركهم الذى كانوا يفرون منه ، فصاروا كأنهم فى شرك ، ولا مكان يذهبون إليه ، ولا شىء يصنعونه ، وقد وقعنا نحن مثلهم فى الشرك .

وتأدى إلينا فى الظلام صوت سيارات عدة ، وإذا بالجيش الألمانى قد أقبل كالسيل

وجاء أولا راكبو الموتوسيكلات من الجنود يسرعون إلى الجنوب وهم أتم ما يكونون اطمئناناً إلى أن الطائرات التى سبقتهم قد اجتاحت الطريق واكتسحته وأخلته ، ثم تلتهم السيارات المصفحة الخفيفة ثم أقبلت الدبابات تعج على الطريق الرئيسى من المفارق مجتازة الحقول . وكانت تبدو

كأنها فى كل مكان ، وأن لها ملك الأرض جميعاً ، وكان راكبو الموتوسيكلات يخرجون كل مائتى ياردة على نسق منتظم من وراء الجيش الزاحف ، ويقفون ويتولون أمر المدنيين .

وأقبل علينا الذى كان أقرب إلينا وقال بلغة فرنسية صحيحة : « ستعودان إلى باريس » .

فقالت كيتى متوسلة : « ولكنا نريد أن نذهب إلى نيس ! » .

وكانت عبارة الجندى الألمانى مؤدبة ، ولكنه كان على شفتيه التهكم وهو يقول : « هذه وجهتنا نحن ياسيدتى ، أما أنتما فتعودان إلى باريس » .

فمضينا بسيارتنا إلى الطريق العام ، وبعد ساعات وقفنا أمام فندق وقد أنهكنا التعب وكدنا نسقط من الإعياء ، ولكن صاحب الفندق ، وكان واقفاً فى مدخل الباب ، أشار إلينا أن اذهبوا وقال : « ليس عندى شئ أقدمه لكم ، وقد مر بى مليون من الخلق فى اليومين الماضيين » .

فقالت كيتى وهى تفتر له عن أعذب ابتساماتها : « يكفينا فنجان من الشاى » ودخلت وجلست .

وفعلت الابتسامة فعلها ، فأوصد الرجل بابه وقدم لنا الشاى ، وزاد فأعطانا قطعة صغيرة من اللحم المقدد ، وقليلا من الجبن .

وسألنا بلهجة المهتم : « إنجليزيتان ؟ إذن يسعكما ان تصنعا لى شيئاً ، فإن عندى هنا رجلا لا يتكلم غير الإنجليزية . فاصنعا معروفا وقولا له إنه سيورثنى متاعب إذا بقى هنا .. إنى آسف جداً » ، وأخرج من غرفة داخلية شاباً مديد القامة ، عليه معطف من الجلد فوق البدلة الزرقاء الرمادية التى يلبسها رجال الطيران البريطانى الملكى .

وحدثنا الشاب أن اسمه وليم جراى ، وأنه طيار ، وأنه سقط عند دنكرك ولم يتيسر له أن يصل إلى سفن الجلاء ، وقال لنا بلهجة المعتذر : « إذا تفضلتما فرجوتما من صاحبنا هذا أن يعطينى ثياباً مدنية ، فإن فى وسعى أن أعنى بنفسى » . فترجمت كيتى كلامه .

فصاح رب الفندق : « يالها من حماقة ! إنه إذا كان فى ثياب مدنية فإن الألمانيين يستطيعون أن يرموه بالرصاص على أنه جاسوس ، أما وهو فى بذلته العسكرية فإنه يعامل معاملة أسرى الحرب » .

وجلس جراى ساكناً هنيهة ، ثم نهض وعلى فمه ابتسامة المرتبك .

وقال : « يحسن بى أن أخرج من هنا حتى لا أورط أحداً . فهل لك أن تسأليه عن حسابى لأؤديه له ؟ » .

فضغطت ذراع كيتى وهمست فى أذنها : « لا تدعيـه يذهب . ألم تلاحظى أن به مشابه كثيرة من أرفنج المسكين لما كان فى العشرين من عمره ؟ » ، وكانت كيتى تعرف أخى حق المعرفة : « إن سيارتنا على الباب وفى وسعنا أن نخبئـه فى مكان الحقائب » . وكان مكان الحقائب فى سيارة كيتى يفتح من الداخـل لا من الخارج ، وكان وراء المقعد الخلفى ، فلو استوقفنا الألمانيون فى الطريق فإن من المستبعد أن يبحثوا عن أحد مختبئ فى هذا الصندوق .

وأشرق وجـه كيتى وقالت : « اسمع يامستر جراى . إن لى كلاماً معك » .

وهكذا أقدمنا نحن السيدتين النصفين فى أرض الأعـداء ومعنا طيار إنجليزى ، على مغامرة كانت خليقة أن تبدو لنا قبل ساعات قليلة فقط خيالية خرقاء .

***

وقضينا الليل كله فى الوصول إلى باريس ، وانعصر قلبى حين رأيت برج إيفل مرة أخرى . فقد كان علم الصليب المعقوف يخفق فوقه ، ودرنا حول القوس ووقفنا أمام البيت رقم ٢ بشارع بالنى دافريكور — بيتنا ! .

فقلت وأنا أبلع ريقى : « هل أخرج أنا أولا ؟ » وكنت أتوهم أنى أرى النازيين فى كل مكان متربصين للوثوب على .

فقالت كيتى همساً : « مهلا ! » .

وأقبل جماعة من الحراس الألمانيين محيطين بجندى فرنسى ، فلما اختفوا وراء ركن التفتت كيتى إلى مكان الحقائب وقالت : « يا مستر جراى ! » .

فجاء صوته المكتوم يقول : « نعم ؟ » .

قالت : « ستخرج الآن ، فزرّ معطفك فوق ردائك واتبعنا ، وأرسل نفسك على السجية ولا تتردد . هيا بنا » .

ولم نر أحداً فى الردهة ، واتفق للمرة الأولى أن كان المصعد خالياً وعلى الطبقة الأرضية ، فأسرعنا إلى شقتنا ، وألقيت بنفسى على الباب أوصده ودفعت المغلاق لأحكم قفله . وخيل الىّ ، لحظة ، أن ساقىّ لا تقويان على حملى .

وقال ولیم جرای : « ما كان ينبغى أن أدعكما تخاطران كل هذه المخاطرة من أجلى ولم أكن أدرك .... » ، وكان قلقه علينا يجعله يبدو أصغر جداً مما هو .

فقالت كيتى بحزم : « والآن اسمع أيها الشاب . إننا جميعاً فى هـذا معا ، والذى ينبغى أن نصنعه هو أن ندبر مخرجاً من هذا » . قالت هـذا وانسابت إلى غرفتها لتصلح من شأنها ، وكانت تدندن بذلك اللحن القصير المرح الذى كان يخطر لها دائماً كلما شعرت بالرضى عن نفسها .

وكان من السهل على كيتى أن تقول إن علينا أن ندبر مخرجاً من ورطتنا ، ولكن من أين نلتمس المعونة ؟ لقد كانت خادمتنا البريتونية « مارجو » هى الوحيدة المطلعة على سرنا ، وكنا على يقين من أنها ستكتمه ولا تخوننا . وكان الجستابو يقومون بالبحث عن الجنود المختبئين بدقتهم المعهودة ، وكانوا يسدون مخارج الأحياء حياً حياً ، ثم يروحون يفتشون البيوت واحداً واحداً ، فكنا نتوقع فى كل يوم أن يزورونا .

وسلخنا أسبوعاً فى جو من الفزع المستمر ، وكان وليم يأبى أن يتعزى أو يغتفر لنفسه أنه سبب لنا هذا القلق والاضطراب . ولمحناه مرة يسير على أطراف أصابعه إلى الباب وقد ارتدى ثيابه للخروج ، فجذبته كيتى وردته ووصفته بأنه ولد جحود ، ولكنها كانت تبتسم له فلم يسعه إلا أن يستسلم .

ولو أنه كان قد ذهب لما عرفنا راحة البال بقية حياتنا ، فقد كان الألمانيون يعدمون رمياً بالرصاص جميع الجنود البريطانيين الذين يقعون فى أيديهم على اعتبار أنهم جواسيس .

* * *

وتأخرت كيتى عن العشاء ذات ليلة ، وقرأت فى وجهها وهى تهفو داخلة أن لديها أنباء طيبة ، وانفجرت هى قائلة : « إيتا ! أتذكرين شانسيل ؟ » .

وكنت أذكره جيداً ، فقد عملنا معه فى نادى الجنود ، قبل أن نحاول الخروج من باريس .

وقالت كيتى : « التقيت به فى النفق . وأنا أثق به وأعتقد أن فى وسعه أن يساعدنا وسنقابله عصر غد » .

وجلسنا معا فى حجرة الاستقبال نرشف آخر ماعندنا من القهوة المدّخرة ، ونتحدث عن المقابلة التى ستجرى فى الغد والتى كنا نرجو أن تنتهى بها متاعبنا . ورأيت ابتسامة على وجه وليم — للمرة الأولى !

ثم دق جرس الباب !

وقد مضت على ذلك الصوت المصلصل شهور ، ولكنى أشعر مرة أخرى بالرعدة التى أصابتنى وشاعت فى بدنى كله ، وما زلت أرى وجه مارجو وقد ارتسمت عليه آيات الجزع وهى تتسلل إلى الغرفة وتغلق الباب .

« جاء الألمانيون ! » .

وكانت كيتى أول من أفاق فسألت : « أهم جنود ؟ » .

« كلا ، بل مدنيون » .

فقالت كيتى وهى تفهق : « الجستابو ! »

وكنت أسمع أنفاسها فى ذلك السكون ثم استدارت ، وقالت لى : « خذى بيل

(أى وليم) إلى غرفتك . واجتهدى أن تخبئيـه » وأدارت عينهـا بسرعة فى الغرفة : « وخذى هـذا الفنجان الثالث معك . أسرعى ! » .

ولمـا خرجنا ، رفعت هى صوتها تقول بلهجة من نفـد صبره على خادمة فزعة : « لا تـكونى حمقاء يا مارجو . ولا تطيلى انتظار السادة » .

وقع وليم على حافة الطارقة (الـكنبة) فى غرفتى ، ورأسه مثنى على صدره ، ويداه متشابكتان . فتساءلت أتراه يصلى ؟ وخيل إلى أن البوليس على النـاحية الأخرى من الباب يستطيع أن يسمع دقات قلبى .

وفى هـذا الاضطراب والفزع ، وضح لى فجأة شيئان مألوفان ، صورتان شمسيتان على صوانى ، لزوجى وأخى . وكنت أستطيع أن أسمع نبرات صوتيهما ، فى قلبى كما سمعتها كثيراً فى حياتيهما ، وكانا كأنما يقولان لى : « لقد وقعت يا إيتا فى مأزق صعب ، ولـكن لا تفقدى رشدك ، فإنا سندبر الأمر » .

وإذا بى أرى فجأة كيف يستطيع أخى أن يساعدنى . فوثبت إلى الطارقة وأمسكت بذراع وليم وقلت : « أسرع ! اخلع ثيابك وارقد على السرير ، وتظاهر بالمرض » .

وخلعنا معاً ثيابه الخارجية وأنا أهمس فى أذنه بخطتى . ولم تمض ثوان حتى كان راقداً على السرير ، ولففت على رأسه فوطة — فى الوقت المناسب — فقـد سمعت كيتى تصيح بى فى هذه اللحظة قائلة :

« إيتا ! أين أنت ؟ إن هذا السيد يريد أن يرى غرفتك » .

وخيل إلى أن عين الجستابو الناقدة تخترق ضلوعى ، وكان خلفه اثنان فى ثياب مدنية ، ومدام بيجلر بوابة العمارة . وكان من السهل أن يرى المرء من وجهها الجهم ونظرتها الشكسة أنهم لن يظفروا منها بمعونة .

وقالت كيتى : « هذه صديقتى الأمريكية العزيزة السيدة شير . وقـد ألفت نفسها ضحية للحرب — بعيدة من الأهل والوطن ، مثلـكم ! » .

وتكلفت جاهدة أن أبدو على السجية . وقلت : « أرجو أن تغضوا عن مظهر غرفتى ، فإن أخى طريح الفراش ، مصاب بحمى معوية ، وهى فاشية الآن فى المدينة . وعسى أن لا تضطروا إلى إزعاجـه » ، ولم أجرؤ على النظر إلى كيتى مخافـة أن يفضحنى وجهى .

وقال رجل الجستابو بإيجاز : « أوراقه من فضلك » .

ففتحت درجاً فى الصوان وأخرجت محفظـة أرفنج الحمراء وجوازه الأمريكى

وبطاقتـه الشخصية ، وحمـدت الله على احتفاظى بها .

فقلب رجـل الجستابو صفحات الجواز بسرعة ووقف عنـد صورة أخى ، ورمى نظرة سريعة إلى الرجل الراقد . وكان وليم يمثل المريض أصدق تمثيل ، والفوطة حول رأسه ، وقد أضافت لحيتـه التى لم تحلق سنوات إلى سنه .

وفحص الشرطى بطاقته الشخصية فحصاً أدق ، وسأل : « لماذا لم تجدد هـــذه البطاقة ؟ »

قلت : « كان العزم أن نعود إلى أمريكا من زمان طويل ، لو كانت صحته خيراً مما هى ، وقد بدا لى أن الأمر لا يستحق عناء فى هذه الظروف » .

وكنت أعلم أن بطاقات الشخصية غير المجـددة ليست بدعاً ولا غـير مألوفة ، وكذلك كان الألمانى يعـلم على ما يظهر ، وطلب أوراقى وراجعها ، وترك الغرفـة بكلمة شكر جافة . فتنفست مرة أخرى .

ولـكن رجل الجستابو طلب من مدام بيجلر ، وهو فى غرفة الاستقبال ، الجدول الذى فيه أسماء السكان وتأمله ملياً وبدقة ثم قال : « لست أرى هنا اسم أخى السيدة » .

فتخاذلت ركبتاى مرة أخرى ولـكن كيتى قالت فى هدوء : « إن أرفنج ليس من السكان بالمعنى الصحيح . وإنما جاء إلى هنا لما احتاج إلى من يعنى به » .

وبادرت مدام بيجلر بشهامة إلى النجدة وقالت : « إنى آسـفة ياسيدتى — إنى غبية — لقد نسيت أمر هذا السيد . ولـكنه لم يطلب منى قط شهادة بالسكنى ، ومن أجل هذا لا يوجد اسمه فى جدولى » .

فجلس النازى إلى المنضدة وأخرج قلمه ، فماذا تراه ينوى أن يكتب ؟ أمراً بالقبض علينا ؟ غير أنه تناول جدول السكان وأضاف إليه بخطه هو اسم أخى إرفنج ! .

وما كاد الباب يغلق وراء الشرط حتى وثبت إليه كيتى ودفعت المغـلاق ، وتبادلنا النظرات فى صمت . وكنا نعلم أننا — إذا راجع الجسـتابو أقوالنا على السـجلات الرسمية — لا نستطيع أن ننجو من تهمة إخفاء عـدو فى شقتنا وتزويده بأوراق رجل ميت .

وظهر فى مدخل الحجرة شاب شاحب الوجه غير حليق الذقن ، فى ثيابه التحتية ، وعلى رأسه فوطة .

وقال وليم جراى مستفسراً : « ما ذا حدث ؟ »

فما سمعنا هذا منه حتى انطلقنا نضحك ضحكات عصبية مجلجلة .

* * *

وفى عصر اليوم التالى ذهبنا لمقابلة شانسيل . فبدأت كيتى الحديث معه بحذر ، وفطن هو إلى الاتجاه العام لكلامها فقاطعها بابتسامة .

وقال : « يا سيدتى العزيزة ، إنى لم أغير سياستى لما دخل الألمانيون ، فخبرينى على وجه الدقة أى مأزق وقعت فيه ؟ »

ففهقت كيتى وقالت : « إننا نخبئ طياراً إنجليزياً فى شقتنا » ، وقصت عليه القصة كلها وفى جملتها زيارة الجستابو لنا البارحة .

فصفر شانسيل وقال : « أما إن هذه لمغامرة لسيدتين لا يخطر لمن يراهما أنهما مغامرتان . فلماذا لم تأتيا إلى على الفور ؟ لو كنتما فعلتما لأرحتما نفسكما من كثير من المتاعب » .

وكان شانسيل على ما يظهر ، عضواً فى جماعة سرية تساعد الجنود على الفرار إلى المنطقة غير المحتلة ، وكان للجماعة بيت على الشاطئ الغربى للسين ، يستطيع اللاجئون أن يمكثوا فيه إلى أن تعد لهم التراخيص بالسفر ، وكانوا بعد ذلك يرسلون بالقطار إلى أصدقاء آخرين لهم فى ضيعة على الحدود ، ومن هناك يعبرون إلى فرنسا غير المحتلة .

وقال شانسيل : « ولكن إذا كان هذا الشاب لا يتكلم الفرنسية فإن سفره بالقطار لا يكون مأمون العاقبة » .

فقالت كيتى : « أنا أحمله فى السيارة إلى الضيعة التى على الحدود » .

« لم يعد هذا أمراً سهلا . فمثلا لا سبيل إلى ابتياع بنزين » .

وضرب شانسيل المنضدة بيده فجأة وصاح : « وجدتها! إن نادى الجنود لا يزال يعمل تحت إدارة الألمانيين ، فتقدمى للعمل به مرة أخرى ، وحينئذ يسعك أن تضعى على سيارتك شعار الصليب الأحمر ، ويكون لك الحق فى عشرة جالونات من البنزين فى الأسبوع . وفضلا عن ذلك يجوز لك أن تنتقلى فى البلاد وتزورى المستشفيات ومعسكرات الاعتقال » .

وقد كان فرار وليم جراى قليل الحوادث إلى حد أنه خيب الآمال .

فقد حصلنا على أوراقنا المثبتة لشخصياتنا من نادى الجنود ، وبدأنا نزور المستشفيات فى منطقة باريس ، وحصل شانسيل على ترخيص بالسفر لوليم ، ولما تمت الأهبة دسسناه مرة أخرى فى مكان الحقائب . وكانت معنا طرود وهدايا من نادى الجنود مرسلة لعدد من المستشفيات العسكرية ، ولكنا وقفنا أول ما وقفنا ببلدة صغيرة عند الحدود حيث اهتدينا إلى أصدقاء شانسيل بغير عناء .

وبعد أسبوع أقبلت مارجو علينا فى حجرة الجلوس وفى يدها بطاقة بريد تلوح بها ، ذلك أن وليم بعث برسالة مكتوبة بحذر وحرص يخبرنا فيها أنه وعد أن تيسر له قريباً « زيارة والديه » ، فأدركت أنه يعنى إنجلترا ، وسرنى ذلك حتى لأحسست أنى على استعداد لأداء مثل هذه المهمة مرة أخرى .

ولكنى جزعت لما اقترحت كيتى شيئاً من هذا القبيل ، فقد وقعت عينها على ما بدا لها أنه إعلان غريب مثير للاهتمام فى جريدة « بارى سوار » . وكان العمود الذى تنشر فيه الإعلانات الخاصة « بالمفقودين » أول ما يعنى به الناس فى فرنسا ، فما من أحد إلا وله صديق أو قريب اختفى فى هذه الحرب . وكانت جريدة « بارى سوار » المشايعة للألمانيين منذ دخولهم تنشر عدة مئات من هذه الإعلانات كل يوم ، غير أن هذا الإعلان كان مختلفا ، فقد جاء فيه :

« يبحث جوناثان بيرك عن أصدقائه ومعارفه . العنوان : المستشفى العسكرى ، دولان (السوم) »

وقالت كيتى بلهجة المتفكر : « هذا اسم إنجليزى . ومن ذا الذى سمع بفرنسى اسمه جوناثان ؟ سأكتب إليه » .

فقلت وقد فزعت : « كيتى ! هل تريدين أن تتصيدى جنوداً آخرين من الإنجليز ؟ »

قالت : « لا . ولكن إذا اتفق لى أن لقيت أحداً منهم فإن أقل ما أستطيع عمله هو أن أبعث بهم إلى شانسيل » .

قلت : « إنك لا تستطيعين أن تغالطينى أبداً » .

وبعد أيام قليلة ناولتنى رسالة بالإنجليزية عليها توقيع جوناثان بيرك يقول فيها :

« سيسعدنى أن أجد من أتحدث معه . . وسأرتقب زيارتك . . . »

وقالت وهى تنظر إلى بلهفة : « إن نادى الجنود ينتظر منا أن نحمل الهدايا إلى الجنود » .

قلت : « حسن . فمتى نذهب ؟ فإنى ذاهبة أيضاً كما تعلمين ، لأجعلك بمنأى من المآزق » .

وقصدنا إلى دولان فى صبيحة اليوم التالى ، ومعنا الطرود المألوفة من الطعام والسجاير للجنود ، وحملت كيتى معها أيضاً صندوقاً ملفوفاً فى ورق أسمر لم تقل عنه شيئاً صريحاً .

« إنه ليس إلا شيئاً أريد أن أتركه فى النادى وأنا عائدة » .

وكان المستشفى العسكرى فى دولان لا يزال تحت إدارة رجاله الفرنسيين ، وإن كان خاضعاً للسيطرة الألمانية . وكان على

بابه اثنان من الحراس الألمانيين لم يبد عليهما حين دخلنا أنهما رأيانا . وكان المكان من الداخل مظلماً قذرا مملوءاً بالحشرات .

وطفنا بارجاء المستشفى ، وجعلنا نحادث الجنود ونتطلع إلى جوناثان بيرك ، ولمحنا فى الحديقة ضابطاً بريطانياً جالساً وحده على دكة ، وكانت بذلة الطيران التى يلبسها متغضنة حائلة اللون ، وعلى عينه اليمنى ضماد . فلما دنونا منه ارتدت إليه نفسه فجأة .

وقال : « لقد كنت أرجو أن تجيئا ، ولكنى لم أكن أجرؤ على الاعتماد على ذلك »

فقالت كيتى : « إنك مواطنى ، وإنه لما تتقزز منه النفس أن تبقى فى هذا المكان القذر » .

فقال بصوت خفيض : « قد يبدو لك هذا هكذا ، ولكنى متربص راصد للفرصة وإنى لفى أتم صحة ، وعلى أكمل استعداد للرحيل ، ومتى عرفوا ذلك فسيبعثون بى إلى السجن . ولا يكاد يكون هنا حرس ، وقد يتسنى لى أن أهرب من هنا ، ولكن الأمل ضعيف فى الفرار من السجن إذا انتقلت إليه » .

نخطت كيتى خطوات على الدكة ثم قالت بصوت كالهمس :

« هل تحب أن آخذك إلى باريس ؟ » .

فتعلق بيرك بيدها وهو يقول : « كيف ياسيدتى بوريبو ؟ يا إلهى ! إنى أعرف أنك تريدين بذل معونتك ، ولكن ماذا يسع امرأة أن تصنع ؟ إنك خليقة أن تخفقى قبل أن تبدئى ! » .

فقالت كيتى برقة : « إنك مخطئ يامستر بيرك . فإن فى وسعنا أن نبلغك باريس . ومن ثم إلى فرنسا غير المحتلة — وسنفعل! »

فعاد إلىّ الجزء الذى كان قد زايلنى لما رحل عنا بسلام وليم جراى .

وأخرجت كيتى لفافة الورق السمراء التى كنت أجهل ما فيها ، والتى جاءت بها معها من باريس ، وقالت : « هذان دثاران وسيارتنا واقفة على الجانب الآخر من هذا الجدار الواطئ ، حيث تكثر الشجيرات . ووراء المقعد الخلفى مستودع للحقائب فادخل فيه فإنه ذو سعة ، وأغلقه وراءك وانتظر » .

ونظرت إلىّ ، وأحسبها توقعت منى اعتراضاً أو احتجاجاً ، ولكن ماذا كنت أستطيع أن أقول على مرأى ومسمع من بيرك الذى كان الأمل قد أورثه الاضطراب

وكان أشق ماتكلفت فى حياتى أن أعود فأجتاز أقسام المستشفى ، وأحادث المرضى كأنما لم يحدث شىء . وأقبل علينا شاب أشقر يظلع ، فى الدهليز ، كأنما كان فى انتظارنا وقال :

« أنا لورنس ميهان — وقد رأيتكما مع بيرك — وأرجو.. أن تخرجانى من هنا »

وكان بادى السقم وبدنه يرعد من فرعه إلى قدمه فقلت : « إنك محموم » .

قال : « كلا ! وليس بى إلا جرح فى ساقى . وقد كاد يبرأ ، وسأكون بخير إذا بارحت هذا المكان » .

فقالت كيتى : « إسمع . إننا لا نستطيع أن نأخذ معنا فى السيارة سوى واحد فى كل مرة ، فإذا لم يضبطنا الألمانيون عدنا إليك » ، ومضت عنه دون أن تتلفت ، فأسرعت وراءها كأنى دجاجة فزعة .

ولما بلغنا البوابة قالت كيتى بصوت عال : « انتظرى هنا ، وسأجىء بالسيارة » .

فوقفت مسمرة فى مكانى من الخوف ، وعينى عليها وهى تقف السيارة أمام الحارسين الألمانيين وسألتهما بالألمانية : « فى أى وقت تفتح البوابة للزوار فى الصباح ؟ » .

فأخبرها أحدهما .

فقالت بهدوء : « قد نضطر إلى القدوم إلى هنا مرات عديدة . هل لك فى سيجارة ؟ » فتقبل منها السيجارة وأشعل عود ثقاب لسيجارتها .

وقالت بالألمانية : « أشكرك كثيراً » ، وأدارت محرك السيارة .

وهممت أن أؤنبها فقالت بهدوء من غير أن تنظر إلىّ : « إنما أردت أن يرى أنه ليس فى السيارة سوانا » .

« إنك آية يا كيتى ! ولكن هبيه طلب أن نفتح مستودع الحقائب ؟ » .

« لقد أوصدت بابه بالمفتاح . ولو كان طلب هذا لقلت له إنى تركت المفتاح فى باريس »

ولما صار بيرك معنا بسلام فى شقتنا ، أحسست أنا وكيتى أننا متآمران متعبان ولكنا ظافران ، أما هو فكان حائل اللون متغير الوجه ، وكان وجهه يتصبب عرقاً .

وقال : « إنكما آيتان ! ولشد ما أتمنى أن يكتب مثل هذا الحظ الحسن لغيرى من الجنود البريطانيين ، وهناك منهم حوالى عشرة آلاف لم يتسن لهم الخروج بعد دنكرك ، وهم مختبئون كالوحوش فى الغابات والكهوف بشمال فرنسا . وقد نظم الألمانيون وحدة مسلحة خاصة من راكبى الموتوسيكلات للبحث عنهم واعتقالهم ، ولا سبيل إلى إنقاذهم » .

وجلسنا لحظة صامتين مكتئبين . وبعد العشاء ، لما ذهب بيرك إلى مخدعه لينام ، التفتت كيتى إلى وفى عينها نظرة من صح عزمه على أمر .

وقالت : « اسمعى يا إيتا . يجب أن تعودى إلى أمريكا ، فإنى لا أستطيع أن أقعد هنا جامدة وهذه المطاردة دائرة ،

ولا بد لى من مساعدة مواطنى على الهرب . ولكنه لا يحق لى أن أورطك معى فى هذا » . فلبثت لحظة لا أقوى على كلام ، واستطردت كيتى فقالت : « ليست هذه شجاعة منى يا إيتا ، فإنى أخاف أن أموت ، ولكنه ما من إنسان يعرف كيف يساعد هؤلاء المساكين ، ويحق له أن يدعهم وشأنهم ، ويخذلهم . ولو أنى علمت أن الألمانيين سيرموننى بالرصاص لما منعنى ذلك أن أحاول إنقاذ هؤلاء الفتيان الإنجليز » .

فقلت أخيراً : « لن أتركك أو أتخلى عنك يا كيتى . وإذا كان لا بد لك من إنقاذ الجنود ، فإن على أن أساعدك » .

وكانت المعضلة الكبرى أن نتصل بالجنود ، فاتفقنا أخيراً على أن نستخدم عمود الإعلانات عن « المفقودين » كما فعل بيرك . وخرجت كيتى فى بكرة اليوم التالى لنشر إعلان فى جريدة بارى سوار :

« يبحث وليم جراى عن أصدقائه وأهله . العنوان : القهوة الحديثة ، شارع روديبه بباريس » .

ولم نجرؤ — كما هو بديهى — أن نستعمل أحد اسمينا أو عنواننا ، ولكن وليم جراى كان قد نجا من أرض الاحتلال الألمانى ، وكانت كيتى تعرف صاحب المقهى الحديث ، واسمه دوران ، وهو فرنسى صادق الولاء ، وقد وعد أن يبعث إلينا سراً بما يحمله إليه البريد باسم وليم جراى .

وإنا لنتهيأ للذهاب إلى البيت الذى على « الشاطىء الغربى » ، وإذا بشانسيل يحمل إلينا أنباء سيئة . فقد خان الجماعة أحد رجالها فداهم الجستابو البيت الذى على الشاطىء الغربى فى الليلة السابقة ، وعرف النازيون أيضاً أمر الضيعة التى على الحدود .

ففهقت وقلت : « إذن سيكونون هنا فى أية لحظة ! » .

فقال شانسيل : « كلا ! فأنتما فى أمان ، فما كان هذا الخائن يعرف سوى قليلين منا . وصاحبنا الذى يعمل فى دائرة الأمن العام — وهو الذى يزودنا بتراخيص الخروج — موثوق به من الألمانيين ، فهو يعرف كل ما يعرفون . وهم لم يسمعوا بكما قط » .

وكان شريكنا الذى فى دائرة الأمن العام قد حذر أصدقاءنا فخرجوا كلهم تقريباً من البيتين فى الوقت المناسب ، ولكن طريق الفرار لم يعد صالحاً بعد ذلك . وكان شانسيل نفسه على وشك الرحيل إلى المنطقة غير المحتلة . قال : « وسأبقى هناك إلى أن تطول لحيتى ، وأؤلف جماعة للعناية بمن نهربهم إلى ما وراء خط الحدود . وسأتصل بكما بعد عودتى » .

وودعنا ، فودعتنا الشجاعة اليسيرة التى

كان وجوده ينغصها فينا . وكنا نسمع الملازم بيرك يقطع غرفة النوم جيئة وذهوباً . وكان إنقاذه أكبرما يواجهنا من المشاكل العاجلة.

وقالت كيتى : « ليس ثم سوى وسيلة واحدة يا إيتا . غداً نبحث عن فلاح فرنسى يعيش على الحدود ويقبل أن يهرب بيرك » ، ثم اعترضت على نفسها فقالت : « لا نستطيع أن نفعل هذا غداً ، فإن علينا أن نأتى بلورنس ميهان » .

فصحت بها : « كيتى ! إنك لا تنوين أن تجيئى به أيضاً ؟ » .

فنظرت إلىّ مستغربة وقالت : « لا أجىء به إلى هنا ؟ ألسنا قد وعدنا ؟ » .

* * *

وكانت رحلتنا الثانية إلى دولان سريعة ، وكان ميهان راقداً فى فراشه وقد جهده المرض ، والتمعت عيناه حين رآنا ، ولكنه كان أذكى من أن يصدر عنه ما يشى بأنه عرفنا . ووقفت كيتى إلى جانب السرير التالى لسريره ثم خرجت بى إلى الدهليز . وبينما كنا نمر بمكتب المستشفى فتح بابه ، واعترض طريقنا صاغ فرنسى .

وقال : « أنا الصاغ تيبو ، الموكل بإدارة هذا المكان . وأعتقد أنكما شرفتمانا بزيارة سابقة » . قال هذا على مهل ، ثم سألنا فجأة : « فهل لكما أن تتفضلا فتخبرانى أين الملازم بيرك ؟ » .

فوثب قلبى إلى حلقى ، ولكن كيتى قالت فى هدوء : « لا بد أن تكون ذا قدرة على قراءة الخواطر ، فقد كنا نجوب الأقسام باحثين عنه » .

فحدق الصاغ تيبو فى كيتى متفرساً فاحصاً ، ثم ارتد داخلا من الباب وهو يقول : « أرجو أن تتفضلا بالدخول فى مكتبى » . فلما دخلنا أومأ إلينا أن نقعد ثم راح يتمشى فى الحجرة ببطء ، وكان الصمت والقلق مما لا يطاق . وأخيراً وقف أمامنا .

وقال : « لقد تحريت تحرياً دقيقاً ، فأنت يا سيدة بوريبو إنجليزية مولداً ، فليس يدهشنى إذن أن يهرب أحد الأسرى البريطانيين القليلين هنا عقب زيارتك . وأنا لست بالغبى ياسيدة بوريبو ، ومن الجلى أنك ساعدت الملازم بيرك على الفرار . ومن واجبى أن أسلمك إلى السلطات الألمانية ، فإنى جندى وعادتى أن أطيع الأوامر » .

وأمسك لحظة ، وكان قلبى يخفق خفقاً شديداً .

ثم قال ببطء : « ولكنى لست جندياً فحسب ياسيدتىّ ، فإنى فرنسى أيضاً ، وهذا هو السبب فى أنى لم أبلغ السلطات إلى الآن خبر اختفاء الملازم بيرك » ثم صارت نبراته حادة كأنما هو يصدر أمراً .

« إن عليكما أن تغادرا هــذا المستشفى حالا ولا تعودا إليــه . ولا يسعنى إلا أن أطلب منكما وعــداً رسمياً أن لا تكررا ما فعلتما ، فإن مثل هذا التكرير يكون على الأرجح وبيلا عليكما . ونصيحتى لـكما أن تنسيا هذه الحادثة ، وأنا واثق أنى أنا لن أذكرها » .

وكنت جالســة معتــدلة كالعصا على الـكرسى ، وقد صعقت من التحول الذى حدث على غير انتظار . ونهضت كيتى وقالت: « أشـكرك ياحضرة الصاغ » ، ومدت إليه يدها ! « وإنى لسعيدة جداً بأن أقابل فرنسياً صميما » .

فتناول الصاغ تيبو يدها وقال بلهجـة جافة : « سامحانى إذا كنت أوثر الحيطة وأرافقـكما إلى سيارتكما » .

وقطعنا عدة كيلومترات من دولان قبل أن أجد لسانى ، ثم قلت : « لم يبق إلا أن تنسى أمر ميهان المسكين . فما نستطيع أن نعود بعد هذا » .

فتبسمت كيتى وقالت : « لقــد ناولت ميهان رقعة ونحن واقفان إلى جانب السرير الآخر . وهو الآن فى مستودع الحقائب » .

فارتسم على وجهى ما لم تستطع عليــه صبراً ، وراحت تضحك ضحكا شديداً ، حتى لقد اضطرت أن تقف السيارة . ولم يسعنى إلا أن أضحك مثلها . وهكذا لبثنـا نحن الاثنتين على جانب الطريق تقهقه فى أرض يندر أن يضحك فيها الآن أحد .

* * *

ولمـا بلغنا البيت وجـد ميهان صعوبة فى الخروج من السيارة ، ثم راح يطلع معتمداً علينا .

وطلع علينـا بيرك من غرفة النوم وهو يسأل : « هل كل شىء على ما يرام ؟ »

وهوى ميهان إلى الأرض ، وارتمى عليها لا يتحرك ، فانحنى عليه بيرك ثم قال : « لقد انتقض جرحه » .

والواقع أن إحدى ساقى السراويل التى يرتديه ميهان كانت مغمورة بالدم ، وكانت تسقط منه قطرات كبيرة على الأرض .

فقالت كيتى بلهجـة الأمر : « اطلبوا طبيباً بالتليفون » . ثم عادت تقول : « كلا ! لا نسـتطيع أن ندعو طبيباً . . . فهـاتوا فوطاً » .

وجلجل جرس الباب وكان صوته عالياً ملحاً .

فوقفنـا كأننا تماثيـل ، وعاد الجرس يصلصل .

وقالت كيتى بلهجة القانط : « لا فائدة ! فما نستطيع أن نخفى هــذا . إذهبى يا إيتـ وافتحى الباب » .

وما كرهت فى حياتى عملا أعمله كما كرهت هذا الذى كلفته ، على أن مخاوفنا لم يكن لها داع ، فقد كان الذى دخل علينا هو هنرى بوريبو زوج كيتى ، وكان لا يفوته أن يزور كيتى كلما جاء إلى باريس . وكانت زيارته فى هذه المرة نعمة من الله ، فقد تولى الأمر كله بعد أن أفاق من الدهشة . فدعا بالتليفون طبيباً يثق به ثقة تامة ، فحضر بعد خمس دقائق . ولم يمض سوى ربع ساعة حتى كان ميهان معصوب الساق مضمود الجرح راقداً فى السرير . ولكن الطبيب هز رأسه هزة القلق على مريضه وقال : « إن بجرحه قيحاً خبيثاً ، ولكنى سأفعل كل ما يسعنى » .

وبعد أن انصرف الطبيب حل لنا هنرى ما بقى من المشكل فقال : « إن لصديق تيسييه فى ليبورن كرمة تمتد إلى ما وراء خط الحدود وفى وسعه أن يهرّب هذين الشابين . ولكنه لا بد من كلفة طفيفة — ٥٠ فرنكا عن كل واحد — يأخذها الشاويشية الألمانيون » ، وابتسم : « ويظهر أن أبناء هذا « الشعب السيد » يطيب لهم أن يكسبوا قليلا من حين إلى حين .

« وأعرف أيضاً رجلا فى دائرة الأمن العام يستطيع أن يخلع أسماء فرنسية على صدقائكما الإنجليز ، فلا تقلقا ، فإن الشابين سيكونان بخير » .

فرأيت دموع الفرح فى عينى كيتى . وكنا قبل ساعات قليلة قد وطنا النفس على اليأس .

* * *

وفى اليوم التالى جاء إلينا إميل ، غلام دوران يحمل رسائل باسم وليم جراى بعنوان المقهى الحديث ، ففضت كيتى إحداها فإذا بها خالية إلا من هذا العنوان :

ب . و . ستو

١٢ شارع المحطة . ريمز

فقلت : « إن هذا يبدو لى مريباً » .

فقالت كيتى تخاطب بيرك : « إن إيتا سترى من الآن فصاعداً أن يد الجستابو وراء كل رسالة من هذه » .

وكانت الرسالة الثانية مكتوبة بالفرنسية .

« سيدى العزيز

«إنى قسيس أبرشية كونشى سير كونش ، وقد كتبت إليك إجابة لرجاء بعض أهل الأبرشية الذين يرون فيك ، على ما يظهر ، صديقاً قديماً ، وهم يرون أن فى وسعى أن أتصل بكم وأنا مطمئن فى أمر على جانب عظيم من الأهمية للطائفة .

« إن بناء كنيستنا يحتاج إلى إصلاحات عاجلة ، وإلا تقوض هذا الأثر الجميل من آثار القرون الوسطى . وهى كارثة

متوقعة فى أى يوم ، ولا معوض لها ، وأخلق حينئذ أن نفقد مالا مردّ له من كل قيم ثمين . وقد حصلت على إذن من الكنيسة والسلطات المحلية بإجراء الإصلاح .

« فرجائى إليك ياسيدى العزيز أن تخبرنى فوراً متى وأين نستطيع أن نلتقى للبحث فى تنظيم أمر الاكتتاب وتوسيع نطاقه ؟ وأسأل الله أن يبارك فيك » .

المخلص

الأب كريستيان رافييه

قلت : « ليس هذا إلا طالب مال » .

فكادت كيتى تصرخ وهى تقول: « إيتا ! إن الرسالة موجهة إلى وليم جراى رداً على إعلاننا ! وقد كتبت بحيث نفهمها نحن ولا يفهمها سوانا . تأملى قوله : « إن بعض أهل الأبرشية يرون فيكم على ما يظهر صديقاً قديماً » ، فلا بد أن يكون على اتصال ببعض الرجال فى وحدة وليم جراى . ثم انظرى قوله : « وهم يرون أن فى وسعى أن أتصل بكم وأنا مطمئن » ، وقوله : « كارثة متوقعة فى أى يوم » ، ومعنى هذا بعبارة أخرى هو أن « الطائفة » قد يعرف أمرها ويقبض عليها » .

واتفقنا على أن الرسالة عليها مسحة الصدق ، وراجعت كيتى اسم الأب كريستيان رافييه فى مكتب اسقف باريس . وكان رأيها ، وهو صواب ، أنه لابد أن يكون هناك اكتتاب مفتوح لإصلاح الكنيسة وترميمها ، حتى إذا دار تحقيق بدت رسائله التى يطلب فيها المال بريئة . وقد عادت كيتى جذلة مبتهجة ، وخرجنا من فورنا لمقابلة الأب كريستيان .

فاقترح أن نتحدث فى مسكنه وراء الكنيسة ، ومضى بنا من الحديقة إلى غرفة صغيرة قريبة السقف ، وأخبرنا أن هناك ألف جندى إنجليزى على الأقل مختبئين فى غابات « كونشى سير كونش » ، وأنه على اتصال دائم بهم .

قال : « ولكنى لا أعتقد أن فى وسعهم أن يبقوا طويلا ، فإنهم يتضورون جوعا وقواهم منهوكة ، والجماعة هناك تعطيهم كل ما تستغنى عنه من طعام وثياب ، ولكن الجراية المقررة يسيرة والتدقيق شديد فلو أنها أعطتهم كل ما عندها لما كان كافياً وفى وسعى أن أحصل لهم على بطاقات شخصية وأصحبهم إلى باريس ، كل بضع رجال مرة ، إذا تكفلتما بهم بعد ذلك فهل يسعكما هذا ؟ » .

فقالت كيتى : « إن هـــذا يسعنا ع التحقيق » ، وأخبرته بطريق الفرار م باريس . وأنه سيستخدم بعد حوالى أسبوع

فأغمض القسيس عينيه هنيهة ثم قال

« لكأنى بكما صلاة تقبلها الله ، ودعاء استجاب له » .

***

وأبلّ لورنس ميهان إبلالا عجيباً بعد أن تولى الطبيب علاجه ، وأصبح فى طوقه أن يسافر بعد قليل ، وقلنا نرسله مع بيرك . وكان صديق هنرى فى دائرة الأمن العام قد زودنا بعدد كبير من التراخيص ، ووكل إلينا كتابة الأسماء والبيانات الأخرى ، ولكن الصحف أعلنت ذات صباح أن الحكم بالإعدام سيكون جزاء من يساعد جنوداً بريطانيين على الفرار .

فقالت كيتى : « يجب أن أذهب إلى ليورن وأقابل تيسييه فورا ، فإنى أخشى أن يخيفه هذا الأمر فيكف عن مساعدتنا » .

ولما كان عندنا ترخيصان لصاحبينا اللاجئين عندنا ، فقد رأت كيتى أن تستصحبهما ، وعادت وكلها ثناء على المسيو تيسييه .

قالت : « قد تخطى بيرك وميهان الحدود بسلام ، وإن المسيو تيسييه لآية ، وقد ذكرته بالأمر الجديد الذى يقضى بالإعدام فما زاد على أن بصق ، ثم قال : « لقد شهدت الحرب الماضية فى سنة ١٩١٤ إلى ١٩١٨ ، وقد كان من الممكن ألف مرة أن أقتل ، والآن مرت بى حرب ثانية ، وما زلت حياً أرزق . وأحسبنى قد فزت بأكثر من حظى من الحياة ، فلن تصيبنى خسارة » .

وبادرت كيتى إلى الكتابة إلى الأب كريستيان تبلغه أن كل شىء قد أعد لجمع الاكتتابات ، فجاء بعد أيام قليلة إلى الشقة ومعه أربعة من الجنود ، وبعد أن زودوا بتراخيص السفر ، استقلوا قطار المساء إلى ليورن .

وكان على تيسييه أن يبلغنا خبر وصولهم سالمين ، ولكن يومين مضيا دون أن نتلقى منه نبأ ، فخفنا أن يكون قد مسهم سوء ، وإذا بتيسييه نفسه يدخل علينا ويقول لنا فى صراحة تامة :

« إنكما تخطئان خطأ فاضحاً . وأرجو أن لا تتركا هؤلاء الجنود فى المستقبل يسافرون وحدهم بغير رفيق حاضر الذهن يجيب عنهم بالفرنسية » .

وتبين أن الجنود الإنجليز الأربعة إنما نجوا من الاعتقال بأعجوبة ، وذلك أن حراس القطار وجدوا وهم يفحصون أوراق الركاب ، أن مع هؤلاء الأربعة تراخيص رسمية ، ولكنهم لا يتكلمون الفرنسية ، فلولا أن الركاب الفرنسيين تدخلوا واعترضوا اعتراضاً شديداً على ما همّ به الحراس ، لأنزلوا من القطار وسيقوا إلى

السجن ، ولكنهم نجوا ولما يكادوا .

فتنهدت كيتى وقالت : « وما ذا بالله نستطيع أن نصنع ؟ من أين أجىء بمن يرافقونهم ؟ » .

وبعد نصف ساعة من انصراف المسيو تيسييه أخبرتنا مارجو أن زائراً آخر يطلب مقابلتنا واسمه المسيو كوربييه .

فقالت كيتى وقد استرابت : « لا أعرفه . وما ذا يبغى ؟ » .

ولم تجب مارجو لأن المسيو كوربييه فتح الباب ودخل ، وكان ظاهره يدل على أنه طبيب فرنسى — لحية سوداء غير منتظمة ، ونظارات سميكة الإطار . فحدقنا فى وجهه .

وقال هو : « ياسيدتى العزيزتين ، إن من دواعى سرورى أنكما لم تعرفانى » فصحنا معاً : « شانسيل ! » .

وكان شانسيل يعمل الآن مع جماعة جديدة تهرب إلى إنجلترا كل فرنسى يريد أن يحارب مع ديجول . وقد جاء يدعونا إلى العمل معه ، فشرحت له كيتى ما نحن فيه ، فسرعان ما وجد الوسيلة إلى التوفيق بين الأمرين .

وقال : « ليس أسهل من ذلك . وما عليكما إلا أن تخبرانى كلما كان عندكم إنجليز تريدون إرسالهم ، فأعد مثل عددهم من الفرنسيين الذاهبين للحاق بديجول » .

فقالت كيتى : « لا بد أن يكون الله قد ساقك إلينا مرة أخرى » .

وقد ظلت كلمة كيتى عالقة بذهنى ، فقد ساعفنا الحظ مرة بعد مرة . فهل كان ذلك كله مرجعه إلى الحظ ؟ أم هى يد الله معنا توفقنا ؟

وصار لنا الآن طريق تهريب لا إلى المنطقة غير المحتلة فحسب ، بل على طول الطريق إلى إنجلترا بعد ذلك .

فلما كان شهر نوفمبر ، كنا قد أرسلنا أكثر من مائة إنجليزى يرافقهم مثل عددهم من الفرنسيين . وكان العمل يجرى بدقة الساعة ، وألفناه حتى لقد كدنا ننسى أننا نركب مركباً خطراً ، ولكن إدراك ذلك لم يكن بعيداً

* * *

وكنا فى أكتوبر قد بدأنا نعانى مصاعب مالية من جراء هذا التهريب بالجملة ، فقد كانت نفقات السفر ، مضافة إليها خمسون فرنكا على كل رجل يجتاز الحدود ، قد بلغت مبلغاً جسيما . على أن إطعام الجنود وهم فى باريس كان أكثر كلفة ، فما كان عندنا سوى ثلاث بطاقات لطعامنا ، وكثيراً ما كان من المستحيل أن نحصل على مقادير الطعام التى تخدلنا إياها البطاقات قانوناً ، فكنا نلجأ إلى السوق السوداء وندفع عشرة

أضعاف السعر القانونى أو عشرين ضعفاً . وما كان الاعتراض أو الاحتجاج على هذه الأسعار الفاحشة ليؤدى إلا لقطع هذا المورد اليسير .

وكانت كيتى تعرف بعض الأسر الغنية فى المنطقة الحرة ، ولا تشك فى أنها تخف إلى النجدة ، ولكنها ما كانت تستطيع أن تكتب إليها ، فلا مفر من السفر إليها .

فسألتها : « كم تبقين هناك ؟ » وحاولت بابتسامة أن أستر ما شعرت به من الخوف من الوحدة .

قالت : « أسبوعين أو ثلاثة لا تقلقى يا إيتا ... وإذا حدث شىء فإن فى وسعك أن تلجئى إلى شانسيل » .

وفى أول أسبوع من غياب كيتى بعث إلىّ الأب كريستيان بثلاث جماعات ، فحولتهم إلى رجال شانسيل ، وبعد نصف ساعة من رحيل الجماعة الثالثة ، أقبل إميل ، غلام دوران صاحب المقهى ، يسأل عن كيتى وقال : « إن المسيو دوران يقول إن فى المقهى رجلا إسمه المستر ستو ، وإنه يريد أن يتحدث إليها ياسيدتى » .

وكان « المستر ستو » هو التوقيع الذى قرأناه فى إحدى الرسائل التى تلقيناها رداً على إعلاننا فى جريدة « بارى سوار » .

فلبثت لحظة كالمفلوجة . كيف عرف هذا الرجل اسم كيتى ؟ إن إعلاننا لم يذكر إلا اسم وليم جراى .

يجب أن أهرب ! وعسى أن أستطيع الدخول فى المنطقة غير المحتلة . ولكن ما العمل حين تعود كيتى فلا تجدنى ؟ وبدأت نفسى تثوب إلىّ . ألسنا قد نجونا من المخاطر من قبل ؟

وذهبت إلى مطعم صغير على مقربة من مقهى دوران ، وأمرت إميل أن يسر إلى المسيو دوران أن يوافينى .

فجاء المسيو دوران على الفور .

فسألته : « هل أعطيت هذا المستر ستو عنواننا ؟ » .

قال : « كلا على التحقيق ! فقد أمرتنى السيدة كيتى أن لا أفضى به إلى أحد . وما سأل الرجل إلا عن وليم جراى فبعثت بإميل إليك » ، فخلصت أنفاسى : « وثقى ياسيدتى أنى لست بالغبى كما يبدو علىّ ، وقد قلت له إنى لا أعرف أى رجل باسم وليم جراى ، وأشرت عليه بأن يقعد ، فإذا جاء من يدعى وليم جراى يسأل عن بريده عرفته به » .

فسألت : «وما رأيك فى الرجل يامسيو دوران ؟ » .

قال : « فرنسيته ليست رديئة ... ليست كفرنسية الإنجليزى تماماً ... وقد قال

إنه يخاف أن يتكلم بالإنجليزية ، وإن كان صوته خفيضاً جداً حتى يستحيل .... » ، وأمسك فجأة وقد فغر فاه ثم صاح : « يا للشيطان ! تالله ما أغبانى ! لقد أشعل سيجارة وهو يتكلم ، وهى من النوع الذى يوزعونه على الجنود الألمانيين ! » .

فتناولت يده فوق المنضدة وقلت : « تشدد يا مسيو دوران ، إن المستر ستو من رجال الجستابو » .

فتغير وجهه وامتقع وقال : « وماذا أصنع الآن ؟ ماذا عسى أن يصيبنى ؟ » .

قلت : « إن معى تراخيص سفر ، ففى وسعك أن تذهب الآن إلى المحطة ، وتستقل القطار إلى المنطقة غير المحتلة » .

فأنّ وقال : « كلا ! زوجتى ، وأولادى ! كل ما أملك هنا » ، واربد وجهه كأنما يعالج أمراً معضلا ، ثم انفرجت أساريره عن ابتسامة عريضة وقال : « توجد وسيلة للخروج من المأزق — وسيلة جميلة — سأدق التليفون للجستابو فى ديوانهم وأخبرهم أن فى مقهاى إنجليزياً مريباً ، فلا يمكن أن يستريبوا بى حينئذ »

وما كاد ينصرف حتى استولى علىّ الخوف من أن نكون قد أخطأنا . ولنفرض أن المستر ستو كان جندياً إنجليزياً صمیما ؟ ومضيت إلى المقهى وقعدت فى الشرفة ، فقد كان لا بد أن أرقب ما يحدث لأطمئن إذا استطعت .

وأقبلت سيارة ألمانية رسمية ووثب منها ثلاثة دخلوا المقهى ، وما عتموا أن خرجوا ومعهم رجل آخر كان اثنان منهم يمسكانه من ذراعيه ، فهبط قلبى فى صدرى ، فقد كان الظاهر أننا أخطأنا .

ولكنهم ما خرجوا إلى الطريق حتى انطلقوا يضحكون ، واستقلوا السيارة والمستر ستو لا يزال يضحك ، ويقدم للآخرين سجاير من علبة أيقنت حين رأيتها أنها ألمانية .

وحدث بعد بضعة أيام أن حضر إلى الشقة المسيو دوران ، وفى يده جريدة ، وفى وجهه آيات الغضب المتلهب ، وصاح : « هل جننت ؟ »

فقرأت الإعلان الذى كان يشير إليه بأصبع مرتعش .

« وليم جراى (بدنكرك سابقاً) يبحث عن أصدقائه .

« العنوان : مقهى دوران ، شارع روديبه ، باريس » .

فقلت له : « يا مسيو دوران . نحن لم نبعث بهذا الإعلان إلى الجريدة ، و... نكلفها أن « تكرر إعلاننا » .

فنظر إلىّ متردداً وسأل : « إذن من فعل هذا ؟ »

قلت ، وأنا على يقين جازم : « الجستابو . وقد أرادوا أن يعرفوا إلى من تذهب حين تقرؤه » .

فاغتم غماً شديداً وقال : « يا إلهى ! ماذا صنعت ؟ ماذا استطيع أن أصنع الآن ؟ »

قلت : « لا شىء ! إذا كانوا قد تبعوك إلى هنا ، فقد وقع المحذور . وإنك لفرنسى طيب يا مسيو دوران ، وأنا واثقة أنك لن تسلم إلى الجستابو ما عسى أن يرد إليك من رسائل باسم وليم جراى » .

***

وقضيت نهارى متوجسة ويدى على قلبى ، فلما كان الليل فتشت الشقة مستقصية ، وبحثت فى كل رف ودرج ، ولم أدع شيئاً يمكن أن يتخذ قرينة أو دليلا إلا أحرقته ، وبينما كنت أفطر فى صباح اليوم التالى دق جرس الباب .

ووقف اثنان فى الردهة .

« أين السيدة بوريبو ؟ »

قلت : « فى تور » . فقد كان لا ينبغى أن أقول إنها خرجت من المنطقة المحتلة .

« ومتى تعود ؟ »

« لماذا تسألنى هذه الأسئلة ؟ »

فأخرج الرجل شارة وقال : « البوليس السرى الألمانى » .

وكان المنظر لسبب ما ، على غير ما كنت أشفق أن يكون ، ولقد سلخت خمسة شهور فى جزع من مثل هذه اللحظة ، فلما جاءت إذا بى ساكنة ، وإذا الموقف خلاف ما كنت أتوقع ، وليس فيه أكثر من رجلين فى ثياب مدنية ومعهما ملفان ، وهما واقفان فى أدب يبابى كأنهما من التجار الجوابين .

وكان الرجلان يعتقدان أنى لا أعرف الألمانية فقال أحدهما لصاحبه : « لقد خرجت الإنجليزية ، فلا تبرح المكان ، ورد على التليفون دائماً » ، والتفت إلىّ ، وعاد إلى الكلام بالفرنسية : « تعالى أنت معى ، وأعدى حقيبة وضعى فيها ملابس دافئة » .

فدخلت غرفتى وشرعت أضع أشيائى فى حقيبة ، وكنت أفكر جاهدة ، وأنا أتناول الأشياء ، فى وسيلة لتحذير غيرى ، فقد كان الأب كريستيان سيصل عند الظهر ومن المحتمل أن يحضر شانسيل فى أية لحظة.

ولما أخذنا تنزل ببطء فى « المصعد » ، رجوت أن تقابل البوابة أو أمينة البيت ، ولكنى لم أرها قط .

ولما بلغنا ديوان الجستابو أدخلت غرفة جلس فيها رجلان إلى مكتبين ، وكان

أحدهما يرتدى بذلة عسكرية ـــ عرفت فيما بعد أن اسمه اليوزباشى بيتش ـــ أما الآخر فاسمه الدكتور هاجير ، وهو رجل فأرى الوجه صغير فى ثياب مدنية ، على هيئة معلمى المدارس ، وكان يتكلم الإنجليزية بصوت خفيض ولهجة رقيقة .

وقال ملاطفاً : « ياسيدة شير ، إننا لا نحب أن نضطر أن نسجن إحدى رعايا بلادك العظيمة ، فإذا كنت امرأة عاقلة ، فإنك خليقة أن تخبرينا فى صراحة بكل ما حدث . ونحن نعرف معظمه على كل حال ونعرف أن السيدة بوريبو كانت تعمل تحت ستار عملها فى نادى الجنود ، فتهرب الجنود الإنجليز إلى ما وراء الحدود . وكل ما نريد أن نعرفه منك هو بعض التفاصيل لتدونها فى السجلات . ومن يدرى ؟ فقد توضحين بعض الظروف المخففة وبذلك تساعدين صديقتك » .

ومن الغريب أن الذعر الذى كان يستولى على نفسى فى أحوال كثيرة إذا خطر لى خاطر الاعتقال ، لم يعد له وجود ، وألفيت نفسى أفكر بسرعة وسهولة . فقلت لنفسى إن مداهمة الشقة وسؤالى ، ليسا دليلين على أن الألمانيين قد وقعوا على بينة أو عرفوا أخباراً ، وإنما هم يريدون أن يحصلوا على ذلك منى ، فاستقر عزمى على الإنكار الشامل . وكان من المحقق أن المصير ويل إذا أنا اعترفت ، فلزمت الصمت ، وجلست شاخصة إلى الدكتور هاجير ، فواصل الكلام بشىء من الضجر : « تعالى ! تعالى ! يا سيدة شير ! دعينا نفرغ من هذا الأمر . وقولى فى أى تاريخ هربت السيدة بوريبو جنوداً بريطانيين للمرة الأولى إلى ما وراء الحدود ؟ » .

فقلت بثبات : « إنى آسفة ، ولكنى لا أعرف أى شىء عن نشاط من هذا القبيل للسيدة بوريبو » .

والتفت اليوزباشى بيتش إلى الدكتور هاجير وهمس بصوت سمعته : « امض فى سبيلك ، وجرب أساليبك الإنسانية ، إذا شئت ، ولكن متى وجدت أن وسائلك العاطفية السخيفة لا تبلغك شيئاً ، فأنا الضامن أن أحملها على الكلام » . ونهض وخرج .

وكان على الحائط ساعة كهربائية ، وقد أرتنى أن الأب كريستيان سيكون على باب الشقة بعد قليل ، ويدق الجرس ويصيح جذلا كعادته : « معى بضعة شبان جياع . فهل أدخل بهم ليتغدوا ؟ » .

ويدرك بعد الأوان أن الذى يفتح له الباب رجل غريب .

وكان الدكتور هاجير يلايننى تارة

ويتوعدنى تارة ، ثم صار كالمعلم إذا احتدم
غيظه لأن تلاميذه أذكى منه وأخبث .
فبدأت استعيد شجاعتى وقوة قلبى .
ودق التليفون بعد الساعة الثانية عشرة
بقليل ، فرفع الدكتور هاجير السماعة
وأنصت هنيهة ، ونظر إلى نظرة المنتصر .
وقال : « هاته على الفور » ، ثم أصلح خطأه
بسرعة وقال : « بل ابق أنت فقد يجىء
زوار آخرون ، وسأبعث إليك بمن يحضره » .
وأدار وجهه إلى وعلى فمه ابتسامة الرضى
وقال : « ألم تلاحظى قط ياسيدة شير
أنه إذا انقطع عقد وسقطت إحدى الحبات
فإن الأخريات يتبعنها لا محالة ؟ » .
ولما أدخل الأب كريستيان إلى الغرفة
قال : « كيف حالك ياسيدة شير ؟ » .
فسأله هاجير : « إذن أنت تعرفها » .
فقال الأب كريستيان : « طبعاً ! لقد
كنت أريد زيارة السيدة بوريبو التى
ساعدنى على ترميم الكنيسة فقبض على ،
ولست أدرى فيم كل هذا ؟ » . وكان هذا كل
ما أحتاج أن أعرفه ، فقد أنكر كل شىء .
وفى خلال الساعات التالية ، توالت علينا
الأسئلة ، معا أحياناً ، وعلى حدة أحياناً ،
وكانوا يحاولون أن يوقعونا فى تناقض ،
ولكننا أصررنا على أبسط تأويل لعلاقتنا
وهو الذى ألقى به الأب كريستيان لما
دخل ، فكفوا عن سؤالنا فى الساعة السادسة ،
ودعا الدكتور هاجير أحد الشرط وقال له :
« ستبقى المرأة رهن التحقيق » .

وقضيت أسبوعين كنت فيهما نزيلة
السجن الألمانى الحربى ، أعانى الملل والجوع
وسوء الحال ثم دعيت مرتين فى الأسبوعين
التاليين إلى مكتب الدكتور هاجير ، وقذفت
بمئات من الأسئلة والتهم ، فلم أتزحزح
عن الإنكار ، وإذا بالدكتور هاجير
يخبرنى فى ١٤ ديسمبر بلهجة ودية أنه
سيفرج عنى . ودهشت واستربت ، وخطر
لى أن هذه حيلة نازية ، ولكنى تسلمت
ورقة الإفراج عنى المختومة وخرجت من
السجن إلى الهواء الحر .

ولم يبد على السيدة بيجلر ، لما طرقت
بابها أنها عرفتنى ، ثم ذرفت الدمع وهى
تقول : « يا إلهى ! ماذا فعلوا بك ياسيدة
شير ؟ » . وأخبرتنى أن كيتى وشانسيل
لم يحضرا إلى الشقة ، وأنها لم تر هنرى
بوريبو ، فلا بد أنه عاد سالماً إلى المنطقة غير
المحتلة ، وقالت إنها رأت من وراء بابها رجال
الجستابو يقبضون على الأب كريستيان ،
وكان قد جاء وحده ، ولم يكن معه أحد من
الجنود ، وألقى القبض أيضاً على مارجو ثم
أطلق سراحها ، فرجعت إلى أهلها فى بريتانى .
ولما دخلت الشقة وألفيتنى فيها وحدى ،

جعلت أتنقـل بين الغرف ، وأضىء النور وأطفئه ، وأجرب الماء الساخن ، كأنما أريد أن أستوثق من أنى سـأفوز مرة أخرى بمتعته .

ثم دق جرس الباب ، ووقف فى مدخله الدكتور هاجير ، وقال بأرق صوت إنه جاء ليرى هل ترك رجاله الشقة على حد من النظام ؟ وفحص كل غرفة وكل خزانة ، حتى صندوق الثلج نظر فيه ، ثم انصرف بعـد قليل ، ونصح لى بلهجة العطف أن أعود إلى أمريكا ، وقال : « وأقنعى صديقتك السيدة بوريبو بأن تذهب معك ، فقـد قضينا على جماعتها ، وختمت القضـية ، ولـكنا قد نضطر أن نكون أقسى إذا بقيت هنا وارتكبت جريمة أخرى » .

إذن كانت حريتى وهماً ، وما أطلقوا سراحى إلا ليستخدمونى فى إيقاع كيتى !

وكنت فى الأيام التالية لاأذهب إلى مكان ما ، إلا أحسـست بالذى يتعقبنى ويدور معى حيث أدور ، ثم رأيت ذات يوم شانسيل خارجاً من مدخل نفق مقبلا علىّ .

وكان أول ما خالجنى هو السرور : « إذن هو لا يزال طليقاً ! » . ثم قلت لنفسى : « لا ينبغى أن أظهر أنى أعرفه » فقد كان الذى يتعقبنى على مسافة قصـيرة خلفى ، ورآنى شانسيل وابتسم ، فنظرت إليه ببرود ، كأنى لا أعرفه ، ولما حاذيته همست « لا تظهر أنك تعرفنى ، فإن ورائى عينـاً علىّ » . وأسرعت إلى الزاوية ثم تلفت ، فـلم أر مطاردى ، ولـكن جمعاً صغيراً كان قد احتشد عند مدخل النفق ، وسمعت صفارة بوليس .

فى تلك الليلة زارنى الجستابو مرة أخرى فى الشقة ! وقبضوا على « لاستجوابى » ، وعدت، مرة أخرى ، إلى مواجهة الدكتور هاجير فى ديوان الجستابو .وقال : « انتهت المهزلة . وقد قبضنا على كوربييه عصر اليوم ، شـكراً لك ، ياسـيدة شير ، وقبض على السيدة بوريبو فى بوردو قبل ساعتين » .

ولاحظت بارتياح أنه لم يذكر اسم شانسيل الحقيقى ، ولـكن شانسيل لم يبق له فى نفسى محل حين قال إن كيتى اعتقلت إذن أنشبوا فيها أظفارهم أخيراً !

وكان التحقيق معى فى هذه المرة مختلف جداً عنه فيما سبق . فقد دعى كاتب لتدوين كل ما أقول ، ليكون ما يدون هو المحضر الرسمى الذى يحفظ فى سجلات المحكمة . وقد أصررت على الإنكار البات . ولما قدمت إلى أقوالى آخر الأمر مكتوبة بالآلة الـكاتبة لأوقعها ، قرأتها بعناية مخافة العبث بمـا قلت ، وكانت تملأ عشر صفحات ولـكنى وجـدت أن ما سـطر هو الذ

نطقت به ، فكتبت اسمى فى ذيل كل صفحة .

ودعى حارس ليذهب بى إلى السجن ، وقال لى الدكتور هاجير بلهجة فظة قاسية وأنا ذاهبة : « سيمضى شهران أو ثلاثة شهور قبل أن تقدمى إلى المحاكمة يا سيدة شير ، وليس هذا بالزمن الطويل ، ولهذا أنصح لك بأن تتهيأى لما هو مقبل ، واعلمى أن للمحكمة الحق فى الحكم بالإعدام فى الجريمة التى ارتكبتها ، ومع السلامة يا سيدة شير ! » وانحنى لى وأنا خارجة وقد ابتسم ابتسامة كشفت عن أنيابه .

***

وجاءنى أول خبر عن كيتى عفواً من رجال السجن أنفسهم فى خلال الشهر الثانى من اعتقالى . ذلك أن السجان جاءنا ذات ليلة بالقهوة والخبز ، ولكنه بدلا من أن يسلمنا جرايتنا اليومية من الدهن دفع إلينا إعلاناً يقول :

« سيحرم السجناء جرايتهم اليومية من الدهن اليوم عقاباً لهم على ما قامت به من محاولة الهرب امرأة إنجليزية ، فرنسية بالزواج ، متهمة بمساعدة الجنود الإنجليز على الفرار من فرنسا . وقد أخفقت محاولتها وحكم عليها بالسجن الانفرادى لمدة ثلاثين يوماً . وهذا إنذار للسجناء بأن كل محاولة أخرى للفرار سيكون جزاؤها أصرم » .

ولم يداخلنى شك فى أن التى فعلت هذا هى كيتى التى لا يثنيها شىء . وما أكثر ما رأيتها تتمشى فى الغرفة وتفتح نافذة بعد أخرى وهى تقول : « إن الهواء حبيس . وأنا أحس كأنى فى سجن ! » هذه هى كيتى التى تحب الهواء والحرية ! وعلمت فيما بعد أن صحتها تداعت قبل أن ينتهى الشهر فنقلت إلى مستشفى السجن .

وبعد ذلك بقليل دعيت إلى مكتب مأمور السجن حيث وجدت الدكتور هاجير ينتظرنى . فناولنى وثيقة فى خمس عشر صفحة وهو يقول : « لقد جئت لأحذرك للمرة الأخيرة . فهل تودين أن تقرأى اعتراف السيدة بوريبو ؟ » .

فعبرتها بسرعة ، وكانت كل فقرة تبدأ بهذه العبارة : « أعترف . . . » ، وكانت تحتوى على بيان شامل لأعمالنا . فصعقت . كيف قبلت كيتى أن تفعل هذا ؟

وقال الدكتور هاجير بلهجة المنتظر : « أرأيت الآن ؟ فما رأيك فى الاعتراف ؟ » فلم أقل شيئاً فمضى هو يقول : « تعالى يا سيدة شير ، إن هذه سخافة . وكل ما تجنينه هو أن تستثيرى غضب المحكمة ، ولست أراعى فى هذا سوى خيرك » .

وكان خيراً للدكتور هاجير أن يهمل الجملة الأخيرة ، فقلت ببساطة ! « ليس عندى

ما أزيده على أقوالى السابقة » ، فعادوا بى إلى محبسى .

***

وحوالى الساعة الثامنة من صباح ٧ من مارس أمرنى الحارس أن أمضى معه إلى المحاكمة . ولما بلغنا رأس السلم دفع باباً ونادى : « رقم ٢٠١٧ — للمحاكمة ! » فظهرت كيتى فى الباب .

فوثب قلبى فى صدرى . وكان وجهها ممتقعاً ، وتحت عينها ظلال عميقة ، ولكنها لم تكن تبدو محطمة الجسم أو النفس ، وألقت إلى نظرة وطيف ابتسامة وقالت : « هاللو يا إيتا ! » .

فصاح الحارس : « صه ! إن السجناء لا يجوز لهم أن يتكلموا » .

ووجدنا سيارة سجن مدهونة باللون الأخضر واقفة عند الرصيف وفتح الحارس الباب فدخلنا ، ثم أوصد الباب علينا ، وانطلقت السيارة بنا .

ولما صرنا وحدنا نظرت إلى كيتى معاتبة وقالت : « كيف فعلت هذا يا إيتا ؟ كيف خارت قواك إلى حد الإقرار بكل شىء لهؤلاء الناس ؟ » .

فتمتمت : « أنا ؟ ... » ، وقد ذهلت وصدمت .

« لا بد أنهم أرهبوك يا إيتا ، ولكنك كنت خليقة أن تثبتى وتأخذى فى أمرك بالحزم . وكان ينبغى أن أكون ساخطة ناقمة عليك ... » .

فصحت : « كيتى ، إنى أقسم لك أنى أنكرت كل شىء » .

قالت : « ولكنى رأيت اعترافك بعينى هاتين ، وكان فى عشر صفحات ومذيلا بتوقيعك ، وعرفت خطك » .

فقلت: « كانت أقوالى فى عشر صفحات ، ولكنها كانت كلها إنكاراً لا اعترافاً . فإذا كنت رأيت غير ذلك فهو مزور » .

فقالت كيتى : « يا إلهى ! لقد صدقت ! ولقد اعترفت ! وأنا الذى خذلتك وخذلت نفسى! » وتوجعت: «ومع ذلك اتهمتك !» فوضعت ذراعى حول كتفها .

« لم تكن هذه غلطتك يا كيتى ! » .

فهزت كيتى رأسها ببطء وقالت : « لقد ضعنا يا إيتا ! ضعنا .. » . ووقفت السيارة فرفعت كيتى رأسها وسوّت ثوبها . وقالت : « إرفعى رأسك يا إيتا ! ولا تدعى هؤلاء الألمانيين يروا أننا نخافهم ! »

وكان فى وسط قاعة المحكمة منضدة طويلة عليها حزم سميكة من الوثائق . وكانت كراسى القضاة ذوات ظهور عالية ، وأمامهم مقعد طويل للمدعى عليهم ، وعلى هذا المقعد جلست أنا وكيتى . وبعد لحظة وافانا

المسيو تيسيه والأب كريستيان ، وكان شانسيل آخر من جاء فحيانا بهزة خفيفة من رأسه كأننا غريبان .

وكانت عيني على الباب ، وكنت أتوقع أن أرى المسيو دوران يدخل فى أية لحظة ، ولكنه لم يجىء غيرنا .

وقال رئيس المحكمة : « السيدة كيتى بوريو » .

نخطت كيتى إلى المنضدة الطويلة .

وكانت الأسئلة الأولى التى ألقيت عليها هى المألوفة : الاسم ، والعنوان ، والسن ، والمولد ، والجنسية ، والديانة إلى آخر ذلك ، ثم قال القاضى : « أنت متهمة بالتآمر مع السيدة شير ، والمسيو كريستيان رافييه ، والمسيو تيسيه والمسيو كوربييه على تهريب الجنود الأنجليز من هذه البلاد » .

فقالت كيتى بصوت صاف جلى : « ليس هذا صحيحاً ! » .

فقال القاضى متهكما : « صحيح ؟ هذا غريب ! فإن أمامى اعترافك بتوقيعك » .

قالت بثبات : « أنا لا أنكر ما اعترفت به ، ولكن هؤلاء الآخرين ليس لهم شأن بما فعلت » .

فقال : « لابد أن السيدة شير التى كانت تعايشك فى شقة واحدة كانت شاذة فى عنادها » .

فأصرت كيتى وقالت : « على كل حال لم تكن تعرف شيئاً » .

« والمسيو تيسيه ؟ لقد استخدمت ضيعته لعبور خط الحدود » .

فقالت كيتى : « إننا لم نستأذنه ، وإنما اخترنا ضيعته لموقعها ، ثم رحنا نعبرها . وهذا كل ما هنالك » .

فقال القاضى متهكما : « هذا أحسن وأحسن . والآن نأتى للمسيو رافييه . فماذا أعددت له من المسوغات الطريفة ؟ »

قالت : « إنما اتخذت منه ستاراً لرحلاتى ، وكان يظن أنى أساعده على جمع المال لترميم كنيسته » .

وكنت ، وأنا أسمع ما تقول كيتى ، أعجب بها وأرثى لها ، وأعطف عليها . فقد كان من المروءة أن تحاول إنقاذنا ، ولكن قصتها كانت بينة البطلان .

وقال القاضى : « هذا حسن . والآن بقى لدينا واحد . فما قولك فى المسيو كوربييه ؟ »

فقالت بهدوء : « لست أعرف المسيو كوربييه » ، فقد فطنت هى أيضا إلى أنهم لم يعرفوا أنه شانسيل .

فقال القاضى : « إنك نبيلة جداً ، ولكنك طفلة غير حاذقة . وقد اعترفت ، وقررت أنك لا تريدين أن تنكرى ما أقررت

به ، وهذا كل مايعنينا أن نسمعه منك » ، وأشار إليها إشارة الانصراف .

« السيدة إيتا شير ! » .

فاتخـذت مكانى أمام المنضدة ، وأجبت على الأسئلة التمهيدية .

وقال القـاضى : « إنك تعرفـين التهم الموجهة إليك ، فهل أنت مذنبة ؟ » .

قلت : « بل أنا بريئة » .

فرمانى القاضى بنظرة جافية حادة كأنهـا سن الرمح دون أن يتحرك أو يتكلم ، ثم ضرب المنضدة بجمع يده فجأة ضربة شديدة ارتفعت منها ملفات الأوراق عن مواضعها .

وصاح : « هراء ! كيف تجرؤين أن تزعمى أنك بريئة ؟ لقـد كانت الشقة التى تعيشين فيهـا غاصة دائماً بالجنود الفارين ، وكنت أنت القائدة الثانية لهذه العصابة من المجرمين . وإنك لمذنبة يا سـيدة شير ! وستأخذ المحكمة علماً بموقفك هذا » .

صاح بكل هذا فى نفس واحد ، وقد انتابته نوبة من الغضب الجامح ، فوقفت مسمرة فى مكانى ، وقد سحرتنى نظرته وألفاظه . وختم صياحه بقوله : « إذا كان هـذا كل ما جئت لتخبرينا به فالأولى أن تعودى إلى مقعدك » .

فتعثرت مرتدة إلى المقعد ، وقد انتسخ كل أمل أنشأته فى نفسى الشهادة التى أدتها كيتى . فإن من الجلى أن هذه المحكمة لا تنوى أن تعنىّ نفسها بالبحث عن البينة .

ونهض المسيو تيسييه إلى المنضدة الطويلة .

فقال القاضى : « لاحظت أنك جعلت توقيعك على أقوالك ، علامة الصليب ، فهل من الممكن أن تعجز عن كتابة اسمك ؟ » ،

فقال تيسييه بهدوء : « نعم لا أقدر » .

فقال القاضى : « شئ جميل ! فى هذه البلاد التى تفخر بعلمها يُنتخب رجل عمدة لبلدته ثلاث مرات ، وهو لا يستطيع أن يقرأ أو يكتب » .

فقال تيسييه : « إنى لم أقل إنى لا أعرف الـكتابة والقراءة » ، ومد ذراعه اليمنى : « ولـكنى لا أستطيع أن أكتب بالقلم لأن رصاصة ألمانية مزقت يدى فى معركة المارن سنة ١٩١٤ » .

فاتقد وجه القاضى وعجل بالسؤال الثانى ، فاعترف تيسييه بأنه سمح لمن شاء أن يجتاز ضيعته لأنه لا يعترف بأن للأجانب حقاً فى إصدار أوامر يخضع لها الفرنسيون فى بلادهم .

ونهض الأب كريستيان بعـــد المسيو تيسييه . ولشد ما تمنيت أن شهادته دونت بالحرف الواحد ! فقد قال على قدر ما أتذكر :

« إن فرنسا لا تزال فى حرب مع المانيا . نعم استسلم لـكم القواد ولـكن الشعب لم يستسلم . وكم عددكم فى فرنسا ؟ مليون ؟

فإن فى فرنسا أربعين مليوناً ضدكم !

« وأنا قسيس ، ولكنى كنت ومازلت فى هذه الحرب جندياً ، فقد كنت أحارب فى سبيل ما هو أعظم من الفصل الحربى بين دولتين — فى سبيل العدل . ولست أنتظر أن أرى العدل قائماً فى هذه المحكمة ، ولكنى أعلم أن العدل الإلهى سيسود فى النهاية ، وسيمضى الله فيكم قضاءه يا من تنتحلون حق الحكم علينا » .

وكان شانسيل آخر من دعى ، فخوطب باسم كوربييه مرة أخرى ، واتهم بأنه من عصابتنا ، وإن كانت البينة الوحيدة التى سيقت ضده هى أن بطاقة بريد وجدت فى شقته وعليها رسم هزلى للفوهرر ، وتحته عبارة : « فلتحيى فرنسا ! » وليسقط البوش ! (الألمان) ، ثم قام المدعى وخلط الصحيح من التفاصيل بالخيال المحض ، وطلب الحكم علينا باسم هتلر .

وسمح لمحامى الدفاع أن يتكلموا ، ثم أعلن القاضى أنه هو وزملاؤه سيخلون للتداول فى الحكم . وأنهم ليهمون بأن يغادروا القاعة ، وإذا بالدكتور هاجير يندفع داخلا وهو يلهث ، وأسر إلى القاضى شيئاً ، وأخرج أوراقاً من محفظة .

فطرق القاضى المنضدة وقال : « أعيدت الجلسة واستؤنفت المحاكمة ، فقد ظهرت بينات جديدة . قف يامسيو شانسيل ! » .

فلم يسعنى إلا الإعجاب بالمسيو شانسيل وحضور ذهنه ، فقد ظل لا يتحرك بعد أن نودى اسمه على غير انتظار ، ولكننا نحن وقعنا فى الفخ وفضحنا صاحبنا ، فقد انثنت رءوسنا متجهة إليه ! .

وقال القاضى : « وا أسفاه ياهر شانسيل ! إذا كنت أنت قد نسيت اسمك ، فإن أصدقاءك لم ينسوه ! فالأولى بك أن تكف عن هذه المهزلة ، يا سيد شانسيل ، أو يا سيد كوربييه إذا كنت تؤثر هذا الاسم ! ويظهر أنك لم تأخذ الحيطة الكافية فتركت أوراقك الصحيحة وبعض الأوراق باسم كوربييه مع صديق لك ، كان من سوء حظه أنه قبض عليه . فهل تحب أن تغير ما قلت من أنك لا تعرف المتهمين ، ولم تكن لك صلة بما فعلوا ؟ » .

فقال شانسيل : « إذا كنت مطلعاً هذا الاطلاع كله من قبل ، فلا داعى إذن لأن أضيف أنا شيئاً » .

فغضب القاضى وقال : « إن هذه المحكمة لا تحفل اعترافك أو إصرارك على إنكار علاقتك الجلية بهذه المؤامرة الإجرامية » .

ونهض المدعى وقال : « أود أن أضم اسم الهر شانسيل إلى أسماء من طلبت الحكم عليهم بالإعدام » .

فقال القاضى : « قد أخذت المحكمة علماً بذلك » .

وأهمل شانسيل هذه « الإجراءات » ، والتفت إلينا وقال : « اسمحوا لى أن أعتذر وأطلب الصفح عن تلكؤى عن تحيتكم ، وإنى لأعلم أن السبب لا يخفى عليكم » .

وكانت الساعة الثانية لما فتحت الأبواب ، ودخل القضاة القاعة متكلفين الأبهة والسمت ، ونطق الرئيس بالحكم : بالإعدام على كيتى والأب كريستيان ، وبالأشغال الشاقة خمس سنوات على شانسيل ، وبالأشغال الشاقة أربع سنوات على تيسييه ، وبها ثلاث سنوات علىّ .

وما أشك فى أن آيات الجزع والاستفظاع ارتسمت على وجهى . ولقد كان نصيبى أخف من نصيب الآخرين ، ولكنى شعرت أنى لا أستطيع أن أحتمل ثلاث سنوات أخرى فى هذا السجن الفظيع . ثم تذكرت ما حكم به على كيتى والأب كريستيان — الإعدام — ولا أعرف أن أحداً منهما نجا من ذلك .

وأمسكت كيتى بذراعى وقالت : « لاتبكى يا إيتا ! لا تدعى هؤلاء الألمانيين يروا أننا فقدنا اتزاننا وكبرياءنا ! » فضغطت يدها . ورددت عبراتى وخنقت شهقاتى ، فقد كانت كيتى المحكوم عليها بالإعدام تعزينى أنا ! !

وأوصدت علينا سيارة السجن مرة أخرى . وادرك كلانا أن لعل هذه آخر مرة تتلاقى فيها عيوننا ، فتهافت ، وأرحت رأسى على صدر كيتى وبكيت بأربع . فمسحت كيتى شعرى وأنشأت تقول :

« كان ينبغى أن أحملك على الرجوع إلى بلادك قبل أن تفلت الفرصة . ولا تقلقى علىّ يا إيتا . لقد جاء وقت كان فيه خاطر الموت يشيع فى نفسى الجزع ، ولكنى ألفت هذا الخاطر وسكنت إليه ، وسيموت ملايين قبل أن تنتهى هذه الحرب ، وليس فى موت فرد آخر زيادة تحدث اختلافاً ، ولا سيما إذا ذكرت يا إيتا أننى لم أخفق بل نجحت ، وأحرزت مائة وخمسين انتصاراً على الألمان فى مقابلة هذه الهزيمة المفردة . فعدينى يا إيتا أن لا تحزنى إذ تفكرين فى أمرى . فكرى فقط فى هؤلاء الشبان الأشداء ذوى القلوب الكبيرة الذين رددناهم إلى وطنهم . لقد أعطيت إنجلترا مائة وخمسين حياة فى مقابلة هذه الحياة الوحيدة التى تفقدها الآن » .

ووقفت السيارة . فقد بلغنا السجن .

المهمة التى بدأت على جزيرة "س"

تتخذ فصائل البناء التابعة لبحرية الولايات المتحدة عبارة « يمكننا عمله » شعاراً لها وإن مهارتهم وسعة حيلتهم فى بناء القواعد ستساعد على النصر فى كثير من ميادين الحرب.

وضمن معداتهم المهمة التى تنزل إلى البر معهم جهاز كاتربيلار ديزل الكهربائى. وهو ينزل إلى ساحة العمل فى الحال ويظل فى العمل يمد الفصائل بالقوة التى تحتاج إليها للمناشير والروافع والضوء والراديو.

وهذه الآلات القوية المتماسكة التى تؤدى كل الأعمال والتى يمكن نقلها إلى أى مكان بالطائرة، مستعدة للعمل آلاف الساعات بدون ما حاجة إلى عناية أو ترميم. وهى بسيطة ويمكن الاعتماد عليها وتستهلك أى نوع من الوقود الموجود من الزيت المنقى إلى بنزين الطائرات.

وللقوات المسلحة اليوم المقام المفضل فى الحصول على منتجات كاتربيلار. وحينما يتم النصر ستتمكن هيئة كاتربيلار للتجارة، التى تعمل الآن بجد للمحافظة على الآلات القديمة فى العمل، مرة أخرى من إنتاج كاتربيلار ديزل جديدة.

CATERPILLAR *DIESEL*

شركة جرارت كاتربيلار - بيوريا، الينوى

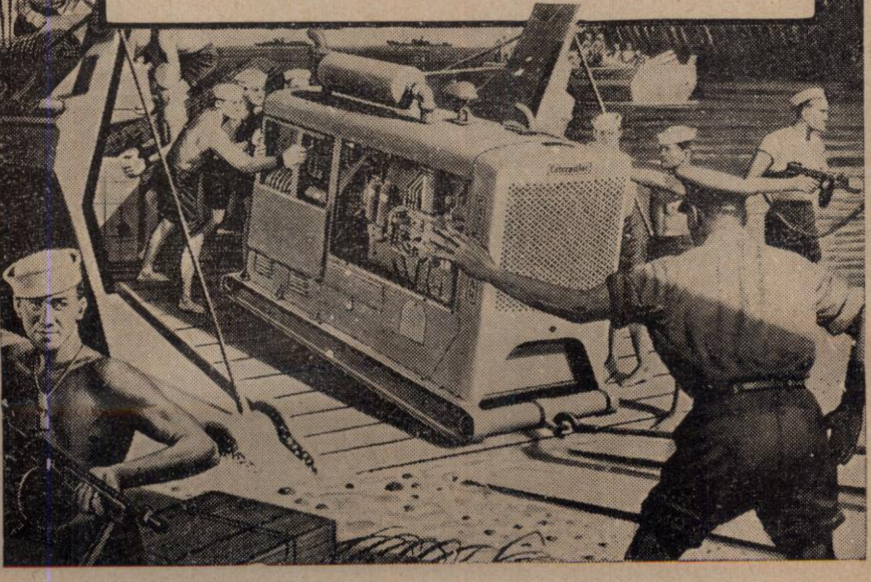

ضمان النصر عن طريق التفوق الجوى ... وضمان السلام عن طريق التفوق الجوى

تذكر أن Lockheed رمز للسيادة والتفوق

شركة لوكهيد لانتاج الطائرات ، شركة فيجا لانتاج الطائرات

بيربانك ، كليفورنيا ، الولايات المتحدة

علامة الجودة والاتقان

معروفة فى جميع انحاء العالم

UNITED STATES STEEL EXPORT CO.

30 CHURCH STREET, NEW YORK, U. S. A.

نحن فى خدمة العالم

كريم حلاقة جليدر واسكواير

صنعا خصيصاً للرجال الذين
عليهم أن يحلقوا كل يوم

اكواڤلڤا ويليامز

أشهر لوسيون بعد الحلاقة فى العالم ،
نقى ، لطيف ، منشط ، منعش الرائحة

كريم حلاقة ويليامز الفاخر

يحتوى على مادة لانولين الملطفة التى تهيء لك
حلاقة تامة دون أن يسبب للبشرة أى تهيج

WILLIAMS

منتج مستحضرات الحلاقة الفاخرة منذ أكثر من مائة سنة

شركة ج. ب. ويليامز ، جلاستونبرى ، كونيكتيكت ، الولايات المتحدة

حول الكرة

١ — مشاطرة الفرح تضاعفه :

نترقب كل شهر مجلة ريدرز دايجست بفارغ الصبر. فنحن جماعة من المهاجرين من أوربا نقيم هنا، وعددنا ٤٠٠ مهاجر، فنجد فى مجلة ريدرز دايجست الصلة الوحيدة بيننا وبين العالم الخارجى. ومعظمنا يفهم الإنجليزية، فنجتمع مرتين كلّ أسبوع ونطالع مقالات الدايجست ونتناقش فيما تحويه من آراء.

پورتو پلاتا — جمهورية الدومينيك

٢ — يقيها البلل :

كتب أحد فرقة البحارة الذين حاربوا فى جزيرة وادى الكنار يقول : تلقيت أعداد أغسطس وسبتمبر وأكتوبر ونوفمبر وأنا فى جزيرة وادى الكنار فما كان أعظم لترحيب بها. وكنا عندما يهطل المطر نقيها البلل كأنها ذخيرة المدافع.

٣ — مكتبة جوالة :

جمعت من أعداد الدايجست ما يملأ رفاً كبيراً ثم قلت لنفسى ذات يوم كفى اختزاناً فطلبت إلى صاحباتى أن يعطيننى عناوين رجالهن فى ميادين الحرب. فأرسلت إلى كل منهم عدداً، فتحوّل رفى إلى مكتبة جوالة.

٤ — أجدت على كعلاج الأطباء :

حملت نسخة من ريدرز دايجسب خلال معركة غينية الجديدة، حتى بليت وتمزقت صفحاتها واخترقتها رصاصة ومع ذلك فإنى أعتقد أن هذه النسخة الرثة أجدت علىّ فى شفائى من إصابتى، بقدر ما أجدى العلاج الطبى.

جندى فى جزيرة غينية الجديدة

٥ — يجدونه الوقت دائماً :

تلقت إدارة ريدرز دايجست خطاباً من الجندى س. لويز فى شمال أفريقية يقول فيه : « ترى هل يتاح لى الوقت لقراءة ريدرز دايجست فى برلين ! ». وقد أضاف الرقيب على هامش الخطاب : « إنهم يجدون دائماً الوقت الكافى لقراءة الدايجست ».

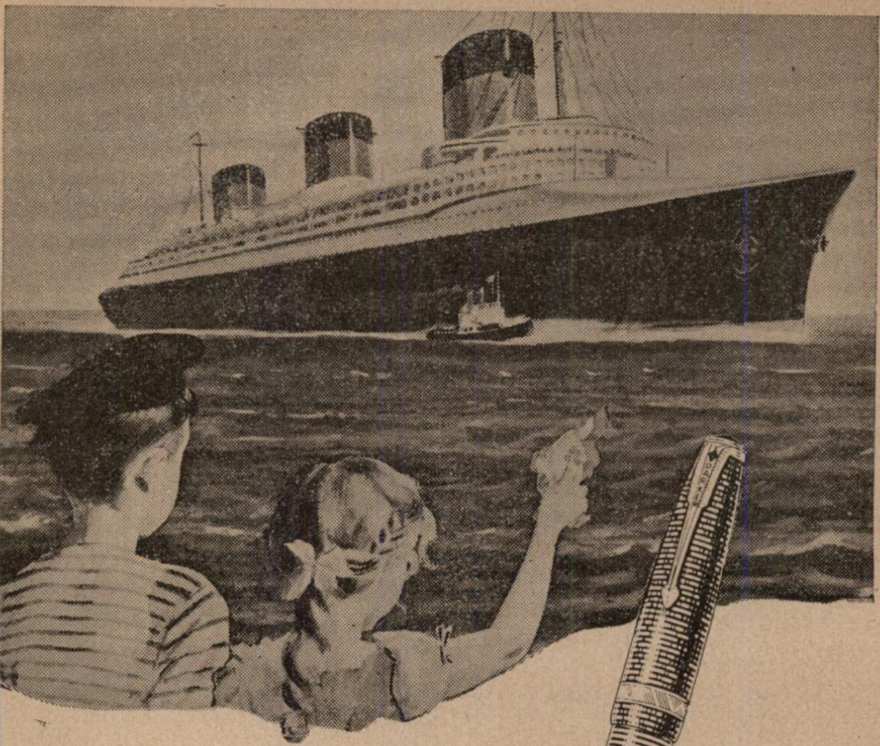

عندما تصبح البحار حرة من جديد ...

سيفتح السلام طرق المواصلات بين الناس والأمم . وعندئذ ستكون أقلا
باركر الجميلة متوفرة للجميع مرة أخرى .

أما الآن فنحن نأسف لأن موردك قد لا يكون فى وسعه إمدادك بقلم بارك
الذى لا ترضى عنه بديلا إذ من المؤكد أنه ليس هناك قلم يحل محل قلم بارك
الرائع السهل الكتابة ذى الطرف الناعم الملمس المصنوع من الأسميريديو
وخزانه اللامع المصنوع من العجائن .

فإذا كنت الآن عاجزاً عن الحصول على قلم باركر فإننا نثق بأنك تدر
موقفنا إذ نخبرك أن صناع باركر المهرة متفرغون الآن لإنتاج الأدوات الحربي
الدقيقة للأمم المتحدة . وعند ما يستتب السلام فإنهم سينتجون لك مرة أخرى
أقلام باركر الجميلة .

پاركر

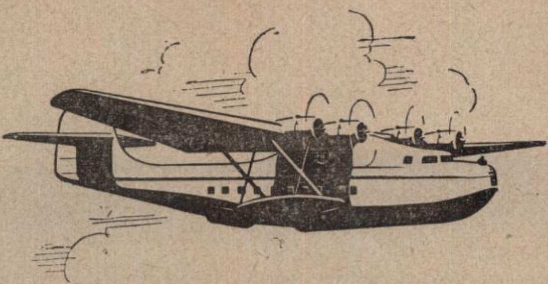

الرسم المنشور فوق هو لأول طائرة تجارية تطير طبقاً لمواعيد منتظمة عبر المحيط الباسفيكى . وقد بنتها فى أمريكا شركة جلن مارتن سنة ١٩٣٥ . ولا تزال هذه الطائرة المائية ماضية فى النهوض بعملها على الرغم من أنها قضت فى الخدمة ثمانية اعوام . وستبنى مصانع مارتن بعد الحرب طائرات تجارية تبلغ فى الحجم ثلاثة أضعاف أو أربعة أضعاف هذه الطائرة لتسهيل التجارة والسفر بين سكان العالم وتوسيع نطاقها .

Martin

منتجو طائرات مضمونه منذ ١٩٠٩

THE GLENN L. MARTIN CO. — BALTIMORE, MD., U.S.A.

ماذا عن الطعام بعد الظفر؟

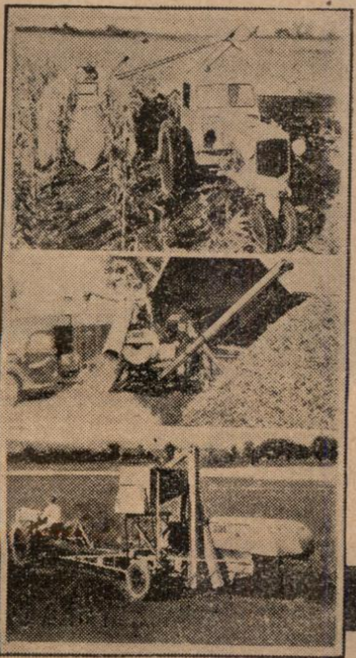

على نحو ما يجرى تيار الظفر فى أثر جيوشنا الزاحفة ، كذلك يجرى تيار السلام — السلام الحقيقى الدائم — فى أثر « الطعام » . فالخبز واللحم واللبن للأطفال — بذلك وحده — نستطيع أن نعقد الأمل على نشاء عالم أفضل وأرشد وأسلم بنياناً .

إن هذه المهمة الانسانية ، تواجه فلاحى العالم ، بتحد ليس مثله تحد فى التاريخ . فكل فدان من الأرض قابل للحراثة ، يجب أن يحرث ويهيأ لينتج أكبر قدر من الغذاء . وكل فدان يجب أن يصان ليسدى إلى الانسانية خدمات تطرد فائدة جيلا بعد جيل . وتحقيق هذا الهدف أدعى إلى تعزيز قضية السلام من جميع المعاهدات التى عقدت ووقعت حتى الآن .

وليس ثمة ريب فى أن الآلات الزراعية الحديثة سيكون لها شأن عظيم فى عالم الغد ، كما كان لها شأن عظيم فى البلاد الأمريكية خلال القرن الماضى . فالآلات الزراعية الحديثة قد مكنت ٢٠ فى المائة من السكان من إنتاج مقادير من الطعام والألبان والزيوت ومنتجات أخرى ، لازمة لأعلى مستوى من العيش ، تفوق ما كان ٨٠ فى المائة من السكان تنتجه قبل استعمال هذه الآلات .

ومصانع منيابوليس — مولين تصنع الآن طائفة كاملة من المحاريث الحديثة وآلات المزارع التى تصلح لكل غرض ولكل حالة ، وستمضى خلال الحرب فى صنع هذه الآلات على قدر ما تسمح به الحدود المفروضة .

MINNEAPOLIS - MOLINE
POWER IMPLEMENT COMPANY

RCA تقدم

أحدث الأنباء

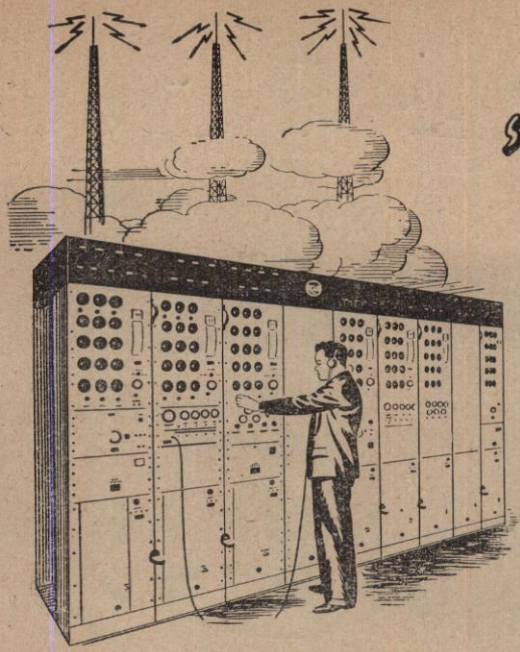

حلم خبراء الراديو : إن جهاز الاستقبال R.C.A. ذا الموجة القصيرة المتعدد نواحي الفائدة هو أتم أجهزة الاستقبال إتقاناً — إذ يمدنا بثلاث صور للاذاعة الواحدة على ثلاثة أسلاك هوائية مختلفة ثم يختار من تلقاء ذاته أجود الثلاث . وبحوث R.C.A. المنقطعة الآن لخدمة قضية الأمم المتحدة ، تعدنا براديو أجود ومنتجات أخرى لعالم أفضل ، حينما يأتي السلام .

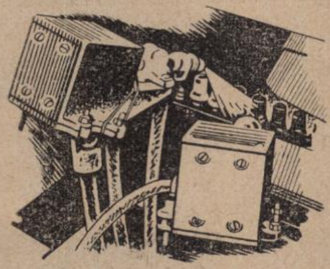

أنبوبة تساعد على طلاء أخرى : في رش الطلاء على أنابيب RCA المعدنية ، يقوم صمام RCA الألكتروني بالاقتصاد في الطلاء برشه رشاً أتوماتيكياً حينما تكون الأنابيب أمام صنبورها مباشرة فقط وتقوم مئات من صمامات RCA بالمعجزات للصناعة الحديثة . وهناك صمام الكتروني خاص لكل غرض !

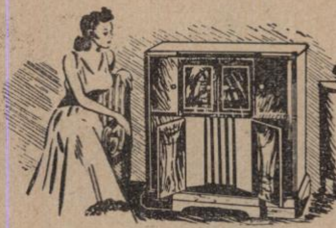

أعظم أجهزة الإستقبال إتقاناً : هو جهاز R.C.A. QU8 وهو يقدم أقصى ما يمكن تقديمه في عالم الراديو بوساطة صماماته الأربعة والعشرين ومناطقه الموجية التسع كما يقدم أجود نوع من إذاعة الاسطوانات بوساطة جهازه الذي يغير عشرين قرص جراموفون تغييراً أتوماتيكياً بدون أدنى ضعف في الإخراج وهو يقوم بتسجيل برامج الراديو أو الأحاديث ويمكن استخدامه كجهاز فعال للخطب العامة فمنظره رائع وصوته رخيم وهو ذلك النوع من راديو R.C.A. الذي سيتاح لك استخدامه مرة أخرى حينما يأتي السلام .

RCA

راديو كوربوريشن أف أمريكا

شركة R. C. A. فيكتور - كامدن ، نيوجرسي بالولايات المتحدة

زوارق هيجنز

اليوم في الحرب

غداً في التجارة

ARMY E NAVY

Higgins

INDUSTRIES INCORPORATED

شركة صناعات هيجنز

نيواورليانس الولايات المتحدة

محور القارتين الأمريكيتين أعظم بناة الزوارق في العالم

المحركات النظيفة
تقتصد فى استهلاك البنزين
هذه حقيقة اكتشفها مستعملو موبيلويل

أجل إن الزيت الذى تستعمله فى سيارتك يمكنه أن يؤثر فى استهلاك الوقود وأن موبيلويل — وهو أشهر زيت سيارات فى العالم — يساعد على الاقتصاد فى استهلاك البنزين بشتى الطرق.

فهو أولا يخفض إلى أدنى حد تكوين الصمغ والكربون والرواسب الأخرى وبذلك يساعد على الاحتفاظ بالمحركات نظيفة. ومن البديهى أن المحرك النظيف يستمد من كل جالون من البنزين قوة أعظم ويقطع مسافات أطول.

ثم إن موبيلويل يقلل من العوائق التى تسبب الإفراط فى استهلاك البنزين ويسمح دائماً لأجزاء المحرك أن تسير سيراً منتظماً بدون عرقلة.

ولا تنس أن هذا الزيت مشهور بوقايته ضد هرش الآلات. ونظراً لما امتاز به من سرعة الانسياب بمجرد قيام المحرك فهو يصون أجزاءه المتحركة صيانة تامة وفعالة فضلا عن أنه يحتفظ بصفاته التزييتية تحت درجات الحرارة المرتفعة والعمل المرهق الطويل.

فلا تستعمل إذاً فى سيارتك إلا زيت موبيلويل.

جارجويل

موبيلويل

سوكونى | فاكوم

أفخر زيت سيارات فى العالم

شركة مصر للغزل والنسج

أكبر مؤسسة فى الشرق لصناعة الغزل والنسج من القطن المصرى

مركزها الرئيسى : بالقاهرة

مصانعها : بالمحلة الكبرى

مقامة على اكثر من ٧٠٠,٠٠٠ متر مربع

ويعمل بها ٢٥,٠٠٠ عامل

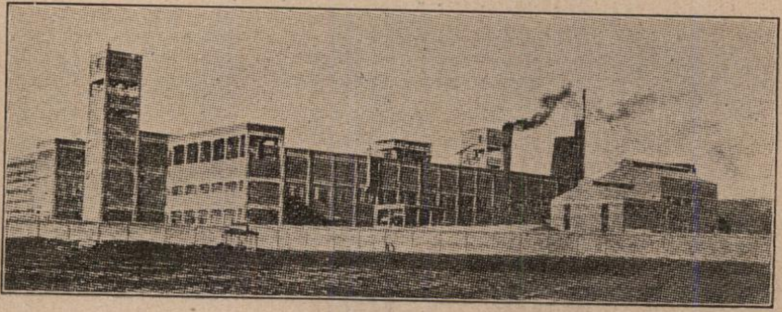

منظر خارجى لجانب احد أقسام الشركة

تنتج

- غزل ونسج القطن والصوف والكتان
- الدوبارة
- الجوارب والفانلات
- القطن الطبى
- بكر الحياكة
- البطاطين

صباغة - تبييض - طباعة

جاره ، سـواء عرضت هذه الأفـكار فى الحـديث أو فى الصحف والمجلات ، فالقول « فـكـّـر ، لا تهلك » معناه « إقرأ ، لا تهلك » .

وقد يكون بين الناس من يقتضيهم عملهم الخاص التوفر على مطالعة ما تعرضه المطابع من الـكتب الجديدة والمجلات ، ولـكن معظمهم معنى بالرزق ، فلا يتسع وقته لمجاراة تيارات العصر الحديث ، كما تمثلها الـكتب والمجلات ، فإلى هؤلاء أسوق نصيحتى « إقرأوا المختار » .

وإننى أقولها صادقاً منزهاً عن الهوى والغرض . فرواج المختار لا يعود على ما أعلم بكسب خاص ، ولست أعرف رئيس تحريرها وبعض القائمين بأمرها إلا معرفة عابرة ، ولـكننى طالعت أعـدادها الأربعة الأولى مطالعة تسير فيها المتعة إلى جنب الفـائدة ، فوجدت فيها غنما كبيراً تغنمه كأمة ، أو مجموعة من الأمم العربية اللسان . هنا أفكار تحفز إلى التفكير ، أو تحفز إلى العمل ، وإرشاد يساعد على إصلاح النفس ، ويدلّ على أسرار النجاح وسبله ، ومعلومات تنير الذهن فيطل منها على العالم ، فيفوز بنعمة النظر المشارف . فرواجها يثلج صدرى لأنه يدلنى على أننا نبالى ، ونريد أن نعلم . وهذا غنم قومىّ يسد حاجة ملحة ، فهو رأس مال قومى عظيم ندّخره لمستقبلنا . فليس يسعنا أن نعيش على هامش الحياة الدولية بعد الآن ، ولا يسعنا أن ندع تياراتها تمر بنا فلا نباليها ، ولا يسعنا أن نجهل منها ما جلّ وما دقّ ، فنحن فى حاجة إلى نظرة تستشرف العالم ، دون أن تضعف إيماننا بأنفسنا ، و « المختار » يتيح للأمم العربيـة نوعاً من ثقافة تصلح أساساً لهذه النظرة .

فؤاد صروف

ديسمبر ١٩٤٢

" فكِّر، لاتهلك "

لحضرة صاحب السعادة محمد على علوبة باشا ، وزير المعارف الأسبق

تجوز الحضارة فى هـذا العهد غمار انقلاب خطير يتصل بأعمق جذور الحياة ، من آراء وعادات وتقاليد ، فردية أو اجتماعيـة ، تدق باب الإنسانية بيد العلم والعزم ، وباب الاجتماع بيد الأدب والسياسة والفلسفة ، وباب الحياة جميعاً بأيدى الرجال الذين تلوّن أفكارُهم أفكارَ جيلهم والأجيال التى تليه ، وتسبغ أعمالهم على المجتمع لون الحياة المقبلة التى تدبُّ فى كيان الحاضر الدامى . ففى غمار هذا الانقلاب ، أتبين خطيئتين لا تغتفران ، أما الأولى فخطيئة عدم المبالاة ، وأما الثانية فخطيئة الجهل .

وليس يجدى أحداً ، فرداً أو جماعة ، حين يمثل أمام الحوادث التى تتهيأ الآن لتكوّن حقائق الاجتماع غداً أو بعد غد ، أن يقول حين يوزن بالميزان فتشيل كفته : « لم أعلم » ، « لم أدرك » ، « لم أبال » . فلئن هو فعل فقد غمره النسيان فيمن يغمرهم من الذين لا يستحقون الحياة ، أولئك الذين لهم آذان لا يسمعون بها ، وعيون لا يبصرون بها .

كان الناس قبل عهد العلم الحديث والصناعة الآلية ، يخضعون للقاعدة : « جاهد ، لا تجع » . أما الآن فالشعار : « فكر ، لا تهلك » . فالفكر هو الذى غزا ما دنا وما بعد من أسرار الطبيعة ومغاليق الكون ، وحقق ما كان يعد مستحيلا . ولما كان الناس على سطح الكرة لا يعيش أحدهم منعزلا عن الآخر ولا جماعتهم منفصلة عن الجماعات الأخرى ، ولما كان كل منهم يتأثر بأفكار

[التتمة على الصفحة السابقة]

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية